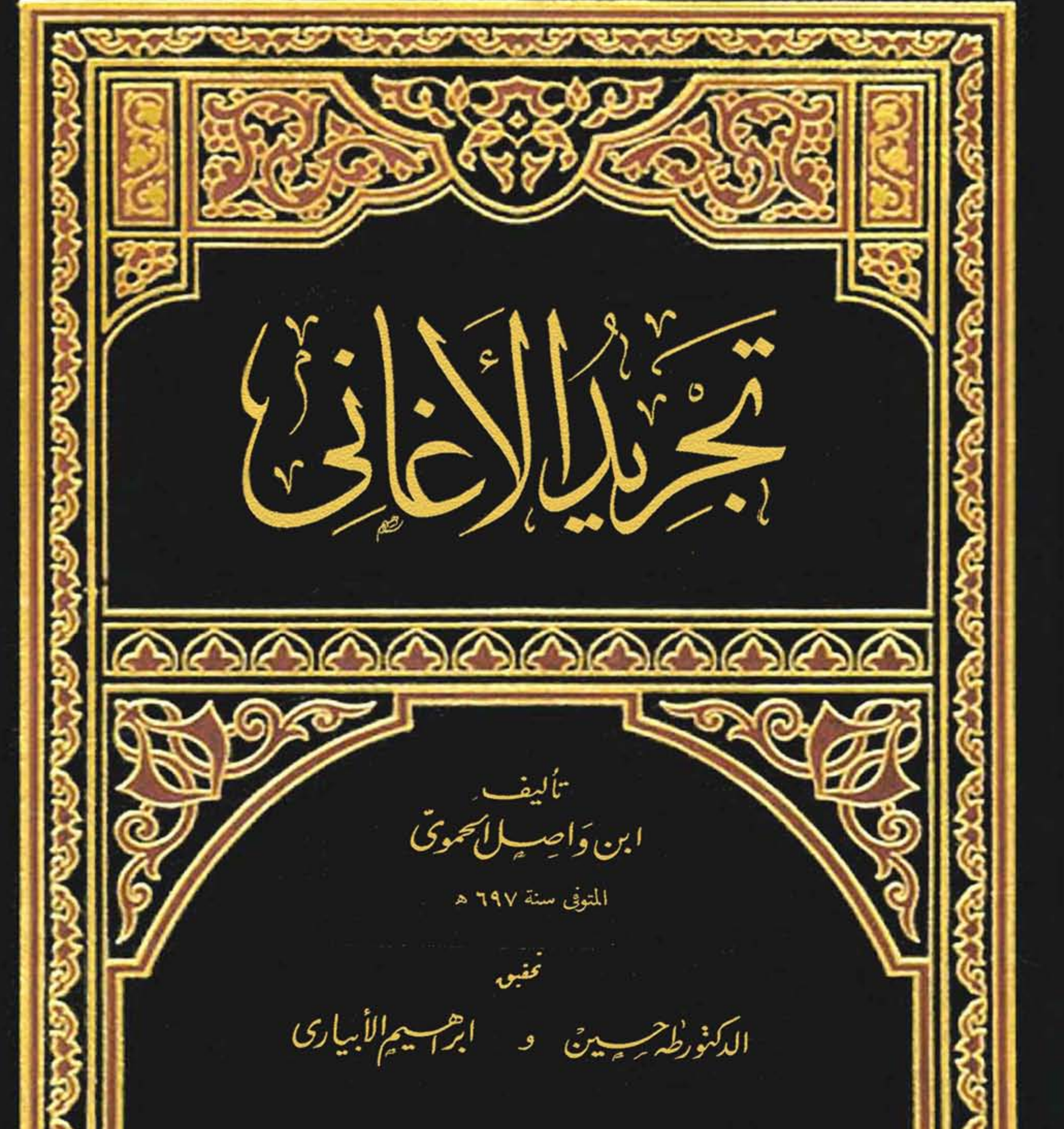


تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

١٣٧٤ — ١٩٥٥



تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموى

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الثانى — الجزء الثانى

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبيارى

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)

١٣٧٩ — ١٩٥٩

أخبار ابن الدمينة

هو عَبد الله بن عُبيد الله الخَثعميّ . والدُّمينة : أُمّه. وهي بنت حُذيفة السَّلولية . نسبه ونسب أمه
وهو شاعر رقيق الشِّعر جيّده . ومن شعره المشهور قولُه :

ألا يا صَبا نَجْـدٍ متى هِجْت من نَجْدِ — فقَـد زادني مَسْراك وجداً على وَجْدِ — من مشهور شعره
أأَنْ هَتفت وَرقاء فى رَوْنق الضُّحى — على فَـنَنٍ غَضٍّ النَّبات من الرنْد
بكيتُ كما يبكى الوليـدُ ولم[1] أكن — جَزوعاً وأبديتُ الذى لم أكن[2] أبدى
وقد زَعموا أنّ المُحبّ إذا دنا — يُملّ وأن النأى يَشْفى من الوَجد
بكُلٍّ تَداوَيْنـا فلم يَشْفِ ما بنا — على أنّ قُرب الدار خيرٌ من البُعْـد
ولـكنّ قُرب الدّار ليس بنـــافع — إذا كان مَن تهواه ليس بذى وُدّ

وقوله :

أمَا والرّاقصات بذات عِرْق[3] — ومَن صَلّى بنَعمان[4] الأراكِ
رَعاكِ الله يا سَــلْمى رَعاكِ — ودارَكِ باللِّوى ذات[5] الأراكِ
لقد أضمرتُ حُبَّك فى فؤادى — وما أضمرتُ حُبًّا من سِواكِ
قَتلتِ بفاحمٍ وبذى[6] غُروبٍ — أخَا قوم وما قتلوا أخاكِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تكن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لم تكن تبدى » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بكل فج » مكان « بذات عرق » . وذات عرق : الحد بين نجد وتهامة .
(٤) نعمان الأراك : واد بين مكة والطائف . وقد نسب هذا الشعر فى « معجم البلدان » فى رسم « نعمان الأراك » لأبى العميثل .
(٥) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى ، كما لم يرد فى معجم البلدان .
(٦) الغروب : مناقع ريق الأسنان ؛ وقيل : أطرافها ، وحدتها وماؤها . ويعنى بذى الغروب : الفم . وقد ورد هذا البيت فى معجم البلدان ، ولم يرد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أَطعتِ الآمرين[١] بصَرْم حَبْلى ... مُريهم فى أحبّتهم بذاكِ
فإنْ هم طاوعُوكِ فطاوعيهم ... وإنعاصَوْكِفاعصَىْمَن عَصاكِ

هو وامرأة أحبها من قومه

وذُكر أنّ ابن الدُمينة كان يَهوَى امرأة من قومه ـ يقال لها : أُميمة ـ فهام بها مُدّة ، فلما وصلته تَجَنَّى عليها وجعل يُغاضبها وينقطع عنها ، ثم رآها ذات يوم ، فتعاتبا طويلاً ، ثم أقبلت عليه فقالت :

وأنتَ الذى أخلفْتنى ما وعدتَنى ... وأشمَتَّ بى مَن كان فيك يلُومُ
وأبرَزْتنى للنــاس ثم تركْتنى ... لهم غَرضاً أرمَى وأنت سَــليم
فلو أن قولاً يَـكْلِمَ الجِسْم قد بَدا ... بجِسمىَ من قول الوُشــاة كُلُوم

فأجابها ابن الدُّمينة فقال :

وأنتِ التى كلَّفْتنى دُلَجَ السُّرى ... وجُونُ القَطا بالجَلْهتين[٢] جُثومُ
وأنت التى قطَّعتِ قلبى حرارةً ... وفرَّقت قَرْح القلب[٣] فهو كليم
وأنت التىأحفظت قومى فكلُّهم ... بعيد الرِّضى دانِى الصُّدود كَظيم

شعرله فيهامنسوب إلى مجنون ليلى

ومن رقيق شعره ، وَقد تقدم مَنسوباً إلى مَجنون ليلى ، ونسبته إلى ابن الدُّمينة هو الصحيح :

أَقضّى نَهارى بالحَـديث وبالمُنى ... ويَجمعُنى والهمّ باللَّيــل جامعُ
نَهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا ... لىَ اللّيلُ هزَّتنى إليك المَضاجـع
لقدثَبتتْ فىالقلبمنك مودّة[٤] ... كما ثبتت فى الرّاحتين الأَصابع

شعرهالذىفيهالغناء

ومن رقيق شعره الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أَبِينِى أفى يُمنى يديك جَعلتنِى ... فأَفرَح أم صَـيَّرتنى فى شِمالكِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أريت الآمريك بقطع » .
(٢) الدلج : جمع دلجة ، وهى سير السحر . والجلهتان : جانبا الوادى .
(٣) القرح ، هنا : عض الهوى ، والهم يصيب القلب . يريد : أشمت الأسى فى قلبى وعممته . وفى بعض أصول الأغانى : « مزقت فرخ القلب » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « محبة » .

أَبيتُ كأنّى بين شِقّين مِن عَصًا ... حِذارَ الرَّدَى أوخِيفةً من زِيالك

تعاللتِ كى أضنى[1] وما بك علّة ... تُريدينَ قتلى قد ظَفِرت بذلك

حديثه مع امرأته حماء التى اتهمت بمزاحم

وذُكر أنه كان لابن الدمينة امرأة يقال لها : حماء — وقيل : حمادة — فكان رجل من سَلول — يقال له : مُزاحم — يتحدّث إليها ، حتى اشتهر ذلك. فمنعه ابنُ الدمينة من إتيانها واشتد عليها . فذَكر مُزاحم قصيدة يذكُر أنه وطئها ، وذَكر منها علاماتٍ خفيّة فيها :

يابن الدُّمينة والأخبارُ يرفعها ... وَخْدُ النَّجائب والمَحْقور يُخفيها

يابن الدُّمينة إن تَغْضب لما فعلت ... فطال خِزْيُك أو يَغضب مَواليها

أو تُبغضونى فكم مِن طَعنة نَفَذٍ[2] ... يعدوخلالَ اختلافِ الجَوف عاديها[3]

جاهدتُ فيها لكم إنّى لكم أبداً ... أبغى معايبكم عَمْداً فآتيها

يقول فيها :

أمارةٌ[4] كيّة ما بين عانتها ... و بين سَبَّتِها[5] لا شَلَّ كاويها

وشَهقة عند حسّ الماء تَشهقها ... وقولرُكبتها:قِضْ[6] حين تَثْنيها

وتعدل الأير إن زارت[7] فتُنعشه[8] ... حتى يُقيم برفق صدرَه فيها

فلما بلغَ ابنَ الدُّمينة هذا الشعرُ أتى امرأته فقال لها : قد قال هذا الرجل فيك ما قال ، وقد بلغك . فقالت : والله ما رأى ذلك منِّى قط . فقال لها : فمِن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهن له النِّساء . فقال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك!

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كى أشجى » . (٢) نفذ : نافذة .

(٣) هذه رواية التجريد يعنى : خلال ثنايا الجوف وتلافيفه . وفى غير التجريد : « يعد وخلال اختلاج الجو عاديها » . يعنى باختلاج الجوف : انتزاع النفس . أى انها لا تصيب إلا مقتلا .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « علامة » . (٥) السبة : الدبر .

(٦) قض ، بالكسر : صوت الركبة إذا صاتت .

(٧) فى غير التجريد : « زاغت » . (٨) فى غير التجريد : « فتبعثه » .

ثم أمسك مُدة وصَبر ، حتى ظَن أن مُزاحماً قد نَسى القِصة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه النساء . فقال لها : والله لئن لم تُمكِّنينى منه لأقتلنَّك . فعلمت أنه سيفعل ذلك . فبعثت إليه وواعدته ليلاً ، وقعد له أبنُ الدمينة وصاحبٌ له . فجاءها للموعد وجعل يُكلِّمها — وابن الدمينة فى مكانها (١) — فلم تكلمه . فقال : يا حماء ، ما هذا الجفاء ؟ فقالت له : بصوت خفىّ ضعيف . أدخل . فدخل ، وأهوى بيده ليضعها على مَتنها ، فوقعت على أبن الدُّمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصًى فى ثوبه ، فضرب به كبده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميتاً . فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح . فعلموا أن أبن الدُّمينة قتله . وقال ابنُ الدُّمينة :

قالوا هَجَتْك سَلُولُ اللُّؤم مُخفيةً ... فاليومَ أَهجو سَلولاً لا أُخافيها
قالوا هجاك سَلولىٌّ فقلت لهم ... قد أنصف الصَّخرةَ الصَّماء راميها
رِجالهم شرُّ من يمشى ونسوتُهم ... شرُّ البرية وأستٌ (٢) ذلّ حاميها

وقال أيضاً :

لك الخير إن واعدت حمَّاء فألقها ... نَهاراً ولا تُدلج إذا الليل أَظلما
فإنك لا تدرى أبيضاءَ طَفْلةً ... تُعانق أم لَيثاً من القوم ضَيْغما
فلمّا سَرى (٣) عن ساعدىّ ولِحيتى ... وأيقن أنّى لست حمّاء جَمْجما

ثم أتى أبنُ الدمينة أمرأته فطرح على وجهها قطيفة وجلس عليها حتى قتلها . فلما ماتت أنشأ يقول :

إذا قعدتُ على عِرنين (٤) جارية ... فوق القَطيفة فأدعُوا لى بحفّارِ

(١) فى غير التجريد : « وهى مكانها » .
(٢) الاست ، معروفة ، وتقال للرذل من الناس . (٣) سرى : كشف .
(٤) العرنين : ما تحت مجتمع الحاجبين ، هو أول الأنف .

فبكت بُنية له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها ، وقال مُتمثلاً :

* لا تغذون(١) من كلب سَوء جرْوا *

فقالت أم أبان ، والدة مُزاحم بن عمرو المقتول ، وهى من خَثعم ، ترثى أبنها وتحضّض ولديها : مُصعباً ، وجناحاً ، على أخذ ثأره :

بأهلِى ومالى بل بجُـلّ عَشيرتى قَتيلُ بنى تيم بغــير سِلاحِ(٢)
فهـلّا قتلتم بالسلاح أبن أختكم فتظهرَ منــــه للشهود جراحُ
فلا تَطمعوا فى الصُّلح مادمتُ حيّةً وما دام حيًّا مُصعب وجنــاح

فاُستعدى عليه جَناحٌ أحمدَ بن إسماعيل ، فبعث إليه فحبسه . فلما لم يجد عليه حُجة ولا سبيلاً خلّاه . فقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم ، وقتلت خثعم بعد ذلك نفراً من بنى سَلول ، وجرت فى ذلك أمور يطول ذكرها .

مقتله

ثم أقبل أبنُ الدُّمينة حاجًّا بعد مدة ، فعدا عليه مُصعب، أخو مُزاحم المقتول، وكانت أمه حرّضته ، وقالت : اُقتل أبن الدُّمينة فإنه قَتــل أخاك وهجا قومك ، ودَمُ أخيك مَطلول ، وقــد كنتُ أعذرك فى هــذا لأنك كنت صغيراً يومئذ ، وقد كبرتَ الآن . فلما أكثرت عليه خرج من عندها ، و بصر بأبن الدُّمينة واقفاً يُنشد ، فغدا إلى جزّار فأخذ شَفرته ، وخرج إلى أبن الدُّمينة فجرحه جراحتين ، فسلم . ثم مرّ به بعد ذلك وهو يُنشد : فعلاه بسيفه حتى قتله ، وتبعه الناس حتى اُقتحم داراً وأغلقها على نفســه . فجاءه رجل من قومه فصاح به : يا مصعب ، إن لم تضع يدك فى يد السلطان قتلتْك العامة ، فاُخرُج . فلمــا عرفه قال : أنا فى ذمتك حتى تُسلمنى إلى السلطان . فوضع يده فى يده فسلّمــه إلى السلطان ، فقَذفه فى سجن تَبــالة(٣) .

(١) غير التجريد : « لا تتخذن » .

(٢) فى الشعر : إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى بين الضم والكسر .

(٣) تبالة : موضع بينه و بين مكة خمسون فرسخاً .

أخبار المُقنَّع الكِندى

نسبه

وهو : محمد بن ظَفَر بن عُمير بن أبى شَمِر بن أبى فُرْعان بن قيس بن الأسود ابن عبد الله بن الحارث الولّادة ـ سمى بذلك لكثرة ولده ـ بن عمرو بن مُعاوية ابن كندة بن عُفير . وقد تقدم بقية النسب .

سبب تلقيبه بالمقنع

والمقنّع ، لقب غلب عليه ، لأنه كان من أجمل الناس وجهاً ، فكان إذا سَفَر اللثام عن وجهه أصابته العين . وكان أمدَّ الناس قامة ، وأكملهم خلقاً . وكان لا يَمشى إلا مُقنَّعاً .

وهو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له محل كبير وشرف وسؤدد فى عشيرته .

جده والنزاع بين عمه وأبيه

وكان عُمير جدُّه سيدَ كندة . وكان عمُّه عمرو بن أبى شَمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها فيقصُر عنها[1] .

استعلاء بنى عمه عليه

فنشأ محمد بن ظفر المقنّع ، وكان مُتخرِّقاً[2] فى عطاياه ، سَمْح اليد بماله ، لا يَرُد سائلاً عن شىء ، حتى أتلف كل ما خلّفه له أبوه من مال . فاستعلاه[3] بنو عمه عمرو بن أبى شَمِر بأموالهم وجاههم .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وهوى بنتَ عمِّه عمرو فخَطبها إلى إخوتها ، فردّوه وعيّروه بتخرّقه وفقره

---

(١) فى غير التجريد : « عنه » .

(٢) متخرقاً : متسعاً .

(٣) فاستعلاه بنو عمه . أى ترفعوا عليه والذى فى التجريد : « فأسعده » .

وما عليه من الدَّين . فقال شعرَه الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو من أجود الشعر :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عَمّى لمُختلفٌ جِدًّا
ولا أحملُ الحِقد القديم عليهمُ ... وليس رئيسَ القوم من يَحمل الحِقدا
وليسوا إلى نَصرى سِراعاً وإن همُ ... دَعونى إلى نصرٍ أتيتُهمُ شَدّا
إذا أكلوا لحمى وفرتُ لُحومهم ... وإن هَدموا مَجدى بنيتُ لهم مَجدا
يُعاتبنى فى الدَّين قومى وإنما ... تديّنت فى أشياء تَكسِبهم حَمدا

أخبار أبى قيس بن الأسلت

نسبه — قال أبو الفرج :

لم يقع إلىّ أسمه . وأسم أبيه : عامر — والأسلت لقبه — ابن جُشم بن وائل ابن زَيد بن قيس بن عُمارة بن مُرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عَمرو بن عامر .

جاهلى ساد الأوس — من شُعراء الجاهليّة . وكانت الأوس قد أسندت إليه حَربها فكفَى وساد .

إسلام ابنه واستشهاده — وأسلم أبنُه عُقبة بن أبى قيس ، وأستشهد يومَ القادسية .

مقتل ابنه قيس — وكان يزيد بن مِرداس السُّلَمىّ — أخو العبّاس بن مرداس — قَتل قيس ابن أبى قيس فى بعض حروبهم ، وطلب ثأره هارونُ بن النُّعمان بن الأسلت ، حتى تمكّن من يزيدَ بنِ مرداس فقتله .

ذكر يوم بُعاث (*)

مختصراً

العداء بين الأوس والخزرج

كان هذان الحيّان من أهل المدينة — وهم الأوس والخزرج — لا تزال بينهم الحُروب فى الجاهليـة . وكان الأوس خاصةً يَستعينون فى حُروبهم على الخزرج بقُريظة والنَّضير ، من اليهود .

شىء عن بنى قريظة والنضير

وهاتان القبيلتان من ذُرية هارون بن عمران — عليه السلام — كانوا نزلوا الحجاز ينتظرون ظُهور النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، لـكثرة البِشارة فى كُتبهم ليؤمنوا به ، فلما ظهر صلّى الله عليه وسلّم كفروا به بَغْياً وحسداً .

حمل الخزرج لبنى النضير وقريظة على التخلى عن الأوس

و بلغ الخزرجَ انتصارُ الأوس عليهم بقُريظـة والنَّضير ، فبعثت إليهم : إن الأوس — فيما بلغنا — قد استعانت بكم علينا ، ولن يُعجزنا أن نَستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب ، فإن ظَفِرنا بكم فذاك ما تكرهون ، و إن ظفرتم لم نَنم عن الطلب أبداً فتصيروا إلى ما تكرهون ، و يَشغلكم من شأننا ما أنتم منه الآن خالون . وأسـلمُ لـكم من ذلك أن تَدعونا وتُخَلُّوا بيننا و بين إخواننا . فأجابتهم قُريظة والنَّضير إلىما التمسوا من ذلك ، وألّا يُعينوا الأوس عليهم . فلم يُقنعهم إلا أن يبعثوا إليهم برهائن تـكون فى أيديهم . فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم ، ففرّقتهم الخزرج فى دُورهم .

نقض الخزرج لعهدهم مع بنى قريظة والنضير

ثم إن رجلاً من بنى الخزرج من بنى بَياضـة — يقال له : عمرو بن النُّعمان — قال لقومه : إن عامراً — يعنى جدّ الأوس والخزرج — أنزلـكم منازل سَوء

(*) لم يفرد أبو الفرج يوم بعاث بترجمة مستقلة . بل جعل خبره موصولا بخبر ابن الأسلت .

بين سَبخة ومَفازة ، واللهِ لا يَمسّ رأسى غُسلٌ حتى أُنزلكم منازل بنى قُريظة والنَّضير . فأرسل إلى بنى قُريظة والنَّضير : إما أن تخلُّوا بيننا و بين دياركم فنَسكنها ، و إما أن نقتل رُهنكم . فهمُّوا بأن يَخرجوا من ديارهم . فقال لهم كعب بن أسد القُرظى : يا قوم ، اُمنعوا دياركم وخلُّوهم يقتلوا الرُّهن ، فوالله ما هى إلا ليلة يُصيب فيها أحدكم اُمرأته حتى يُولد له غلام مثلُ أحد الرُّهن . فأجمعوا على ذلك ، وأرسلوا إليهم بأنَّا لا نُسلم لكم دُورنا ، وانظروا الذى عاهدتمونا عليه فى رُهننا فقُوموا لنا به . فعدا عمرو بن النُّعمان على رُهنهم ، هو ومن أطاعه من الخزرج ، فقتلوهم . وأَبى عبدُ الله بن أُبىّ ذلك ، ومن أطاعه من الخزرج ، فخلُّوا عمّا عندهم من الرُّهن وأطلقوهم حتى أتَوْا أهلهم .

جموع بنى النضير وقريظة والأوس ضد الخزرج يوم بعاث

واُنضمّت قُريظة والنَّضير حينئذ إلى الأوس وتَعبَّئوا لقتال الخزرج ، وتعبّأت الخزرج لقتالهم . واُستنصر كل من الفريقين بجموع من العرب من غيرهم ، واُستعد الفريقان للقتال شهراً ، ثم اُلتقوا ببُعاث واقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزمت الأوس أولاً حين وجدوا مَسّ السلاح . فلما ولّوا مُنهزمين نزل أبو أُسيد حُضير ــ وهو سيد الأوس ــ وطَعن فى فخذه وصاح : واعُقراه[1] ، والله لا أَريم حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسلموا فاُفعلوا . فعطفت عليه الأوس وقاتلوا الخزرج أشدّ قتال ، فاُنهزموا أقبح هزيمة . ووضعت الأوس فيهم السلاح . فصاح صائح : يا معشر الأوس ، أسجحوا ولا تُهلكوا إخوتكم ، فجِوارهم لكم خير من جوار الثَّعالب . فحينئذ كفُّوا عن سَلبهم بعد إثخان فيهم . وسلبتهم قُريظة والنَّضير .

(١) العقر ، بالضم : العقم ، يكون للرجل والمرأة . وبالفتح . والهلاك وبالوجهين يستقيم المعنى . فهو مع الأول يندب فقدان الناصر والمعين ، كأنه لم يعقب . وعلى الثانى فهو يندب ذلك الهلك اللاحق إن هزموا . وهو مع المعنيين يستحث قومه ويستنهضهم . وفى التجريد : «واعقيراه» والعقير : الجريح . يسترحم قومه لجرحاهم ان فرطوا .

مقام أبي قيس بن الأسلت في ذلك اليـــوم

وكان أبو قيس بن الأسلت له المقام المشهود فى تلك الحرب ، وكانت الأوس قد أَسندت أمرها إليه ، فتغيّر وشَحب لونه .

هو وامرأته

وكان قـــد آلى ألّا يقرب امرأته حتى يفصل أمرُ الحرب . فمكث شهراً لا يَقربها . ثم لما انقضت الحرب جاءها فدقّ عليها الباب ــ وهى كَبْشة بنت ضمرة بن مالك بن عدىّ بن عمرو ، من بنى عمرو بن عوف ــ ففتحت له . فأهوى إليها بيده ، فدفعته وأَنكرته . فقال : أبو قيس . فقالت : والله ما عرفتُك حتى تكلّمت . فقال فى ذلك أبو قيس القصيدة التى أولُها :

قالت ولم تَقْصد لقِيل الخَنَا ... مهلاً فقـد أبلغتَ أسماعى

وأستنكرتْ لوناً له شاحباً ... والحربُ غُولٌ ذات أوجاع

شعر أبي قيس الذى فيه الغناء

ومن هـــذه القصيدة الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى قيس ، وهو :

قد حَصَّت[1] البَيضةُ رأسِي فما ... أطعم نَوماً غيرَ تَهْجـــاعِ

أَســـعى على جُل بنى مالك ... كُل أمرىء فى شأنه ساعى

مَن يذُق الحرب يَجد طَعمها ... مُرًّا وتتركه[2] بجَعْجَـــاع

لا نَألم القتـــل ونَجزى به الـْ ... أعداءَ كَيْلَ الصّاع بالصّاع

---

(١) البيضة : الخوذة . وحصت رأسى ، أى ذهبت بشعر رأسى . وذلك لطول لبسه لها لا يخلعها . يشير إلى طول الحرب .

(٢) الجعجاع : المكان الخشن الضيق الغليظ . يريد : الشدة والحرج .

ذكر مقتل حجر بن عدى

[ج ١٦]

رحمه الله

هو والمغيرة وسب على بن أبى طالب

قيل : لما خَلع الحسنُ بن علىّ — رضى الله عنه — نفسَه من الخلافة، وسلم الأمر إلى معاوية بن أبى سُفيان ، وصَفتِ الأمورُ له ، كَتبَ إلى وُلاته بالآفاق بأن يسُبُّوا عليًّا — رضى الله عنه — على المنابر . وكان المُغيرة بن شُعبة عاملَ مُعاوية على الكوفة ، فكان يقوم على المِنبر فيَستغفر لعثمان — رضى الله عنه — ويلعن قتلَته ، ويذُم علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — ويَقع فيه . فيقوم حُجر ابن عدىّ فيقول : (يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)[1] . فإنّى أشهد أن من تذُمّون أحقُّ بالفضل ممن تُطرون ، ومن تُزكّون أحق بالذّم ممن تَعيبون . فيقول له المُغيرة : يا حُجر ، ويحك ! أكفُف عن هذا واتق غَضبة السلطان وسَطوته ، فإنها كثيراً ما تقتُل مثلَك . ثم كَفّ عنه . فلم يزل كذلك .

حجر والمغيرة بعد أن خطب الناس

فخَطب المُغيرةُ يوماً على المِنْبر فنال من علىّ – رضى الله عنه – ولعن أصحابَه . فوثب حُجر فنعَر به نَعْرة[2] أسمعتْ كُلّ من كان فى المسجد وخارجَه . فقال له : إنك لا تدرى أيها الإنسان بمن تُولَع ! مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فإنك قد حَبستها عنّا، ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك ، وقد أصبحتَ مُولعاً بذمّ أمير المؤمنين وتَقريظ المُجرمين . فقام معه أكثرُ من ثلاثين يقولون : صدق والله حُجر ! مُر لنا بأعطياتنا فإنّا لا نَنتفع بقولك هذا ولا يُجدى علينا . وأكثروا فى ذلك . فنزل

(١) الآية ١٣٥ من سورة النساء . (٢) أى صاح به صيحة من خيشومه .

المُغيرة بن شعبة ودَخل القصر . فاُستأذن عليـــه قومُه ودخلوا ، ولاموه فى اُحتماله حُجْراً . فقال لهم : إنِّى قـــد قتلتُه . قالوا : وكيف ؟ قال : إنه سيأتى أميرٌ بعدى يحسبه مثلى فيصنع به شبيهاً بما تَرونه ، فيأخذه عند أول وَهلة فيقتله شَرَّ قِتلة ، إنه قد اُقترب أجلى وضَعُف عملى ، وما أُحب أن أبتدىء أهل هذا المِصر بقتل خِيارهم وسَفك دمائهم ، فيَسْعدوا بذلك وأشقى ، ويَعزّ معاوية فى الدنيا ويذِل المُغيرة فى الأُخرى ، سيذ كروننى لو قد جَرّبوا العُمّال .

زياد وحجر — ثم تُوفى المُغيرة بن شُـعبة سنة خَمسين ، وجمع مُعـاوية بن أبى سفيان ولايةَ العراق لزياد . فدخل الـكوفة ، ووجَّه إلى حُجر بن عدىّ فجاءه — وكان له قبل ذلك صديقاً — وقال له : قـد بلغنى ما كُنت تفعله بالمُغيرة فيَحتمله منك ، وإنى والله لا أحتملك على مثـل ذلك أبداً ، أرأيتَ ما كنت تَعرفنى به من حُب علىّ ابن أبى طالب — رضى الله عنه — ووُده ، فإن الله قد سَلخه من صدرى وحَوَّله بُغضاً وعَداوة ، وما كنت تَعرفنى به من بُغض معاوية وعَداوته ، فإن الله تعالى قد سَلَخه من صدرى وحَوَّله حُبًّا ومودَّة ، وإنى أخوك الذى تَعهـد ، إذا أتيتَنى وأنا جالس فاُجلس معى على مجلسى . فإذا أتيتَ ولم أجلس فاُجلس حتى أخرج ، ولك عندى فى كل يوم حاجتان : حاجة غُدوة وحاجة عشيّـة ، إنك إن تستقم تَسلم لك دُنياك ودِينك ، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تُهلك نفسك ويَشيط عندى[1] دمُك ، إنى لا أحبُّ التنكيل قبل التَّقدمة ، ولا آخذ بغير حُجة ، اللهم اُشهد . فقال حُجر : لن يرى الأميرُ منّى إلا ما يُحب ، وقد نصح ، وأنا قابل نُصحه . ثم خرج من عنده . فكان يتّقيه ويَهابه . وكان زياد يُدنيـه ويُفضِّله ويُكرمه .

حجر وأصحابه مع عمرو بن حريث — وكان زياد يَشْتو بالبصرة ويُصيف بالـكوفة ، ويستخلف على البصرة سَمرة ابن جُندب ، وعلى الـكوفة عمرو بن حُريث . وكان يجتمع إلى حُجر جماعةٌ ممن

(١) يشيط دمك : يذهب .

يرى رأيه فى حُبّ علىّ — رضى الله عنه — والطّعن على مُعاوية . وبلغ ذلك زياداً ، فدعا حُجْراً ووَعظه . ثم خرج إلى البصرة . فجعل يجتمع عند حُجر جمعٌ عظيم من أصحابه حتى يملئون ثُلث المسجد أو نِصْفه ، وتُطيف بهم النَّظّارة ، ثم يرفعون أصواتهم بذَم مُعاوية وشتمه وشَتْم زياد . وبلغ ذلك عَمرو بن حُريث . فصَعِد المنبر ، واجتمع إليه أشرافُ أهل الكوفة ، فحثّهم على الطاعة والجماعة وحذّرهم الخلاف . فوثَب إليه جماعة من أصحاب حُجر يُكبّرون ويَشتُمون ، حتى دنوا منه فحَصبوه وشَتموه ، حتى نزل ودخل القصر ، وأغلق عليه بابَه . وكتب إلى زياد بالخبر .

زياد وأهل الكوفة

فأقبل حتى أتى الكوفة . فدخل القصر ، ثم خرج وعليه قَباء(١) سُندس ومِطْرف(٢) خزّ أخضر ، وحُجر جالس فى المسجد وعنده أصحابه . فصَعد المنبر وحذّر الناس ، ثم قال لشدّاد بن الهَيثم الهلالى : اذهب فأتنى بحُجر . فذَهب إليه فدعاه . فقال أصحابُه : لا يأتيه ولا كرامةً . وسبُّوا الشُّرط . فرجعوا إلى زياد فأخبروه . فقال : يا أشراف أهل الكوفة ، تَشُجُّون بيد وتأسُون بأخرى ، أبدانكم عندى وأهواؤكم مع الجهجاه(٣) الدَّيُّوث . أنتم معى وإخوتكم وأبناؤكم وعَشيرتكم مع حُجر . فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا فيما هاهنا إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلّ ما ظننت أن فيه رضاك فمُرنا به . فقال لهم : ليقُم كل واحد منكم إلى هذه الجماعة التى حول حُجر فَلْيدْع أخاه وابنه وذا قرابته ومن يُطيعه من عشيرته ، حتى تُقيموا عنه كلّ من استطعتم . ففعلوا ، وجعلوا يُقيمون عنه أصحابه ، حتى تفرّق أكثرهم وبقى أقلُّهم .

(١) القباء ، بالفتح : ثوب تجتمع أطرافه .
(٢) المطرف ، بالكسر والضم . ثوب يجعل فى طرفيه علمان .
(٣) الجهجاه : كأنه مركب من : جه جه ، وهى حكاية صوت الأبطال فى الحروب . يصيح الصائح بالناس يستنفرهم . والديوث : الذى لا يغار على أهله .

فلما رأى زياد خِفّة أصحاب حُجر قال لصاحب شُرطته : أُذهب فأْتني بحُجر ، فإن تبعك و إلا فمُرْ من معك أن يَنزعوا عَمَد السُّتور[١] ، ثم ليشدُّوا عليه حتى يأتوا به و يَضربوا مَن حال دونه . فلما أتاه شَدَّاد ، قال له : أَجب أمير المؤمنين . قال أصحابُ حُجر : لا ولا نُعمة عَين[٢] ، لا يُجيبه . فقال لأصحابه : علىّ بالعَمَد . فاشتدّوا[٣] إليها وأقبلوا بها . فقال عُمير بن يَزيد الكَلبىّ لحجر : إنه ليس رجل معه سَيف غيرى . قال : وما يُغنى عنّى سيفك . قال . فما ترى ؟ قال : فقم من هذا المكان فالحق بأهلك يَمنعك قومك . وزياد ينظُر على المِنبر إليهم. فغشُّوا حُجراً بالعَمد ، وضَرب رجل ــ يقال له : بكر بن عُبيد ــ رأسَ عمرو بن الحَمِق بعمود فوقع . وأتاه رجلان من الأزد ، فحملاه فأتيا به بعضَ دُور الأزد . ومضى حُجر ابن عدىّ إلى داره ، ومعه جماعة من أصحابه . وأمر زياد اليمن وهمدان ومذحج بأتّباعه . فلما انتهى حُجر إلى داره ورأى قِلّة أصحابه ، قال لهم : انصرفوا ، فما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم . فذَهبوا لينصرفوا ، فلحقتهم أوائل الخَيل من مَذحج وهمدان . فعطَف عليهم أصحابُه فقاتلوا عنه ساعة ، فجُرح بعضهم وأُسر البعض ، وأفلت سائر القوم . رجال زياد وحجر

وقَصد حُجر دار رجل من كِندة ــ يقال له : سليمان بن يزيد ــ فدخل داره . وجاء القوم فى طَلبه . فأَخذ سليمانُ بن يزيد سيفَه ثم ذهب ليَخرج إليهم . فبكا بناته ، فقال له حُجر : بئس والله ما تريد، لا أبا لك[٤] ! قال : أُريد والله أن ينصرفوا عنك ، فإن فعلوا و إلا ضاربتهم بسيفى ما ثَبت قائمه فى يدى دونك . هرب حجر وما كان من زياد

(١) فى غير التجريد : « السيوف » .

(٢) نعمة العين : قرتها . والعرب تقول : نعم ونعمة عين ، أى أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك . والكلام هنا على الضد من ذلك . والذى فى غير التجريد : « ولا كونه » .

(٣) اشتدوا إليها : عدوا وأسرعوا .

(٤) فى التجريد : « لا أبا لغيرك » .

فقال حُجر له : بئس والله ما دخلتَ به على بناتك ! أما فى دارك حائط أقتحمه أو خَوخة أخرُج منها ؟ فدلّه على خَوخة فى داره ، فخَرج منها وخرج معه فِتية يسلُكون به الأزقّة حتى أفضى إلى النَّخع . فقال : انصرفوا رحمكم الله . فانصرفوا عنه . فقصد دار عبد الله بن الحارث ـ أخى الأشتر ـ فدخلها . فبسط له عبد الله البُسط وتلقّاه بالبشر . فجاءت أَمَة سَوداء إلى الذين يطلُبونه فدلّتهم عليه ، فقصدوه . فخرج حُجر متنكّراً هو وعبد الله بن الحارث ، فنزلا داراً من دُور الأزد ، وأقاما بها يوماً وليلة .

زياد ومحمد بن الأشعث فى أمر حجر

ولما أعيا أمرُه زياداً دَعا محمّدَ بن الأشعث بن قيس ، فقال له : والله لتأتينّى بحُجر أو لا أدع لك نخلاً إلا قطعتُه ، ولا داراً إلا هدمتها ، ثم لا تَسلم منى بعد ذلك حتى أُقطعك إرباً إرباً . فقال : أمهلنى أطلُبه . قال : أمهلتُك ثلاثاً ، فإن جئت به وإلا فاُعدد نفسك من الهَلْكى . فأُخرج محمد نحو السجن وهو ممتقع اللون يُتَلّ تَلا عنيفاً[١] . فقال حُجر بن يزيد الكلبى : ضمِّنّيه وخَلِّ سبيلَه ليطلُب صاحبه ، فإنه مخلّى سِربُه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . فضمِّنه إياه . وبلغ حُجرَ بن عدى ما جرى لمحمد بن الأشعث مع زياد . فبعث إليه : إنه قد بلغنى ما استقبلك به هذا الجبّار العَنيد ، فلا يهولنّك شىء من أمره ، فإنى خارج إليك ، فاجمع نفراً من قومك فادخل عليه وسَله أن يُؤَمِّننى حتى يَبعثنى إلى معاوية فيَرى فىّ رأيه . فدخل محمد بن الأشعث إلى زياد فى نَفَر من كِندة ، وطلبوا إليه فيما سأله حُجر . فأجاب إليه . فأتَوه به . فلما دخل حُجر على زياد قال : مرحباً يا أبا عبد الرحمن ، حَرب فى أيام الحرب ، أو حَرب وقد سالم الناس ؟ على نفسها تجنى بَراقش[٢] .

(١) يتل : أى يكب على وجهه . والتلتلة بالسياق أنسب ، وهى السوق العنيف .

(٢) المثل : على أهلها تجنى براقش . وبراقش : كلبة ، دلت بنباحها الأعداء على أصحابها . وقيل فى تفسير هذا المثل غير ذلك . (اللسان : برقش – مجمع الأمثال للميدانى ٢ : ٤٢٢) .

فقال : والله ما خلعت يداً عن طاعة ولا فارقتُ جماعة ، و إنى لعلى بَيعتى . فقال : هيهات هيهات ! قال : ألم تؤمِّنى حتى آتى معاوية فيرى فىّ رأيه ؟ قال : بلى . انطلقوا به إلى السجن . فذهبوا به إليه .

تتبع زياد لأصحاب حجر

وأخذ زياد فى تتبع أصحاب حُجر . فخرج عمرو بن الحمق ، ورفاعةُ بن شداد، حتى نزلا المدائن ، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل ، فأتيا جبلاً فكمنا فيه . و بلغ عامل ذلك الرُستاق — وهو رجل من همدان . يقال له : عبيد الله[1] بن أبى بلتعة — خبرُهما ، فسار إليهما فى الجبل ، ومعه أهل البلد . فلما انتهى إليهما خرجا ، فأما عمرو بن الحمق فكانت بطنهُ قد استسقت فلم يكن عنده امتناع ، وأما رفاعة فوثب على فرس له جواد فنجا بنفسه .

مقتل عمرو بن الحمق

وأخذوا عمرو بن الحمق فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان — وهو ابن أم الحكم — فكتب إلى مُعاوية يُخبره بأخذه . فكتب إليه معاوية . إن عَمراً طعن عثمان — رضى الله عنه — تِسع طعنات ، و إنه لايُتعدى عليه . فاطعنه كما طَعن عثمان . فأخرجه عبدُ الرحمن فطَعنه تِسع طعنات . فمات فى الأولى منهن أو الثانية . و بعث برأسه إلى معاوية . فكان أول رأس حُمل فى الإسلام .

تعذيب زياد لصيفى بن فسيل

وجدّ زياد فى طلب أصحاب حُجر ، فأُتى بَصيفى بن فسيل الشَّيبانى ، فقال له زياد : يا عدو الله ، ما تقول فى أبى تُراب ؟ فقال : ما أعرف أبا تُراب . قال : ما أعرَفك به ، أما تعرف علىّ بن أبى طالب . قال : بلى . قال : ذلك أبو تُراب . قال : كلا ، ذلك أبو الحسن والحُسين . فقال له صاحب الشُّرط : أيقول لك الأمير هو أبو تراب ، وتقول : لا ؟ قال : فإن كذب الأمير أردتَ أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد . فقال له زياد : هذا أيضاً مع ذَنبك . علىّ بالعصىّ . فأُتى بها . فقال : ما قولك فى علىّ ؟ قال : أحسنَ قول أنا قائلُه فى عبد من عَبيد الله أقولُه

(١) فى التجريد : « عبد الله » .

فى أمير المؤمنين . قال : أضربوا عاتقه بالعصى حتى يلصق بالأرض . فضُرب حتى لَصق بالأرض . فقال : أقلعوا عنه . ما قولك فيه ؟ فقال : والله لو شرّحتمونى بالمُدى والمواسى ما زُلتُ عمّا سمعتَ . قال : لتلعننّه أو لأضربنّ عُنقك . قال : إذن والله تضربها قبل ذلك، فأسعدَ وتَشقى إن شاء الله . قال : أوْقروه بالحديد واطرحوه فى السِّجن .

إرسال زياد لحجر إلى معاوية ومعه كتاب منه

ثم أحضر زياد رُؤوس الأرباع ، فشهدوا على حُجر أنه جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة وعَيب[1] زياد ، وأظهر عذر أبى تراب والترحّم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه ، وإن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه على مثل رأيه . وكتب بذلك مكتوباً وفيه أسماء الشهود . ثم بعث حُجْرَ بن عدى مع وائل بن حُجر وكثير بن شهاب موكَّلين به وبأصحابه ، وعدَّتهم أربعة عشر رجلاً ، إلى مُعاوية ابن أبى سُفيان ، وهو بدمشق . فقدم بهم وائل وكثير فأنزلاهم بمَرج عذراء ، — وهى على أميال من دمشق — وقدما بكتاب زياد على معاوية ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله مُعاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين ، من زياد ابن أبى سفيان . أما بعد . فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، وأدا له من عدوّه، وكفاه مؤونة من بَغى عليه . إن طوائف من هذه التُّرابية[2]، رأسُهم حُجر ابن عدى، خَلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين ، ونَصبوا لنا حرباً فأطفأها الله عليهم وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيار المِصْر وأشرافهم وذوى النُّهى والدين فشَهدوا بما رأوْا وعلموا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبتُ شهادة صُلحاء أهل المِصر وخيارهم فى أسفل كتابى هذا .

---

(١) فى التجريد : « وعير زيادا » .

(٢) الترابية : نسبة إلى التراب . يريد : شيعة على بن أبى طالب ، وقد خلع عليه معاوية وأنصاره لقب : أبى تراب .

كتاب شريح إلى معاوية

ولمّا وصل الكتاب إلى معاوية تلبّث فى أمرهم أياماً . وورد عليه كتاب من شُريح بن هانىء ، وكان زياد قد كتب شهادته فى الكتاب الذى بَعث به إلى معاوية

ونسخة كتاب شريح :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله مُعاوية أمير المؤمنين ، من شُريح بن هانىء . أمّا بعد . فقد بلغنى أن زياداً كتب إليك بشهادتى على حُجر . و إن شهادتى على حُجر أنه ممن يُقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . حرام المال والدم . فإن شئت فاُقتله ، و إن شئت فدَعه .

بين معاوية وزياد

فكتب معاوية إلى زياد : فهمت ما اقتصصتَ من أمر حُجر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحياناً أرى أن قتلهم أفضل ، وأحياناً أرى أن العفو عنهم أفضل .

فكتب إليه زياد : قد عجبتُ من اُشتباه الأمر عليك مع شهادة أهل مصرهم عليهم ، فإن كانت لك حاجة فى هذا المصر فلا تردنّ حُجراً وأصحابه .

فهمّ معاوية حينئذ بقتلهم . واُستوهب جماعةٌ من معاوية ستةً من أصحاب حُجر ، كل واحد استوهب واحداً . فوهَبهم لهم . و بقى ثمانية . و بعث معاوية هُدبة ابن فيّاض القُضاعى ، والحُصين بن عبد الله الكلابى ، وآخر معهما — يقال له : أبو طريف — وأحدهم أعور . وأمرهم مُعاوية أن يَعرضوا على حُجر وأصحابه البراءة من علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — واللعن له ، فإن فعلوا تركهم وإلا قتلهم . فأتوهم عند المساء — وهم بمَرج عذراء — فقال كريم بن عَفيف الخثعمى ، وهو من أصحاب حُجر ، حين رأى الأعور : يقتل نصفنا وينجو نصفنا . فأطلق منهم ستة و بقى ثمانية . فعَرضوا عليهم البراءة من على — رضى الله عنه — فامتنعوا . فقدّموهم للقتل صبراً رجلاً رجلاً . فقال حُجر بن عدى : دعُونى أصلِّ ركعتين فإنى والله

ما توضأت إلا صلّيت . فقالوا : صلِّ . فصلّى، ثم انصرف فقال . والله ما صلّيتُ صلاةً قطُّ أقصر منهـا ، ولولا أن يروا أن ما بى جزع من المـوت لأحببتُ أن أستكثر منها . ثم قال : اللهم إنا نَستعيذك على أُمتنا فإن أهل الـكوفة شهدوا علينا و إن أهل الشـام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونى فإنى أول فارس من المُسلمين سلك فى واديها ، وأول رجل من المُسلمين نبحتْه كلابُها . فمَشى إليه هُدبة بن فياض بالسَّيف فأَرعدت فصائله[1] . فقال : كلا ، زعمت أنك لا تجزع من الموت ، فإنا ندعك وأبرأ من صاحبك ـ يعنى عليًّا رضى الله عنـه ـ فقال : مالى لا أجزع ، وأنا أرى قـبراً محفوراً ، وكَفناً منشورا ، وسيفاً مشهورا . و إنى والله إن جزعت فلا أقول ما يُسخط الله . فقتلوه .

نقل لابن واصل عن الطبرى

قلت :

روى الطبرى أن حُجرا ـ رحمه الله ـ قال : زمّلونى وأدفنونى فى ثيابى ، فإنى أرجو أن ألقى مُعاوية غداً على الجادّة .

فقتلوا ستة نفر . و بقى عبد الرحمن بن حسان العنبرى ، وكريم بن عفيف ، فإنهما قالا : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول فى الرجل مقالته . فلما مضَوْا بهما إلى معـاوية تبرأ كريم بن عفيف الخثعمى من على رضى الله عنه ، فأُطلق ، وأصرّ الآخر على عدم البراءة وأثنى على علىّ رضى الله عنه وطعن فى عثمان بن عفان رضى الله عنه . فبعث به معاوية إلى زياد فدفنه حيًّا . فنجا سبعة وقُتل سبعة .

الشعر الذى فيه الغناء و خبره

وقالت امرأة من كندة ترثى حُجراً . وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر قتل حُجر بن عدى :

ترفّع أيهـــا القمر المُنـير لعلّك أن ترَى حُجراً يَسيرُ

---

(١) الفصائل : جمع فصيلة . وهى القطعة من أعضاء الجسد .

يَسِـير إلى مُعاوية بن حرب ليقتلـه كذا زَعم الأمـير
ألا يا حُجر حُجر بنى عـدىّ تلقّتك السّـعادة والسُّرور
تحيَّرتِ[١] الجبابر بعـد حُجر وطاب لها الخَورنق[٢] والسَّدير

عائشة ومعاوية فى شأن حجر

وذكر أنّ عائشة ــ رضى الله عنها ــ بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يَستطلق حُجراً . فقدم على معاوية ، وقد قتلهم . فقالت له عائشة ــ رضى الله عنها ــ أين غاب عنك حِلْم أبى سفيان ، فقال : حين غاب عنى مثلك من حُلماء قومى . وحمّلنى ابنُ سُمَيّة فاحتملت ، فكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لولا أنّا لم نُغيِّر شيئاً قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ ما كُنا فيه، لغيّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان لمُسلماً ما علمتُه مُعتمراً .

وذُكر أن معاوية كان يقول لما حضره الموت : أى يوم لى من ابن الأَدبر طويل . يعني حُجرا . رحمهم الله كلهم ، وغَفر لهم ما اشتجروا فيه .

(١) فى غير التجريد : « تنعمت » .
(٢) الخورنق والسدير : قصران بظهر الحيرة كانا للنعمان بن امرىء القيس .

أخبار الرَّبيع بن زياد العبسي (*)

نسبه — هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفيان بن ناشِب بن هُزَيم (١) بن عَوذ ابن غالب بن قُطَيعة بن عبس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيلان بن مُضر بن نزار .

أمه — وأُمه فاطمة بنت الُخرشب . واسم الخرشب : عمرو بن النَّضْر بن حارثة بن أَنمار ابن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان ، وهى إحدى الُمنْجبات .

تعقيب لابن واصل — قلت : هى التى قيل فيها ، فاطمةُ بنت الُخرشب ، سيّدة نساء قومها . ولدت الكَمَلة من بنى عَبْس لم يُوجد كان مثلهم . والكَملة أولادها ، هم الربيع ، وعُمارة ، وأنس (٢) .

الكملة من أولاد فاطمة — وذُكر أنها ولدت من زياد بن عبد الله العَبْسى سبعة . فعدّت العرب الُمنجبين منهم ثلاثة ، وهم خيارهم . وكان يُلقب الربيع : الكامل ، وعمارة : الوهّاب ، وأنس : أنس الفوارس .

لفاطمة وقد سئلت أيها بنيها أفضل — وذُكر أن عبد الله بن جُدْعان لقى فاطمة هذه وهى تَطُوف بالكعبة ، فقال لها : نشدتُك الله بربِّ هذه البَنِيَّة ، أىّ بَنِيك أفضل ؟ فقالت : الربيع ؛ لا ، بل عُمارة : لا ، بل أنس ، ثَكِلْتُهم إن كنتُ أدرى أيهم أفضل .

ولها فى وصف أبنائها — وذُكر أنها قالت فى عُمارة : لا ينام ليلةَ يخاف ، ولا يَشبع ليلة يُضاف . وقالت

(*) قبل هذا ساق أبو الفرج أخبار «عزة الميلاء» . فرعنها ابن واصل .

(١) فى بعض أصول الأغانى : «هدم» ، فى بعض آخر : «هريم» .

(٢) زاد ابن حبيب فى المحبر (٣٩٨ ، ٤٥٨) : «قيساً» .

فى الربيع : لا تُعَدّ مآثره ، ولا تُخشى فى الجهل بوادرُه . وقالت فى أنس : إذا عزم أمضى ، وإذا سُئل أرضى .

قصتها هى وأولادها مع ضيف

وذُكر أنه ضاف فاطمةَ بنت الخُرشب ضيفٌ . فطَرحت عليه شَملة من خَزّ فلما أعتم دنا منها ، فصاحت به . فكفّ ، ثم إنه لم يَصبر ، فواثَبها فبطَشت به وهى من أشدِّ الناس ــ فقبضت عليه ثم قالت : يا قيس . فأتاها . فقالت : إن هذا أرادنى على نفسى ، فما ترى فيه ؟ فقال : أخى أكبر منى ، فعليك به . فنادت : يا أنس . فأتاها فقالت : إن هذا أرادنى على نفسى ، فما ترى فيه ؟ فقال لها : أخى أكبر منى ، فسليه . فنادت : يا عُمارة . فأتاها . فذكرت ذلك فقال لها : السيف، وأراد قتله . فقلت: يا بَنى ، أدعوا أخاكم فهو أكبر منكم . فدعت الربيع، فذكرت ذلك له . فقال : أتطيعوننى يا بَنى زياد ؟ قالوا : نعم. قال . فلاتُزنوا أمكم ولا تقتلوا ضيفكم ، وخلوه يذهب . فذهب .

خبر موتها

وذُكر أنه أغار حَمَل بن بدر ــ أخو حُذيفة بن بدر الفزارى ــ على بنى عَبس، فظَفر بفاطمة بنت الخُرشب ، وهى راكبة على جمل ، فقادها بجملها . فقالت : أى حَمَل ، ضلّ حِلْمك ، والله لئن أخذتنى فصارت هــذه الأكمة بى و بك أمامنا ، وصارت الأخرى وراءنا ، لا يكون بينك و بين بنى زياد صلح أبداً ، لأن الناس يقولون فى هذه الحال ما شاءوا ، وحسبك من شر سماعه . فقال : أذهب بك حتى ترْعَى على إبلى . فلما أيقنت أنه ذاهب بها رَمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت ، خوفاً أن يلحق بنيها عارٌ فيها .

ذكر
حرب داحس والغبراء (*)

قصة داحس

قيل : كانت داحس والغَبراء من الخيل الموصوفة المعروفة بالسَّبق ، وكانا لقيس ابن زُهير بن جَذيمة العَبْسىّ . وإنما سُمِّى داحس داحساً ؛ لأن أباه ـ المسمَّى ذا العُقّال ـ كان لحَوْط بن أبى جابر الرِّياحى . وكانت أمه جلوى لِقرواش بن عَوف الثَّعلبى اليَربوعى . فاتفق أن بنى يربوع احتملوا مَرةً ، وذو العُقّال مع ابنتين لحَوْط بجبانة . فرأى جَلْوى ، فرس قرواش ، فصهل وأدلى(1) فضحك شُبان من الحىّ ، واستحيت الفتاتان فأرسلتاه . فنزا على جَلْوى فَعلِقت منه . وبلغ حوْطا الخبرُ، فغضِب وقال : لا أرضى أبداً حتى آخذ(2) ماء فرسى . فوقع بين الحيَّين شرٌّ. ثم أجابته بنو ثَعلبة إلى أخذ ماء فرسه . فأدخل يده فى ماء وتراب ثم دَحسها فى رَحم جَلوى حتى ظَن أنه قد أخرج الماء . واشتملت الرَّحم على ما فيها وتَم عُلوقها ، فلذلك سُمى الفرس ، التى حَملت به جَلوى ، داحساً . ولما وُلد جاء شبيهاً بأبيه ، وخَرج من أجود الخيل .

غارة قيس بن زهير وخبر واصل

فأغار قيس بن زُهير على بنى يَربوع فلم يُصب أحداً غير ابنتى قرواش ومائة من الإبل ، وكان الحى خُلوفاً . فلم يحضر من رجالهم أحـــد غير غلامين ، فإنهما ركبا داحساً وهو مقيَّد فنجا بهما . فطَلب قيسٌ من الغلامين أن يُعطياه الفرس ويَرُد إليهما الابنتين والإبل، فأجاباه إلى ذلك . وسلّم إليهما ابنتى قرواش والإبل. ولما جاء قرواش لم يُعجبه ذلك ، وطَلب فرسه، فقُضى له أنه إن أخذ فرسه ردَّ الغنيمة إلى قيس بن زهير . فرَضى أن يأخذ قيس الفرس بعد شَر .

ثم إن رجلا من بنى عبس راهن رجـــلا من بنى بدر ، وقيس غائب ، على

(*) لم يفرد أبو الفرج هذه الحرب بعنوان وإنما ذكر أخبارها متصلة بأخبار « الربيع » .

(1) أدلى : أى أخرج جرذانه .   (2) فى غير التجريد : « أخرج » .

أربع جزائر من خمسين غلوة ــ والغلوة : الرمية بالنشابة ــ فلما جاء قيس كره ذلك وقال : لم ينته رهان قطُّ إلا إلى شَر . ثم أتى بنى بدر فسألهم المُواضعة . فقالوا ، لا حتى يُعرف سبقنا ، فإن أخذنا فحقُّنا ، وإن تركنا لحقنا . فغَضب قيس بن زهير ، وقال : أما إذ فعلتم فأعظموا الخطَر وأبعدوا الغاية . قالوا : فذاك لك . فجعلوا الغاية مائة غَلوة ، من واردات إلى ذات الإصاد[١] ، على عشرين جَزور ، وجعلوا قَصبة السبق على يدى رجل من بنى ثعلبة بن سعد ــ يقال له : حُصين ــ فأجرى قيس داحسا والغَبراء ، وأجرى حُذيفة الخطّار والحَنْفاء . ثم أرسلوا الخيل ، فجعل بنو فزارة كُميتاً بالثنّية . وجاء داحس سابقاً ، والغبراء خلفه مصلية ، وقد سبقتا خيلَ حذيفة . فاستقبلت بنو فزارة الغبراء فَلطموها[٢] حتى حَلئوها . ثم لطموا داحساً . فدفعت بنو فزارة بنى عبس عن سبقهم ، فلم تُطقهم بنو عبس أن يقاتلوهم . وإنما شهد ذلك من بنى عبس أبيات غير كثيرة . فقال قيس بن زهير ، يا قوم ، إنه لا يأتى قوم إلى قومهم شرا من الظلم ، فأعطونا حقّنا . فأبت بنو فزارة أن يُعطوهم شيئاً . فقالت بنو عبس: أعطونا بعض سبقنا . فأبوا . فقالوا : أعطونا جَزُوراً ننحرها ونُطعمها أهل الماء ، فإنا نكره المقالة فى العرب . فقال رجل من بنى فزارة : فإنه جزور وجزور واحد سواء ، والله ما كنا لنقر لكم بالسّبق ولم نُسبق . فقام رجل من بنى فزارة فقال : يا قوم ، إن قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان، وقد أحسن فى آخره ، وإن الظلم لا ينتهى إلا إلى الشر ، فأعطونا جزوراً من نعمكم . فأبوا . فقام إلى جزور من إبله فَعقلها ليُعطيها قيساً ويُرضيه . فقام ابنه فقال : إنك لكثير الخطأ ، تُريد أن تُخالف قومك وتُلحق بهم خزاية بما ليس عليهم . وأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنّعم . فلما رأى ذلك قيس احتمل هو وأهلُه ومن تبعه من بنى عبس ، ثم إن قيساً أغار عليهم فقتَل عوف بن بدر ، أخا حُذيفة ، فغضب بنو فزارة وهمّوا

(١) واردات : عن يسار طريق القاصد إلى مكة . وذات الإصاد : ردهة بين جبل فى ديار بنى عبس .

(٢) حلئوها : طردوها ومنعوها .

بالقتال . فحمل الربيع بن زياد دية عوف مائة من الإبل ، عُشراء مُتْلية ــ والعشراء: التى أتى على حملها عشرة أشهر من مَلقحها . والمتالى . التى نُتج بعضها والباقى يتلوها فى النتاج ــ وكان حذيفة أخا عوف لأُمه وأبيه . فاصطلح الناس . ومكثوا كذلك مدة . ثم إن مالك بن زُهـير ، أخا قيس ، ابتنى بامرأة ــ يقال لها : مليكة ، من فزارة ــ بمكان قريب من الحاجر . و بلغ ذلك حُذيفة ، فدس له فُرسانا على أفراس من جياد خيوله، وقال : لا تنظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه . وكان الربيع بن زياد مجاوراً لحذيفة ، وكانت تحت الربيع مُعـاذة بنت بدر . فانطلق القوم فلقوا مالكا فقتلوه ، ثم انصرفوا عشية وقد أَجهدوا أفراسهم ، فوقفوا على حُذيفة ، ومعه الربيعُ بن زياد ، فقال حُذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ قالوا : نعم ، وعقرناه . فقال الربيع ، ما رأيت كاليوم قط ، أهلكت أفراسك من أجل حمار . فقال حذيفة ، لمـا أكثر عليه الربيع من الملامة له ، وهو يحسب أن الذى أصابوه حماراً ! إنا لم نقتل حماراً . ولكنّا قتلنا مالك بن زُهير بعَوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمرو الله القتيل قتلت ! أما والله إنى لأظنه سيبلغ ما تكره . فتراجعا شيئاً من الكلام ثم تفرقا . فقام الربيع يطأ الأرض وطئاً شديداً . وأخذ حملُ بن بدر ذا النون سيفَ مالك بن زهير . فأرسل حُذيفة ــ لمـا قام الربيعُ ــ مُولّدة فقال : اذهبى إلى معاذة بنت بدر ــ امرأة الربيع ــ فانظرى ماذا ترَيْن الربيعَ يصنع . فانطلقت الجـارية حتى دخلت البيت ، فاندسّت بين الـكفاء [1] والنّضد . فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه ، فقبض بمَعرفته ، ثم مسح متنه حتى قبض بعُـكوة [2] ذنبه . ثم رجع إلى البيت ، ورُمحه مَركوز بفنائه، فهزه هزًّا شديداً، ثم ركزه كما كان . ثم قال لامرأته : اطرحى لى شيئاً . فطرحت له شيئاً ، فاضطجع عليه . وكانت قد طَهُرت

(١) الكفاء : شقة فى آخر البيت . و النضد : متاع يجعل على حمار من خشب .
(٢) العكوة : أصل الذنب .

تلك الليلة ، فدنت إليـــه . فقال : إليك ، قد حَدث أمر . ثم تغنّى وقال :

نام الخَلِيُّ فلم أغمِّض حارِ ... من سيِّء النبأ الجليل السّارِى
من مثله تمسِى النساء حواسراً ... ويقُمْن مُعْوِلةً مع الأسْحار

و بعد هذين البيتين الشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الرّبيع ابن زياد ، وهما :

من كان مَسروراً بمقتل مالك ... فَلْيأتِ نِسْوَتنا بوَجه نهارِ
يَجِدِ النِّساءَ حواسراً يندُبْنه ... يَلْطُمن أوجههن بالأحْجار

و بعد هذين البيتين :

قد كُنَّ يخبأن الوُجوه تستُّرا ... فاليومَ حين بَرَزْن(١) للنُّظّار
يَخمشنَ حرَّ وجوههن على فتًى ... سَهل الخليقة طَيِّب الأخبار
أفبعدَ مَقْتل مالك بن زُهَيْر ... ترجو النِّساء عواقبَ الأطْهار
ما إنْ أرى فى قتله لذوى النُّهى ... إلا المَطِىّ تُشدّ بالأكوار

فرجعت الأَمة فأخبرت حُذيفة بن بدر الخبرَ ، فقال : هذا حين اُجتمع أمر إخوتكم ، ووقعت الحرب . وقال الرّبيع لحُذيفة : سيِّرنى فإنى جاركم . فسيّره ثلاث ليال . ومع الربيع فضلة من خَمر . فسار ثلاث ليال ، فدسّ حذيفة فى أثره فوارس وقال : اتبعوه فإن مضت ثلاث ليال ووجدتموه قـد هَراق الخمر فارجعوا ، و إن وجدتموه ما هراقها فاتبعوه ، فإنكم تجدونه قـد مال لأدنى منزل فنزل فشرب ، فاقتلوه . فتبعه القوم فوجدوه قد شقّ الزِّق ومضى ، فانصرفوا . فأتى الربيعُ قومَه ، وكانت بينه و بين قيس بن زُهير شَحناء ، وكان قيس بن زهير يخاف خذلان بنى زياد إياه لتلك الشّحناء ، فأزالوا ما بينهم من الشحناء . واُجتمعت عَبس على حَرب

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بادون » .

بنى فزارة ، فأرسلوا إليهم : أن ردُّوا علينا إبلنا التى وَدَيْناها عَوفاً أخا حُذيفة لأمه . فقال : لا أعطيكم دِيَة ابن أُمى ، وإنما قَتَل صاحبَكم حَمَلُ بن بدر ، وهو ابن الأسديّة ، وأنتم وهو أعلم .

وذُكر أن تلك الإبل كانت قد أَتت عليها أربعُ سنين ، وأن حُذيفة أراد أن يُردَّها بأعيانها . فقال لها سِنان بن خارجة : أتريد أن تُلحق بنا خِزاية ، فتُعطيهم أكثرَ مما أعطَوْنا ، فَتَسُبّنا العربُ بذلك . فأمسكها حذيفةُ ، وأَبَى بنو عبس إلا إبلهم بعَيْنها .

ثم إن مالك بن بَدر خَرج يطلُب إبلاً ، فمرّ على بنى رواحة ، فرماه رجل منهم بسَهم . ثم إن الأسلع بن عبد الله العبسى مَشى فى الصُّلح بينهم . ورَهن عند بنى ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بنى أخيه حتى يصطلحوا على يدى سُبيع ابن عمرو ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . فمات سُبيع وهم عنده . وكان حُذيفة خال مالك بن سُبيع ، وكان سبيع أوصى ابنه مالكا بالرَّهن وألّا يُسلمه إلى حذيفة ، وخَوّفه العار فى ذلك . فلما مات سُبيع لم يزل حُذيفة بمالك حتى سلّم الغِلْمان العَبسيين إليه . وكان حُذيفة يُبرز كل يوم منهم غلاما ويجعله غَرضا ثم يَرميه فيقتله . ثم وقعت حَرب بن فزارة وعَبس ، وقُتل فيها سُبيع بن مالك ، والحارث ابن هرم ، وبدر بن ضَهضم . ولم يشهد تلك الحرب حُذيفة . ثم أن حذيفة ابن بدر جَمع وتهيّأ ، واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض . وبلغ بنى عَبس مسيرُهم إليهم ، فسرّحوا السَّوام والضِّعاف بلَيل ، وارتحلوا فى الصبح . فلما أصبحوا طلعت الخيل عليهم . فأمر قيس بن زُهير بني عبس أن يأخذوا غَير طريق المال . وجاء حُذيفة بمن معه فوجد عَبْسا قد أخذوا غيرَ طريق ما لهم ، فقال : أبعدهم الله ، وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم . فأتبع حُذيفة المالَ ، فلما أدركهم ردّ أوله على آخره فلم يفلت منه شىء . وجعل يَطْرُد ما قَدر عليه من الإبل فيذهب بها ، وتفرّقت

ذُبيان واشتد الحرُّ ، فقال قيس بن زهير لبنى عبس : يا قوم ، قد فرّق بينهم المغنم ، فأعطفوا الخيلَ فى آثارهم . فلم يشعر بنو ذبيان إلّا والخيــل فى آثارهم . ووضعت فيهم بنو عبس السلاح ، حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقيّة . ولم يكن لهم هَمّ غير حذيفة بن بدر ، فأرسلوا خَيلَهم فى طلبه ، فأدركوه بجَفر الهباءة ، وقد اشتد الحر ، فرمى بنفسه ، ومعه أخوه حمل بن بدر ، وحَنَش بن عمرو ، وورقاء بن بلال . وقد نزعوا سُروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا فى المــاء ، فضرب شدّاد بن معاوية ، أبو عنترة ، حَمَل بن بدر بين كَتفية ، ثم ضَرب الحارث بن زهير حَمَلا فقتله ، وقتل قرواش ابن هنىء حُذيفةَ بن بدر . وأخذ الحارث من حمل بن بدر ذا النُّون سَيف مالك بن زهير . وقال قيس بن زهير .

تعلَّمْ أنّ خيرَ النــاس مَيْتٌ ... على جِفر الهَباءة ما يَريمُ
ولولا ظُلمة ما زِلتُ أبكى ... عليه الدهرَ ما طَلع النُّجوم
ولــكنّ الفتى حَملَ بن بدر ... بَغى والبَغْىُ مَصرعه وَخيم
أظُن الحِلْم دلّ علىّ قومى ... وقد يُستجهل الرجلُ الحليم
فلا تنسَى المظالم لن[1] تراه ... يُمتّع بالغنى الرجلُ الظَّلوم
ومارستُ الرِّجال ومارسونى ... فمُعوَجٌّ علىّ ومُستقيم

(١) فى التجريد : « إن » .

ذكر خبر (*)
ليزيد بن معاوية بن أبى سفيان

يزيد وغزو الصائفة

ذُكر أنّ مُعاوية بن أبى سُفيان وجّه أبنه يزيدَ إلى بلدالرّوم ليغزوَ الصائفة، فبلغ القسطنطينية .

تعقيب لابن واصل

فقيل : إن السبب كان فى ذلك أنّ معاوية كانت له أمرأتان ، إحداهما مَيسون بنت بحدل ، وهى أم يزيد ، وكانت دقيقةَ الساقين ؛ وأمرأة أخرى جميلة ، وهى أم أبنه عبد الله ، وكان مغفلاً . فقالت أم عبد الله يوماً لأُم يزيد : لعن الله حمشاً بساقيك . فقال معاوية : إن يكن ذلك فولدها خيرٌ من ولدك . فقالت : إنما تقول ذلك لحبك لها . فقال : سأريك ، ثم أستحضر عبد الله وقال : اذكر حاجتك يا بنى . فقال : تَهب لى يا أمير المؤمنين حِماراً . ثم أستحضر يزيد ، فقال له : اذكر حاجتك . فسجد شُكراً لله تعالى وقال : أن تجعلنى ولىّ عَهدك ، وتُغزينى إلى القسطنطينية ، ليكون أول أمرى الجهاد فى سبيل الله ، وتَزيد الجند فى أعطياتهم ، لكل واحد عشرة دنانير ، وتُعلمهم أن ذلك بشفاعتى لتزداد محبّتى فى صُدورهم . فقال : قد فعلت . فقالت عند ذلك أم عبد الله : يا أمير المؤمنين ، أوْصه به وبولدى .

عود إلى غزو يزيد الصائفة

وقال أبو الفرج — فيما روى عن أبى عُبيدة — أنّ مُعاوية كان وجّه جيشاً إلى بلد الروم فأصابهم جُدرىّ ، فمات أكثرُ المُسلمين . وكان يزيدُ بن معاوية مُصطبحاً بدَير مُرّان (1) مع زوجته أم كلثوم ، فبلغه خبرُهم ، فقال :

(*) لم يفرد هذا الخبر أبو الفرج بترجمة ، وإنما ساقه مع ما قبله مفصولا بالصوت الذى فيه شعر الغناء ، وهو ليزيد بن معاوية .

(1) دير مران : بالقرب من دمشق .

إذا ٱرتفقتُ على الأنماط مُصطبحاً ... بدير مُرّانَ عنـدى أمُّ كُلثومِ
فما أُبالى بمـا لاقت جُنـودهمُ ... بالغَذْقَذُونة من حُمَّى ومن (١) مُومِ

فبلغ شعرُه معاويةَ فقال : والله ليلحقنّهم فَلْيُصبْه ما أصابهم . فخرج حتى لَحِق بهم، فبلغ القسطنطينيةَ . فنظر إلى قَينتين مغنيتين عليهما ثيابُ الدِّيباج ، فإذا كانت الحملة للمُسلمين ٱرتفع من إحداهما أصواتُ الدُّفوف والطُّبول والمزامير ، و إذا كانت الحملة للرُّوم ٱرتفع من الأُخرى مثلُ ذلك . فسأل يزيدُ بن معاوية عنهما، فقيل : هذه بنتُ ملك الروم ، وتلك بنت جَبَـلة بن الأيهم ، وكلٌّ واحدة منهما تظهر المَسرّة بما تفعله عشيرتها . فقال : والله لأسُرَّنَّها ـ يَعنى بنت جَبَلة ـ ثم لَفَّ العَسكر وحَمَـل حتى هَزم الروم فأجحرهم فى المدينـة ، وضرب باب قُسطنطينية بعَمود حديد كان فى يده ، فهَشمه حتى ٱنخرق ، فضُرب عليه لوحٌ من ذهب .

موت معاوية

وذُكر أنّ معاوية مات و يزيدُ فى الصائفة ، فأتاه البريدُ بنَعى أبيه ، فأقبل إلى دمشق ، وقال الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خَبر يزيد ، وهو :

جاء الـبريدُ بقِرطاس يَخُبّ به ... فأوجس القلبُ من قرطاسه جزَعَا
قُلنـا لك الويلُ ماذا فى صَحيفتكم ... قال الخليفةُ أمسى مُوثَقا (٢) وَجِعا

وتمام الشعر :

فمادت الأرضُ (٣) أو كادت تميد بنا ... كأنّ أغبر (٤) من أركانها ٱنقلعـا
أودى ٱبنُ هِندٍ فأودى المَجد يَتْبعه ... كذاك كانا جميعاً قاطنَـين معا

(١) غذقذونة : اسم جامع للثغر الذى منـه المصيصة وطرسوس وغيرهما . ويقال له : خذقونة ، أيضاً . (معجم البلدان) . والذى فى الأصل والأغانى : « بالفرقدونة » . تحريف . والموم : البرسام .
(٢) فى غير التجريد : « مثبتاً » .
(٣) فى غير التجريد : « مادت بنا الأرض » .
(٤) فى غير التجريد : « كأن ما عز » .

أغَرّ أبلج يُستسقى الغمام به لو قارع الناسَ عن أخلاقهم قَرَعا
لا يَرفع الناس ما يُوهى ولو جهدوا أن يَرْقعوه ولا يُوهون ما رَقعا
مَن لم تزل نفسُه تُوفى على[1] شَرف توشكْ مقاديرُ تلك النَّفس أن تقعا
لمّاوردتُ وبابُ القصر[2] مُنْصَفِق لصَوت رملةَ رِيع[3] القلبُ فانصدعا

وكان الذى تولّى غَسل معاوية ودفنه الضحاكُ بن قيس ، فخَطب الناس وقال : إنَّ ابن هند قد تُوفى وهذه أكفانُه على المنبر ونحن مُدرجوه فيها ومخلُّون بينه وبين ربه ، ثم هو البَرزخ إلى يوم القيامة .

ابن عباس وموت معاوية

وذُكر أن ابن عباس رضى الله عنه أتاه نَعْىُ معاوية وولايةُ ابنه يزيد، وهو يتعشّى مع أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع إلى فيه اللُّقمة ، فألقاها وأطرق هُنيهة وأنشد :

جَبل تَدكدك ثم مال بجَمْعه فى البَحر فاشتملت عليه الأبحُرُ

لله دَرّ ابن هِند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خُلقه ، وأعظم حِلمه ! فقطع عليه الكلامَ رجل من أصحابه وقال : أتقول هذا فيه ! قال : ويحك ! إنك لا تدرى مَن مضى عنك ، ومَن بقى عليك ، وستعلم . ثم قطع الكلام .

وصاة معاوية حين موته

وذُكر أن معاوية قال : إنى كنت أُوضىء رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم فكَسانى قميصاً وأخذت شَعراً من شعره ، فإذا أنا مِتُّ فكفِّنونى فى قميصه واجعلوا الشعر فى مِنخرى وأذنى وفَمى ، فلعلّ الله ينفعنى به شيئاً .

(١) فى غير التجريد : «وجل» مكان «شرف» .
(٢) منصفق : مغلق .
(٣) فى غير التجريد : «هد» .

ما تمثل به معاوية عند موته

وذُكر أنه تمثّل رحمه الله عند موته :

لَعمرىَ قد عُمِّرت فى المُلك بُرهة ودانت لىَ الدُّنيا بوَقْع البَواتِرِ
وأُعطيت جَمّ المال والمُلْك والنُّهى وسَلْم فما غُنْمُ الملوك الجبابر
فأضحى الذى قد كان ممّا يسُرنى كلمْح مضى فى المُزمنات الغوابرِ
فياليتنى لم أغنَ فى المُلك ساعةً ولم أغْن فى لذات عيشٍ نَواضر
وكنتُ كذى طِمْرَين عاش ببُلغة من الدّهر حتى زار ضَنْكَ المقابر

أخبار شريح القاضي

نسبه وشىء عنه

هو شُريح بن الحارث بن قَيس بن الجهم بن مُعاوية بن عامر بن الرائش. ابن الحارث بن مُعاوية بن ثَور بن مَرتع الكندى - وهو غير شُريح بن الحارث. الحارثى - ولى القضاء بالكوفة لعُمر بن الخطّاب - رضى الله عنه - ثم لعلىّ بن. أبى طالب - رضى الله عنه .

وقيل : إنه من ولد الفُرس . وعدادُه فى كندة .

عمره

وذُكر أنه عُمِّر مائة وعشرين سنة . وقيل : نيفاً وثمانين . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . وقيل بعد ذلك .

ولايته القضاء

وذُكر أنه ولى القضاء ستّين سنة من زمن عمر - رضى الله عنه - إلى زمن عبد الملك .

حكمه بين على ويهودى فى درع

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - عَرف درعاً له مع يهودى، فقال : يا يهودى ، درعى سقطت منى يوم كذا وكذا . فقال اليهودى : ما أدرى ما تقول ! درعى وفى يدى، وبينى وبينك قاضى المسلمين . فانطلقا إلى شُريح . فلما رآه شريح قام له عن مجلسه . فقال له على رضى الله عنه : أجلس . فجلس شريح . ثم قال : إن خصمى لو كان مُسلماً لجلست معه بين يديك ، ولكنى سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لا تساوُوهم فى المجلس ، ولا تَعودوا مرضاهم ، ولا تُشيِّعوا جنائزهم ، واضطروهم إلى أضيق الطرق ، وإن سبُّوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوهم . ثم قال : درعى وفى يدى . فقال شريح : صدقتَ والله يا أمير المؤمنين ، إنها لدرعُك كما قلت، ولكن لا بد من شاهد . فدعا قُنبراً ، فشهد

له . ودَعا اُبنه الحسن ، فشهد له . فقال : أما شهادة مولاك فقد قبلتُها ، وأما شهادة أبنك لك فلا . فقال علىّ ـ رضى الله عنه ـ : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الَحسن والُحسين سيِّدا شباب أهل الجنة . قال شريح : اللهم نعم . قال : أفلا تُجيز شهادة أحد سيدى شباب أهل الجنة[1]؟ ثم سلّم الدِّرع إلى اليهودى . فقال اليهودى : أمير المؤمنين مشى معى إلى قاضيه، فقَضى عليه ، فرضى به ! صدقتَ إنها لدرعك سقطتْ منك يوم كذا وكذا عن جَمل لك أورق فالتقطتُها ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمداً رسول الله . فقال علىّ ـ رضى الله عنه ـ : هذه الدِّرع لك ، وهذه الفرس لك ، وفَرض له فى سبعمائة[2]، ولم يَزل معه حتى اُستشهد معه يوم صفّين .

حديث زواجه بنت حدير

وحكى شريح القاضى قال :

انصرفتُ من جنازة ذات يوم مُظهراً[3] ، فمررتُ بدُور بنى تَميم ، فإذا اُمرأة جالسة فى سقيفة على وسـادة ، وتجاهها جارية رُؤد ـ يعنى التى بلغت ـ ولهـا ذؤابة على ظهرها ، جالسة على وسـادة ، فاستسقيتُ فقالت : اسقُوا الرجل لبناً ، فإنى إخاله غريباً . فلما شربتُ نظرتُ إلى الجـارية فأعجبتْنى ، فقلت : من هذه ؟ فقالت : زينب بنت حدير ، إحدى نساء بنى تميم . فقلت : أفارغة أم مشغولة ؟ فقالت : بل فارغة . فقلت ، أتُزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفئاً لها ، ولها عَم فاُقصده . فانصرفت وأرسلتُ إلى إخوانى القُراء ، ووفيت معهم صلاة العصر ، فإذا عَمّها جالس ، فقال : يا أبا أميـة ، حاجتك . قلت إليك . قال : وما هى ؟ قلت : ذُكرتْ لى بنت أخيك زينب بنت حدير . قال : ما بها رغبة عنك ، ولا بك عنها مقصر ، وإنك لنُهزة[4] . فحمدتُ الله وصلّيت على النبى ـ صلى الله عليه

(١) فى التجريد : « شهادة سيد شباب » . (٢) فى غير التجريد : « فى تسعمائة » .
(٣) مظهراً ، أى فى وقت الظهيرة . (٤) نهزة : فرصة ومغنم .

وسلّم ـ وذكرتُ حاجتى . فردّ الرجلُ علىّ وزوّجنى وبرّك القوم ونهضنا . فلما بلغتُ منزلى حتى ندمتُ ، فقلت : تزوجتُ إلى أغلظ العرب وأجفاها ، فهممت بطلاقها . ثم قلتُ : أجمعها إلىّ ، فإن رأيتُ ما أحب وإلّا طلقتُها . فأقمنا أياماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها . فلما أجلستْ فى البيت أخذتُ بناصيتها فبرّكت ، وأُخلى لى البيت ، فقلت : يا هذه ، إن من السنّة أن المرأة إذا دخلت على الرجل أن يصلى ركعتين ، وتُصلى ركعتين ، ويسألا الله خيرَ ليلتهما ، ويتعوذا بالله من شرها . فصليتُ وصلّت ، ثم التفت فإذا هى على فراشها [1] ، فمددتُ يدى ، فقالت : على رسلك . فقلت : إحدى الدواهى مُنيت بها . فقالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، إنى امرأة غريبة [2] ، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشد علىّ منه ، وأنت رجل غريب ولا أعرف أخلاقك ، فعرّفنى بما تُحب فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : الحمد لله وصلى الله على محمد ، قَدِمتِ خيرَ مقدم ، وقدِمتِ على أهل دار ، زوجك سيّد رجاله ، وأنت سيدة نسائه ، أُحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا . قالت : أخبرنى عن أحمائك ، أتحب أن يزوروك ؟ فقلت : إنى رجل قاضٍ وما أُحب أن يملونى . قال : فبتُّ بأنعم ليلة ، وأقمتُ ثلاثاً عندها . ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ، وكنتُ لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذى قبله ، حتى إذا كان عند رأس الحول دخلتُ منزلى ، فإذا عجوز تأمر وتنهى . قلت : يا زينب ، من هذه ؟ فقالت : أُمى فلانة . فقلت : حياكِ الله بالسلام . فقالت : يا أبا أُمامة [3] ، كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : كخير امرأة . فقالت : إن المرأة لا تُرى فى حال أسوأ خُلقاً منها فى حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ؛ فإن رابك منها ريب فالسّوط ، فإن الرجال والله ما حازوا إلى بُيوتهم شرّا من الورهاء [4] المتدلّلة . قلت . أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتنا الرّياضة

(١) فى التجريد : « فراش » .
(٢) فى غير التجريد : « عريبة » .
(٣) فى غير التجريد : « يا أبا أمية » .
(٤) الورهاء : الخرقاء بالعمل .

وأحسنت الأدب . وكانت فى كل حول تأتينا فتذكر هـذا ثم تنصرف . قال شريح : فما غضبتُ عليها قطُّ إلا مرةً كنت لها ظالماً ، كنت إمام قومى فسمعتُ الإقامة ، وقد ركعت ركعتى الفجر ، فأبصرت عقرباً ، فعجلتُ عن قتلها فأكفأت عليها الإناء ؛ فلما كنت عند الباب قلتُ : يا زينب ، لا تحرّكى الإناء حتى أجىء . فحرّكت الإناء فضربتْها العقرب ، وجئت فإذا هى تلوّى ، فقلت : مالك ؟ فقالت : لسعتنى العقرب . قال شريح للشعبى : فلو رأيتنى يا شعبى وأنا أفرك(١) إصبعها بالماء والملح ، وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب . وكان لى ياشعبى جارٌ يقال له : ميسرة ، فكان لا يزال يضرب امرأته ، فقلتُ :

رأيت رجالًا يضربون نساءهم ... فشلّت يمينى يوم أضرب زينبا
أأضربها فى غير جُرم أتتْ به ... إلىّ فما عُذرى إذا كنت مُذنبا
فتاة تَزين الحلى إن هى حُلّيت ... كأنّ بفيها المسك خالط مَحلبا

وقال فيها شريح الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار شريح ، وهـو : شعره الذى فيه الغناء

إذا زينبٌ زارها أهلُها ... حشدت وأكرمتُ زُوّارَها
وإنْ هى زارتْهُمُ زُرتهم ... وإن لم أجد(٢) لى هوًى دارَها
فسَلمى لمن سالمتْ زَينب ... وحَربى إذا أشعلت نارها
وما زلتُ أرعى لها عهدَها ... ولم أتّبع ساعةً عارَها

(١) فى غير التجريد : « أعرك » .
(٢) فى التجريد : « وإن لم يكن » .

أخبار مالك بن أسماء

نسبه و شيء من شعره

(١) ثم ذكر أبو الفرج مالك بن أسماء بن خارجة بن حُصين بن حُذيفة بن بدر الفزارى . وكانت أختُه هند تحت الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراقين ، وولّاه الحجاج أَصبهان ثم حبسه مُدة ، ولم أختر من شعره إلا قوله :

إنّ لى عنـد كُل نفحةِ بُستا ... ن من الوَرد أو من الياسميناَ

نَظرةً والتفــاتة (٢) أترجّى ... أن تكُونِى حللتِ فيما يلينا

(١) وقبل هذا ذكر أبو الفرج « أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص » ولكن ابن واصل مر عنها ولم يشر .

(٢) فى اللسان « يسم » : « لك أرجو » مكان « أترجى » ، وقد نسب البيتان فيه لعمر ابن أبى ربيعة .

أخبار زيد الخيل

نسبه

هو زَيد بن مُهلهل بن زَيد بن مُنيب بن عبد رضا بن مختلس بن ثَور بن عديّ ابن كِنانة بن مالك بن فاتك بن نَبْهان بن عمرو بن الغَوث بن جَلهمة ــ وهو طيء، سُمِّي بذلك لأنه كان يطوى المَناهل فى غزواته ــ بن أُدَد بن مَذْحج بن زَيد بن يَشْجُب بن عَريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب ابن قحطان .

إسلامه وتسميته زيد الخير

وكان زيد فارساً مِغْواراً مُظفَّراً شُجاعاً بعيد الصوت فى الجاهلية . وأَدرك الإسلام . وَفَد على النبيّ ــ صلّى الله عليه وسلم ــ فسمّاه زيدَ الخير .

شيء عنه وعن تسميته زيد الخيل

وهو شاعر مُقِلّ من شُعراء الفُرسان . إنما يقول الشِّعر فى غاراته ومُفاخراته وأياديه عند مَن مَنّ عليه . وإنما سُمِّى زيدَ الخيل لكثرة خَيله . ولم يكُن لأحد مِن قومه ولا لكثير من العَرب إلا الفَرس أو الفَرسان ، وكانت له خَيل كثيرة ، والمُسمّاة منها ستة ، وهى : الهطّال ، والكُميت ، والوَرْد ، وكامل ، ولاحق ، ودَؤُول .

أولاده

وكان له من الولد ثلاثة بنين ، كُلهم يقول الشعر ، وهم : عُروة ، وحُريث ، ومُهلهل .

شعره الذى فيه الغناء وسببه

وكان لزيد الخيل فَرس من خَيله ظَلَع فى بعض غزواته لبنى أسد ، فلم يتبع الخيل ، ووقف فأخذتْه بنو الصَّيداء ، فصلُح عندهم واستقل . فقال شعرَه الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

يا بنى الصَّيداء رُدُّوا فرسى   إنما يُفعل هذا بالذَّليلْ

عوِّدُوا مُهْرِى الذى عوّدته دُلَجَ اللّيل وإبطاء (١) القَتيل

واستباء الزّق من حاناته شائلَ الرِّجلَيْن مَعْصُوباً (٢) يمِيلْ

حديث وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم وإسلامه وموته

وذُكر أنه لما وَفد زيدُ الخيل على رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قَدم المدينة فى جماعة من طيىء ، فأناخوا ركابَهم بباب المسجد ودخلوا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقام زَيد ـ وكان من أجمل الرجال وأتمّهم ، وكان يركب الفرس المُشْرِف (٣) ورجلاه تخُطّان الأرضَ كأنه على حمار ـ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله . فقال : ومن أنت ؟ قال : زيد الخيل بن مُهلهل . قال : بل أنت زيد الخير . وقال : الحمد لله الذى جاء بك من سَهلك ومن جبلك ورقّق قلبك على الإسلام . يا زيد ، ما وُصف لى رجل قطُّ فرأيته إلا كان دون ماوُصف به ، إلا أنت فإنك فوق ماقيل فيك . فلما ولّى قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلم : أىّ رجل إن سَلم من آطام (٤) المدينة ! فأخذته الُحمّى ، فمكث بالمدينة سبعاً ، فاشتدّت الُحمّى به ، فخرج وقال لأصحابه : جنِّبونى بلادَ قيس ، فقد كانت بيننا حماسات (٥) فى الجاهلية ، ولا والله لا أُقاتل مُسلماً حتى ألقى الله . ونزل بماء لطيىء ، يقال له: فَردة ، فمكث بها سبعةَ أيّام ثم مات . فأقام عليه قبيصةُ بن الأسود المناحةَ سبعاً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب معه كتاباً لبنى نَبْهان . فلما مات ، وكانت امرأته على شركها ، ضربت راحلَته بالنار، فاحترق كتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

(١) الدليج : جمع دلجة ، وهى سير الليل كله .

(٢) استبأ الخمر : شراها ليشربها . وشائل الرجلين ، أى ممتلىء قد ارتفع مكان الرجلين منه .

(٣) المشرف : المنتصب الخلق .

(٤) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم ، بضمتين .

(٥) حماسات : جمع حماسة ، وهى المنع والمحاربة .

وذُكر أنه لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضربُ امرأة زيد الراحلةَ بالنار واحتراق الكتاب، قال: بؤساً لبنى نَبْهان.

قصته مع الشيبانى الذى خرج يكسب لآله

وذُكر أنه أصابت بنى شَيبان سنةٌ ذهبت بالأموال، فخرج رجلٌ منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرةَ، فقال لهم: كُونوا قَريباً من المَلك يُصبكن من خيره حتى أرجع إليكن. وآلى أليّةً ألّا يرجع حتى يكسبهن خيرا أو يموت. فتزوّد زاداً ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمُهر مُقيّد يدور حول خباء[1]، فقال: هذا أول الغنيمة. فذهب يَحلّه ويركبه. فنُودى: خلِّ عنه واْنج بنفسك. فنزل، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عَطن إبل مع تَطفيل الشمس، وإذا خِباء عظيم وقُبة من أدم. قال: فقلت فى نفسى: ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهل، وما لهذه القُبة بُدٌّ من رَبّ، وما لهذا العَطن بُد من إبل. فنظرت فى الخباء فإذا شيخ كبير قد اختلفت تَرْقوتاه كأنه نسر، فجلست خلفه؛ فلما وَجبت الشمس إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قطُّ أعظمَ منه ولا أجسم، على فرس مُشرف، ومعه أسودان يَمشيان جَنَبَتَيْه[2]، وإذا مائة من الإبل مع فَحلها، فبرك الفَحل وبركت حوله، ونزل الفارس فقال لأحد عبديه: أَحلب فُلانة ثم أسق الشيخ. فحَلب فى عُس[3] حتى ملأه، ووضعه بين يدى الشيخ وتنحّى. فكرع منه الشيخ مرةً ومرّتين ثم نزع. فثُرْت إليه فشربته. فرجع إليه العبد فقال: يا مولاى، قد أتى على آخره. فقال له: أُحلب فلانة. فحلبها، ثم وضع العُس بين يدى الشيخ، فكرع منه واحدة ثم نزع. فثُرت إليه فشربتُ نصفه، وكرهتُ أن آتى على آخره فأُتَّهَم. فجاء العبد فأخذه، وقال لمولاه: قد شرب ورَوى. فقال: دعه. ثم أمر بشاة فذُبحت، وشَوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعبداه. فأمهلت حتى إذا ناموا وسمعتُ الغَطيط ثُرت

(١) فى بعض أصول الأغانى: «مقيد يدور حول خباء».
(٢) الجنبة والجنب، بمعنى. (٣) العس: القدح الضخم.

إلى الفَحل فحللتُ عِقاله وركبتُه ، فاندفع بى ، وتبعتْه الإبل ، فسرتُ ليلتى حتى الصباح ، فلما أصبحتُ نظرتُ فلم أر أحداً ، فشَلَلتُها[1] شَلاًّ عَنيفاً حتى تعالى النهار . ثم التفتُّ فإذا بشىء كأنه طائر ، فما زال يدنو منّى حتى تبيّنته ، فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبى بالأمس ، فعقلت الفحل ونثلت كنانتى ووقفتُ بينه وبين الإبل . فقال : أحلل عقال الفحل . قلت : لا والله ، لقد خلفت نُسيّات بالحيرة وآليت أليّة ألّا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت . قال : فإنك ميت ، حُلّ عقاله لا أم لك . فقلت : ما هو إلا ما قلت لك . فقال : إنك لمغرور ، انصب لى خِطامه واجعل فيه خمس عُجَر[2] . ففعلتُ . فقال : أين تريد أن أضع سهمى ؟ فقلت : فى هذا الموضع . فكأنما وَضعه بيده . ثم أقبل يَرمى حتى أصاب الخمسة بخَمسة أسهم . فرددتُ نَبلى وحَططتُ قوسى ووقفت مُستسلماً . فدنا منّى وأخذ السيف والقوس ، ثم قال : أرتدفْ خَلفى ، وعَرف أنى الرجل الذى شربتُ اللبن عنده . فقلت : كيف ظنُّك بى ؟ فقال : أقبح[3] ظَنّ . قلتُ : وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى ؟ فقال : أترانا كنا نَهيجك وقد بتّ تُنادم مُهلهلا . فقلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل . فقلت : كن خير آخذ . فقال : ليس عليك بأس . فمضى إلى موضعه الذى كان فيه ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لى لسلمتُها إليك ، ولكنها لبنت مُهلهل ، فأقم علىّ فإنى على شرف غارة . فأقمتُ أياماً ، ثم أغار على بنى نُمير فأصاب مائة بعير ، فقال لى : هذه أحبّ إليك أم تلك ؟ فقلت : هذه . فقال : دونكها . وبعث معى خفراء من ماء إلى ماء ، حتى وردوا بى الحيرة .

(١) الشل : الطرد .

(٢) العجر : العقد ، الواحدة عجرة .

(٣) فى غير التجريد : « أحسن » .

شيء عن عروة ابنه

وكان عروة بن زيد الخيل فارساً شاعراً ، فشهد القادسية فحسُن فيها بلاؤه ، وشهد مع على بن أبى طالب رضى الله عنه صفّين ، وعاش إلى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فأراده على البراءة من علىّ رضى الله عنه ، فامتنع عليه ، وقال :

يحاولنى مُعاوية بن حرب ... وليس إلى الذى يَهوى سبيلُ
على جَحْدى أبا حَسن عليًّا ... وحقِّى من أبى حَسن جَليل

أخبار فندا

ثم ذكر أبو الفرج « فندا » مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص . وكان خليعاً مُتهتِّكا يجمع بين الرجال والنساء في منزله . وهو الذي يُضرب به المثل في الإبطاء ، فيقال : هو أبطأ من فند .

ذُكر أن عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فلقي عَيراً خارجة إلى مصر فخرج معهم . فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً ودخل على عائشة وهو يَعْدو فسقط ، وقد قرب منها فقال : تَعِست العجلة ! فقال في ذلك بعض الشعراء :

ما رأينا لسعيد مثلا   إذ بعثناه يجى [1] بالمِشْملهْ

غَير فِند بعثوه قابساً   فثوَى حولاً وسَبَّ العَجله

(١) في التجريد : « فجا » .

(٢) المشملة ، بكسر الميم : كساء تجمع فيه المقدحة بآلاتها . وقيل : هي بفتح الميم ، أي مهب الشمال . يعني الجانب الذي بعث نوح عليه السلام الغراب إليه ليأتيه بخبر الأرض أجفت أم لا . (انظر : مجمع الأمثال في : تعست العجلة) .

أخبار نُبيه بن الحجاج

نسبه هو : نُبيه بن الحجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعد بن سَهم بن عَمرو بن هُصيص أبن كَعب بن لؤى بن غالب .

أمه وأُمه وأم أَخيه «مُنبّه» : أَروى بنت عُميلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قُصى .

هو وأخوه ومقتلهما كان هو و خوه مُنبّه من وجوه قريش وذوى النّباهة فيهم ، وكانا ممّن نَصب لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة . وقُتلا معاً يوم بدر مشركَيْن .

شعره لزوجتيه وقد سألتاه الطلاق وكان نُبيه من شعراء قريش ، وهو القائل ، وقد سألته زوجتاه الطلاق :

سالتانى [1] الطلاق إذ رأَتانى ... قَلَّ مالِى قــد جئْتُمانى بِنُــكْرِ
فلعلِّى أن يكثُر المـــالُ عندى ... ويُخَلَّى عن المغارم ظَهرى
وتُرى أعبدٌ لنـــا وجياد ... ومَنــاصيف من ولائد عَشر
وَىْ كأَنْ مَن يكُنْ له نَشَب يُحْـ ... ـبَبْ ومن يفتقر يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

ما يروى له ويُروى له :

قالت سليمى إذ طرقتُ أزورها ... لا أبتغى إلا امرأً ذا مالِ
لا أبتغى إلا امرأً ذا ثروة ... كيما أَسُدّ [2] مَفاقرى وخِلالى
فلأحرصنّ علىٰ أكتساب مُحبّب ... ولأَ كسَبَنْ فى عِفَّة وجمـال

شعره الذى فيه الذناء وسببه وذُكر أن رجلاً من خثعم قَدِم مكة تاجراً ، ومعه أبنة له ، يقال لها : القَتول ، أوضأ نساء العالمين ، فَعلِقها نَبيه بن الحجاج وغَلب أباهـا عليها وأخذها . فقيل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تسألانى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسد » .

لأبيها : عليك بحلف الفُضول[١] . فأتاهم فشكا ذلك إليهم . فأتوا نُبيه بن الحجاج، فقالوا : أَخرج بنت هذا الرجل من عندك . فقال : لا أفعل . قالوا : فإنّا من عرفت . فقال : يا قوم ، متِّعونى بها الليلة . فقالوا: قَبحك الله ! ما أجهلك ! لا والله ولا شَخْب لِقحة[٢] . فأخرجها إليهم ، فأعطوها أباها . فقال نُبيه الشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخباره ، وهو :

حَىِّ الدُّويرة إذ نأتْ ... منّا على[٣] عُدوائِهـــا
لا بالفراق تُنيلنـــا ... شـيئًا ولا بلقائهـــا

وهذا الشعر من قصيدة ، ومنها :

أخــذت حَشاشة قلبــه ... ونأت فــكيف[٤] بنائها
لولا الفُضــول وأنه ... لا أَمن من[٥] عَدْوائها
لدنوتُ من أبياتهـــا ... ولطُفت حول خِبائهـــا
ولجئتهـــا أمشى بلا ... هَـادٍ إلى ظَلْمائهـــا
فشربتُ فَضْـــلة رِيقها ... ولبتُّ فى أحشائهـــا

(١) هو حلف قديم كان بمكة أيام جرهم ، على التناصف والأخذ للضعيف من القوى، والغريب من القاطن . وسمى حلف الفضول لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل .
(٢) اللقحة : الناقة الحلوبة . والشخب : ما خرج من الضرع من اللبن إذا حلب .
(٣) الدويرة : تصغير : دار . وعلى عدوائها ، أى على بعدها وتنائيها .
(٤) بنائها ، أى بنأيها .
(٥) عدوائها ، أى اعتدائها ، وهو بالقصر ومد للشعر .

ذكر حلف الفضول

ذُكر أن رجلاً من بنى زُبيد قَدِم مكة مُعتمراً فى الجاهلية ، ومعه تجارة ، فاشتراها منه رجل من بنى سَهم ، فأواها (١) إلى بيته ثم تغيّب ، فابتغى متاعَه الزُّبيدى فلم يقدر عليه . فجاء إلى بنى سَهم يَستعديهم عليه ، فأغلظوا له . فعرف أن لا سبيل إلى ماله ، فطوّف فى بُطون قريش يستعين بهم ، فتخاذلوا عنه . فلما رأى ذلك أشرفَ على أبى قُبيس (٢) ، حين أخذت قريش مجالسها ، فقال : سببه

يا آل فِهر لمَظلوم بضاعتُه ... ببَطن مكة نائى الدّار (٣) والنَّفَرِ
وأشعثٍ مُحرم لم يَقْض حُرمته (٤) ... بين المقام و بين الرُّكن والحَجَر (٥)
أقائمٌ من بنى سَهم بذمّتهم ... أم ذاهبٌ (٦) فى ضلالٍ مالُ مُعْتمر

فلما نزل أعظمت قريش ذلك ، فتكلّموا فيه ، فقال المكّيون (٧) : والله لئن قُمنا فى هذا لتغضبنّ الأحلاف . وقالت الأحلاف : والله لئن تكلّمنا فى هذا ليَغضبن المكِّيون . فقال ناس من قريش : تعالوا فلنكن حِلفاً فضولا دون المكّيين ودون الأحلاف . فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدعان ، وصَنع لهم طعاماً

(١) فى غير التجريد : « فلوى بها » . (٢) أبو قبيس : جبل بمكة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الحى » . (٤) فى غير التجريد :
* ومحرم شعث لم يقض عمرته *
(٥) الرواية فى غير التجريد :
* يا آل فهر وبين الحجر والحجر *
(٦) الرواية فى غير التجريد :
« أقائم من بنى سهم بخفرتهم * فعادل أم »
(٧) فى التجريد هنا : « الملكيون » وفى غير التجريد : « المطيبون » .

عظيماً كبيراً . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم معهم يومئذ قبل أن يُوحى الله تعالى إليه ، وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة . فاجتمعت بنو هاشم و بنو أسد و بنو زُهرة و بنو تَيم ، وتحالفوا على ألا يُظلم بمكة غريب ولا حُر ولا عَبد إلا كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقه ، و يُؤدوا إليه مَظلمته من أنفسهم ومن غيرهم . ثم عمدوا إلى ماء من زَمزم فجَعلوه فى جَفنة ، ثم بعثوا به إلى البيت فغُسلت به أركانه ، ثم أتوا به فشَربوه .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه

وروت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدعان حلف الفُضول ، أمَا لو دُعيت إليه اليوم لأجبتُ ، وما أُحب أن لى به حُمر النَّعم وأنى نقضتُه .

كلمة فى سبب تسميته

و يقال: إنه سُمى هذا الحِلف حلفَ الفضول ، لأن نفراً من جُرهم ، يقال لهم : الفَضل، وفضال ، والفُضيل ، كانوا تحالفوا على ما تحالفت عليه هذه البُطون .

ذكر خبر
الحبشة وسيف بن ذي يزن

ذو نواس وغزو نجران

ذُكر أنّ ملكاً من مُلوك اليمن ـ يقال له : ذو نُوَاس ـ غزا أهل نَجران وكانوا نصارى ، على دين المسيح عليه السلام . فدعاهم إلى اليهودية فامتنعوا ، فحصرهم . ثم إنه ظَفِر بهم وحَفر لهم الأخاديد وحرقهم بالنار ، وحرق الإنجيل وهَدم بِيعهم .

تعقيب لابن واصل

قلت : قيل : هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه (قُتل أصحابُ الأُخدود . النار ذات الوَقود . إذ هم عليها قُعود. وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود)[1] فإن هؤلاء القوم كانوا على شَريعة المسيح عليه السلام لم يبدّلوها ، وكان دين اليهود مَنْسوخاً .

قال أبو الفرج :

فرار دوس واستنجاده قيصر

ثم انصرف ذو نُواس إلى اليمن ، وأفلت منه رجلٌ . يقال له : دوس ذو ثعلبان ـ على فرس ، فَركضه حتى أعجزهم فى الرمـل ، ومَضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه ويُخبره بما صنع ذو نُواس بنَجران ، ومن قَتل من النصارى ، وأنه أخرب كنائسهم وبَقر النساء ، فما فيها ناقوس يُضرب به . فقال له قيصر : بَعُدت بلادى عن بلادكم ، ولكنى أبعث إلى قوم من أهل ملّتى من السُّودان قريباً منكم فينصرونكم . قال دوس ذو ثَعلبان : فذاك إذن . فقال قيصر : إن هـذا الذى أصنعه بكم أذل للعرب ، أن يطأها سُودان ليس ألوانهم على ألوانهم ، ولا ألسنتهم على ألسنتهم . فقال : الملك أنظر لأهل دينه ، إنما هم خَوله . فكتب قيصر إلى ملك الحبشة : أن انصر هذا الرجل الذى جاء يستنصرنى واغضب للنصرانية ، وأوطىء

(١) الآيات ٤ ـ ٧ من سورة البروج .

خروج أرياط إلى اليمن

بلادَهم الحبشة . فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة . فلما قرأ كتابه أمر أرياط ، وكان عظيماً من عظمائهم ، أن يخرج معه ينصرُه . فخرج أرياط فى سبعين ألفاً من الحبشة، وقوّد على جُنده قُواداً من رؤوسهم . وأقبل بفيلة ، وكان معه أبرهة . وكان فى عَهد ملك الحبشة إلى أرياط : إذا دخلتَ اليمن فاقتُل ثُلث رجالها ، وخرّب ثلث بلادهـا ، وابعث إلىّ ثلث نسائها ، فخرج أرياط فى الُجنود فحَملهم فى السُّفن فى البحر يعبُر بهم حتى ورد اليمن . وقد قدّم مقدّمات الحبشة . فرأى أهلُ اليمن جنـداً كبيراً ، فلما تلاحقوا قام أرياط فى جنده خطيباً فقـال : يا معشر الحبشة ، قد علمتمْ أنكم لن تَرجعوا إلى بلادكم ، هذا البحر بين أيديكم ، إن دخلتموه غرقتم ، و إن سلـكتم البرّ هلـكتم واتخذتْـكم العربُ عبيداً ، وليس لـكم إلا الصـبر حتى تموتُوا وتقتلوا عدوكم . وجَمع ذو نُواس جمعاً كثيراً ، وجاء إليهم فالتقوا واقتتلوا قتالاً شـديداً . فكانت الدولة للحبشـة ، وانهزم ذو نُواس وأصحابُه فى كل وجه . ولما تخوّف ذو نواس أن يُؤسرَ ركض فرسه فاستعرض به البحر وقال : الموت فى البحر أحسن من إسـارِ أسود . ثم أقحم فرسَه فى لُجّـة البحر ، فمضى به فرسُه فكان آخرُ العهـد به . واستولى أرياط على اليمن ، فقتَل ثلثا ، و بعث ثلث السبى إلى ملك الحبشة ، وخَرّب تلك البلاد ، وملك اليَمَن ، وهَدم حصونها . وكانت حصوناً منيعة ، منها : غُمدان .

مقتل أرياط وظهور أبرهة

فلما استقر مُلك أرياط أخذ الأموال ، وأظهر العطاء فى أهل الشرف . فغَضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم وترك فقراءهم . فشكا بعض الفقراء ذلك إلى بعض . فقال لهم قائد من قواد الحبشة ــ يقال له: أبرهة ــ : لو أن رجلا غضب لغضبكم إذاً لأسلمتموه حتى يُذبح كما تُذبح الشاة ؟ فقالوا : لا والمسيح ، ما كُنا لنُسلمه أبدا . فواثقوه بالإنجيل أنهم لا يُسلمونه حتى يموتوا عن آخرهم . فنـادى مناديه فيهم ، فاجتمعوا إليه . و بلغ ذلك أرياط ، فلم يصدِّق به، فقال له خاصته : فأرسل إليه ، فإن

أتاك فالأمر باطل ، و إن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال . فأرسل إليه : أن أجب الملك . فجثا على ركبتيه وخَرّ لوجهه وأخذ عُوداً من الأرض فجعله فى فيه ، وقال : أذهب إلى الملك فأخبره بما رأيتَ منّى ، أنا أخلعه ! أنا أشدُّ تعظيماً له من ذلك ، وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة . فرجع الرسولُ إلى أرياط فأخبره الخبر . فقال : ألم أقل لكم ! فقالوا : الملك أعقل وأعلم منّا . فلما ولّى الرسول من عند أبرهة وتوارى صاح أبرهة فى الفقراء من الحبشة ، فاجتمعوا معهم السلاح والآلة التى كانوا يعملون بها ويهدمون المُدن ، ثم صفّوا صفّا ، وصفوا خلفه آخر . فلما أبطأ أبرهة على الملك أرياط ، وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال ، ورأى أرياط خبر ما صنع أبرهة ، ركب فى الأشراف وأتباعهم فى السلاح وجاءوا بالفيلة ــ وكانت سبعة ــ فلما دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين ، ونادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة ، الله ربنا ، والإنجيل كتابنا ، وعيسى نبينا ، والنجاشى ملكنا ، علامَ يقتل بعضنا بعضا فى مذهب النّصرانية ، هذا رجل وأنا رجل ، فخَلّوا بينى و بينه فإن قتلنى عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء ، و إن قتلته سلمتُم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم مابقيتُ . فقال الأشراف والقُوّاد من الحبشة : قد أُخبرناك أنه قد صنع ما ترى ، وقد أبيتَ إلّا حسن الرأى فيه ، وقد أنصفك . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة ، وكان جميلاً . وكان أبرهة قصيراً دميا ضعيفَ الفؤاد . فاُستحيا أرياط من القُواد أن يجبُن ، فبرز بين الصفين . ومشى أحدهما إلى صاحبه ، وحمل عليه أرياط ، فضرب أرياط أبرهة ضربةً وقع منها حاجباه وعامّة أنفه . ووقع بين رجلى أرياط . فعَمَد أبرهة إلى عمامة فشد بها وجهه ، وسكن الدم والتأم الجرح ، وأخذ عودا فجعله فى فيه ، وقال : أيها الملك ، إنما أنا شاة فاُصنع ما أردت ، فقد أبصرت أمرى . ففرح أرياط بما صنع ، وكان قد سَمّ خنجراً وجعله فى بطن فخذه كأنه خافية نسر . فلما رأى أبرهة أن أرياط قد انكسر

عنه ، وهو ينظر يميناً وشمالاً ليراه قواد الحبشة ، أستل خنجره فطعنه فى فرج درعه فأثبته ، وخر أرياط على قفاه ، وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه . فسُمِّى أبرهة الأشرم بتلك الضربة التى شَرمت وجهه وأنفه . فانقادت له الحبشة ، وملك اليمن عشرين سنة . .

تعقيب لابن واصل عن غزو أبرهة مكة

قلت : إن أبرهة الأشرم هذا لمّا استقر ملكه بنى كنيسة عظيمة وأمر العرب أن تحُجها بدلاً عن الكعبة . فجاء رجل من العرب فأحدث فى الكنيسة . فغضب أبرهة وحلف ليغزونّ مكة وليهدمنّ الكعبة ـ شرفها الله ـ فتوجّه إليها بجنوده ومعه الفيل . فلما قرُب من مكة أرسل الله طُيوراً ترجُم العسكر بحجارة صغار ، فما يقع حَجر على شخص منهم إلا هلك . ففى ذلك نزل قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل) إلى آخر السورة . وكان مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة الفيل . ورجع أبرهة إلى اليمن وأعضاؤه تساقط عُضواً عُضواً .

استنجاد العرب بكسرى على الحبشة

قال أبو الفرج :

ثم ملك بعدَ أبرهة أبنهُ يكسوم . ثم ملك بعد يكسوم أخوه مَسروق بن أبرهة ، وأمه ريحانة بنت ذى يزن ، أخت سيف بن ذى يزن .

قيل : فلما طال على أهل اليمن البلاء ، مَشوْا إلى سيف بن ذى يزن الحِمْيَرىّ وكَلّموه فى الخُروج والانتصار للعرب من الحبشة . فخرج حتى أتى قيصر ملك الروم ، فكلّمه على أن ينصُره على الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على دينى وملّتى ، وأنتم على دين اليهود . فخَرج من عنده وقَصد كسْرى ملك الفرس . فلما حضر عنده قال : غُلبنا على بلادنا ودَخل الأحابيش علينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ، لأنى أبيض وأنت أبيض وهم سودان . فقال : بلادك بلاد بعيدة ، فلا أبعث معك جيشاً فى غير مَنفعة ولا أمر أخافه على ملكى . فلما أيأسه من النصرة أمر له

بعشرة آلاف وافٍ[(١)] وكساه كُسى . فلما خرج بها من باب كسرى فرّقها بين العَبيد والصبيان . فرأى ذلك أصحابُ كسرى ، فذكروه له . فأرسل إليه : ما صنعت بجائزة الملك تنثرها للناس ؟ فقال سيف : وما أعطانى الملك ! جبال أرضى ذهب وفضة . جئتُ الملكَ ليمنَعنى الظُّلم ولم آته ليُعطينى الدراهم ، ولو أردت الدراهم كان ذلك فى بلادى كثيراً . فقال كسرى : أنظر فى أمرك . فخَرج سيفٌ على طَمع ، فأقام عنده . فجعل كلما ركب كِسرى مركباً عَرض له . فجمع كسرى مرازبته فقال : ما ترون فى هذا العربى ، فقد رأيت رجلاً جلداً ؟ فقال قائل منهم : إن فى السجون قوماً قد حَبسهم الملك فى موجدة عليهم ، فلو بعث بهم الملك معه ، فإن قُتلوا استراح منهم ، وإن ظفروا بما يُريده هذا العربى فهو زيادة فى مُلك الملك .

خروج وهرز إلى اليمن

فقال كسرى : هــذا الرأى . فأمر بهم كسرى فأُحضروا ، فوُجدوا ثمانمائة رجل . فولّى أمرَهم رجلاً منهم ــ يقال له : وهرز ــ وكان رامياً شجاعاً ، وأعطاهم سلاحاً ، وحملهم فى البحر فى ثمان سَفائن ، فغَرقت سفينتان وبقى مَن بقى منهم ، وهم ستمائة رجل . فأرسوا إلى ساحل عدن . فلما أَرسوا قال وهرز لسيف بن ذى يزن : ما عندك ؟ فقد جئنا بلادك . قال : ما شئت من رجل عربىّ وفرس عربى . ثم إن رِجْلى مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . قال وهرز : أنصفت . فاستلحق[(٢)] سيفٌ من استطاع من اليمن . ثم زحفوا إلى مسروق ابن أبرهة . فجمع إليه جنده من الحبشة ، وسار إليهم ، والتقى العسكران ، وأتت أمداد العرب من أهل اليمن سيفاً . فبعث وهرز ابناً له على جريدة خيل ، فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر كيف قتالهم ، فناوشهم ابنُه وناوشوهم شيئاً من قتال . ثم تورط ابنــه فى هُلــكة لم يستطع التخلص منها ، فاشتملوا عليه فقتلوه . فازداد

(١) الوافى : درهم وأربعة دوانيق .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فاستجلب » .

وهرز عليهم حنقاً ، وسيىء العرب وفرحت الحبشة ، وأظهروا الصليب ، فأوتر وهرز قوسه ــ وكان لا يقدر أحد أن يُوترها غيره ــ فقال وهرز والناس على صُفوفهم : انظروا أين ترون ملكهم ، فقال سيف : أرى رجلاً قاعداً على الفيل تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . فقال وهرز ، اُتركوه . ثم وقف طويلًا ثم قال : انظروا هل تحول . فنظر سيف فقال : تحول على فرس . فقال هذا منه اختلاط . ثم وقف طويلًا فقال : انظروا هل تحول . فقال سيف : تحول على بغلة . فقال : أبنة الحمار ، ذلّ الأسود وذَلّ مُلكه . ثم قال لأصحابه : إنى سأقتله فى هذه الرمية ، فتأملوا النّشابة . وأخذ النشابة وجعل فُوقها فى الوتر ، ثم نزع فيها حتى ملأها ، وكان أيِّدا ، ثم أرسلها فصكت الياقوته التى بين عينى ملكهم مسروق ، وتغلغلت النّشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه . وحملت عليهم الفرس ، وانهزمت الحبشة فى كل وجه ، وقُتل ملكهم مسروق . وجَعلت حِمير تقتل من أدركت منهم ، وتُجهز على جريحهم . وأقبل وهرز يريد دُخول صنعاء ــ وكانت بقرب موضع اللقاء ــ فلما دنا من باب المدينة رآه صغيراً ، فقال : لا تدخُل رايتى منكسة أبداً ، اُهدموا الباب . فهدموا باب صنعاء ، ودخل ناصباً رايته وسِير بها بين يديه . فقال سيف بن ذى يزن : ذهب مُلك حِمير آخر الدهر ، لا يرجع إليهم أبدا .

فملك وهرز المدينة ، وقهر الحبشة ، وكتب إلى كسرى يُخْبره : إنى ملكت اليمن ، وهى أرض العرب القديمة التى يكون فيها ملكهم . و بعث بجوهر وعُود وزباد[1] وعنبر وأموال . فكتب إليه كسرى يأمره أن يمَلّك سيف بن ذى يزن على اليمن . ويقدم وهرز إلى كسرى ، فخلف سيفاً على اليمن فملكها ، وجعل يقتل رجال الحبشة و يبقر نساءها عمّا فى بطونها حتى أفناها إلّا بقايا منها أهل ذمة

(١) الزباد : الطيب .

وقلّة ، فاتخذهم خولًا . وكان قد آلَى ألّا يَشرب الخمر ولا يَمسّ امرأة حتى يُدرك ثأره من الحبشة . فجُعلت له حُلتان واسعتان فأتزر بواحدة وأرتدى الأخرى . وجلس على رأس غُمدان يشرب و بَرّت يمينه .

ملك سيف ووفود العرب عليه تهنئته

وأختُلف فى سَنة مُلك سيفِ اليمنَ ، فقيل : كان بعد مولد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بسنتين ، وأن وُفود العرب وأشرافها وشعراءها أتته للتهنئة . فأتتْه وُفود قريش ، وفيهم عبدُ المطلب بن هاشم ، وأبن عمه أُميـة بن عبد شمس ، وخويلد ابن أسد ، فى ناس من وجوه قريش ، فأتوه بصَنعاء فى رأس قصر له — يقال له : غُمدان — فاستؤذن لهم ، فدخلوا عليه وهو على شرابه ، وعلى رأسه غلام واقف ينثر فى مَفرقه المسك ، وعن يمينه ويساره المُلوك والمَقاول ، و بين يديه أُميـة بن أبى الصلت — وأسمه : عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن عُقدة بن عنزة بن عوف ابن قَسىّ ، وهو ثقيف — وهو يُنشده مدحه فيه :

ليطلُب الثأر أمثـالُ أبن ذى يزن ... فى البحر خيَّم [1] للأعداء أحوالَا
أتَى هِرَقْل وقـــد شالت نعـامتُه ... فلم يجد عنده النَّصر الذى ســـالا
ثم أنتحى نحو كِسرى بعـد عاشرةٍ ... من السِّـنين يُهين النفسَ والمـالا
حتى أتى ببَنى الأحرار يقـدُمهم ... تخـالهم فوق مَتْن الأرض أجبالا
لله دَرّهمُ من فِتيـــــةٍ صُـبُر ... ما إن رأيتُ لهم فى الناسِ أمثـالا
بِيضٌ مَرازبة غُلب أســـــاورة ... أُسدٌ تُرَبِّت [2] فى الغيضات أشبالا
فأشرب هنيئاً عليك التاج [3] مُرتفقا ... فى رأس غُمدان دَاراً منك محلالا
ثم أطل بالمسك إذ [4] شالت نعامتُهم ... وأَسْبل اليومَ فى بُرُديك إسـبالا

(١) خيم : ... (٢) تربت : تربى . (٣) مرتفقاً : متكئاً .
(٤) شالت نعامتهم ، أى بادوا وتعرقوا ، كأنهم لم تبق منهم إلا بقية . و النعامة : الجماعة .

تلك المكارمُ لا[1] قَعْبان من لَبَن شِيبا بماء فعادَا بعـــدُ أبوالا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج هذه الأخبار ، هو البيت الأول من هذه الأبيات والبيت الأخير .

فبدأ عبدُ المُطلب فاستأذن فى الكلام . فقال له سيف بن ذى يزن : إن كنت ممن يتكلّم بين يدى الملوك فقد أذنَّا لك . فقال عبد المطلب : إن الله أحلّك أيها الملك مَحَــلا رفيعاً ، صَعباً مَنيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومتــه ، وعزّت جُرثومته ؛ فى أكرم موطن ، وأطيب مَعْدن ؛ فأنت أبيت اللعن ملك العرب ، وربيعها الذى به تُخصب . وأنت أيها الملك رأس العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى إليــه تلجأ العباد ، فسلفك خير سلف ، وأنت منهم خير خلف ، فلن يخمل من أنت خلفه ، ولن يهلك من أنت سلفه ، نحن أهل حرم الله وسدنة بيتــه ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا لكشفك الكرب عن وجوه العرب . فنحن وفود التهنئة لا وفود المَرْزئة . فقال : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : عبــد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قال : نعم . فأدناه حتى أجلسه إلى جنبه . ثم أقبل على القوم وعليه وقال : مرحباً وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومناخاً سهلا ، ومَلِكا ربحلا[2] ؛ يعطى عطاء جزلا ، قدسمع الملك مقالتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأنتم أهل الشرف والنباهة ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم . ثم استُنهضوا إلى دار الضيافة والوفود . فأقاموا شهراً فيها لا يَصلون إليه ولا يُؤذن لهم فى الانصراف ، وأُجريت عليهم الأنْزال . ثم انتبــه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ، وأخلى مجلسه ثم قال : يا عبد المطلب ، إنى مُفْضٍ[3] إليك

(١) القعب : القدح الضخم .

(٢) ربحل : عظيم الشأن ، كثير العطاء .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مفوض » .

من سر عِلْمى أمراً لو يكون غيرك لم أَبح به ، ولكنى رأيتك موضعه فأطلعتُك عليه ، فَلْيكن عندك مطويًّا حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره : إنى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اُخترناه لأنفسنا فاحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيما ، وخطراً جسيما ، فيه شرف الحياة وفضل[1] الوفاة ، للناس عامة ، ولرهطك خاصة . فقال عبد المطلب : مثلك أيها الملك سَرّ وبَرّ ، فما هو ؟ فِداك أهل الوَبَر زُمرا بعد زمر . فقال سيف : إذا وُلد غلام بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أُبتُ بخَيرٍ ما آب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك وإكرامه وإعظامه لسألته أن يزيدنى فى البشارة ، لأزداد به سروراً . فقال سيف : هذا حينُه الذى يولد فيه ، أو قد وُلد ، واُسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفلُه جده وعمه . وقد ولدناه مرارا ، والله باعثُه جهاراً ، وجاعل له منّا أنصاراً ، يُعز بهم أولياءه ، ويُذل بهم أعداءه ؛ يضرب بهم الناس عن عُرض ، ويستبيح كرائم الأرض ، يخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله فصل ، وحكمه عدل ؛ يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويُبطله . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، عزّ جدك ، وعلا كعبك ، ودام مُلكك ، وطال عمرك ، فهل الملك مُخبرى بإفصاح ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ؟ فقال سيف بن ذى يزن : والبيت ذى الحُجب ، والعلامات على النُّصب ، إنك يا عبد المطلب ، لجدّه غير الكذب . فخرّ عبد المطلب ساجداً . فقال : اُرفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك . فقال له عبد المطلب : كان لى اُبنٌ وكنت به مُعجباً وعليه رفيقاً ، زوّجته كريمة من كرائم قومى اُسمها آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سمّيته محمداً ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه . فقال سيف : الأمر ما قلت لك ، فاحتفظ باُبنك

(١) فى غير التجريد : « وفضيلة » .

وأحذر عليه من اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم إليه سبيلا ، وأطوِ ما ذكرت لك عن هؤلاء الرّهط الذين معك فإنى لست آمن أن تدخلهم النَّفاسة من أن تكون له الرياسة، فينصبون له الحبائل، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون، وبطيئاً ما يجيبه قومه ، وسيلقى منهم عنتا ، والله مُفلج[1] حجته ، ومُظهر دعوته ، وناصر شيعته . ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مَبعثه لسرتُ بخيلى ورَجْلى حتى أصيّر يثرب دار مُلكى ، وإنى أجد فى الكتاب المكنون أن بيثرب استحكامَ أمره ، وأهل نُصرته وموضع قبره ، ولولا أنى أتوقى عليه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت أمره على حداثة سنه . ولكنى صارف ذلك إليك عن غير تقصير منى بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبُد وعشرة إماء ومائة من الإبل وحُلتين بُرودا ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكَرِش مملوء عَنبراً . وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال : يا عبد المطلب ، إذا حال الحوْل فأتنى . فمات ابن ذى يزن قبل أن يحُول عليه الحول . وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يَغبطنى رجل منكم بجَزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى شرفه إلى يوم القيامة . فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول ولو بعد حين .

سنة ملك بن ذى يزن

وقيل : إن السنة التى ملك فيها سيف بن ذى يزن كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم من العمر فيها ثلاثون سنة ، وأنها كانت بعد عام الفجار بعشر سنين ، وقَبل بُنيان قريش الكعبة بخمس سنين .

ملك أبرهة وخلفه من ملوك الحبشة

وهذا القائل قال : إن أبرهة ملك ثلاثاً وعشرين سنة ، وملك ابنه يكسوم

(١) فى غير التجريد : « مبلج » .

تسع عشرة سنة . وملك مسروق اثنتى عشرة سنة ، فهذه اثنتان وسبعون سنة من حين غَلبت الحبشة على اليمن إلى انفصال أمرهم .

وذُكر أن سيف بن ذى يزن كان قد اتخذ من الحبشة جماعةً يحملون الحراب بين يديه ، فركب يوماً يتصيّد ، وهم معه بحرابهم يسعَوْن بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً بينهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه بها حتى قتلوه . مقتل بن ذى يزن

أخبار أبى عطاء السّندى

نسبه — وهو أفلح بن يسار، مولى بنى أسد، ثم مولى عمرو[1] بن سماك بن حصين الأسدىّ.

مخضرم الدولتين — وهو مُخضرم الدّولتين: العباسية والأموية. ومنشؤه بالكوفة. وكان أبوه سِنديًّا لا يُفصح.

هو وسليمان ابن سليم — وكان فى لسان أبى عَطاء عُجمة شديدة ولَثغة، لا يكاد يُفصح. وفى ذلك يقول لسليمان بن سُليم الكِلابىّ، وقد قصده:

أعوزتْنى الرُّواة يابن سُليم ... وأبَى أن يُقيم شِعْرى لِسانِى
وغلَا بالّذى أُجمجم صدرى ... وجفانى لعُجمتى شَيطانى
وأزدرتْنى العُيون[2] إذا كان لونى ... حالكاً مُجْتَوًى من الألوان
فضربتُ الأُمور ظَهراً لبطَن ... كيف أحتال حيلةً للسانى
وتمنّيتُ أنّنى كنتُ بالشِّعـ ... ـرِ فصيحاً وبان بعضُ بَنانِى
ثم أصبحتُ قد أنختُ رِكابى ... عند رَحب الفِناء والأعطان
فاكْفِنى ما يضيق عنه رُواتى ... بفَصيح من صالحى الغِلمان
يُفهم الناس ما أقول من الشِّـ ... ـعر فإن البيان قد أعيانى
وأعتمدنى[3] بالشُّكر يا بنُ سليم ... فى بلادى وسائر البلدان
ستُوافيهمُ قصائد غُرّ ... فيك سبّاقة لكُلّ لِسان

---

(١) فى التجريد: «مولى بنى عنبر».
(٢) فى التجريد: «الرواة».
(٣) فى التجريد: «واعتقدنى».

فقديماً جعلتُ شكرى جزاء كُلّ ذى نِعْمة بما أَوْلانى
لم تزل تَشترى المحامد قِدْماً بالرَّبيح الغالى من الأثمان

فأمر له بوَصيف بربريّ فصيح، فسمّاه عطاء، وتكنّى به وروّاه شعره. فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه، أو مُذاكرة بشعر[1] أمره بإنشاده.

أموى الهوى وذُكر أن أبا عطاء السندى كان من أهل الهوى فى بنى أُمية والميل إليهم، وشَهد معهم حرب بنى العبّاس فأَبلى، وقُتل غلامُه عطاء وأُنهزم هو. وقيل إن المقتول أبنه لا غلامه. ولم يكن له نباهة فى أيام بنى العباس، وهجاهم فى آخر أيام المنصور.

هو والمنصور وذُكر أن أبا عطاء مدح أبا جعفر المنصور فلم يُثبه، وأظهر الأنحراف عنه لعلمه بمذهبه فى بني أمية، فعادوه المدح له. فقال له: يا ماص بظر أمه! ألست القائل فى عدو الله الفاجر نَصر بن سيّار ترثيه:

فاضت دُموعى على نَصرٍ وما ظَلَمتْ عينٌ تَفيض على نَصر بن سيّارِ
يا نَصر من للقاء الحرب[2] إن لَقِحت يا نصر بعدك أو للضّيف والجار
الخَنْدقّ الذى يَحمى حقيقته فى كل يوم مَخوف الشر والعار
والقائد الخيل قُبّاً[3] فى أعنّتها بالقوم حتى يلفّ الغار[4] بالغار
مِن كل أبيض كالمِصباح من مُضر يجلو بسُنته الظّلماء للسّارى
ماضٍ على الهول مِقْدام إذا اعترضت سُمر الرماح وولّى كُلّ فرّار
إن قال قولاً وفَى بالقول موعدُه إنّ الكنانىّ وافٍ غيرُ غدّار

(١) فى بعض أصول الأغانى: «أو مذاكرة لشعره أنشده».

(٢) لقحت، أى ثقلت واشتدت. تشبيهاً لها بالأنثى الحامل.

(٣) قبا: ضامرة. (٤) فى بعض أصول الأغانى: «القار بالقار».

والله لا أعطيتُك شيئاً أبدا . فخرج من عنده وقال عدةَ قصائد يذُمه فيها . منها قوله :

فليت جَوْر بنى مَروان عاد لنا وليت عَدْلَ بنى العبّاس فى النار

وقال أيضاً :

أليس الله يعلم أنّ قلبى يُحب بنى أُمية ما اُستطاعا
ومابى أن يكونوا أهلَ عدل ولكنّى رأيت الأمر ضاعا

وذُكر أَن المنصور لما أَمر الناس بلُبس السّواد لَبسه أَبو عطاء وقال :

لبستُ ولم أَكفُر من الله نعمة سوادًا إلى لونِى ودينًا مُلهوجَا
وبايعتُ كرهاً بيعةً بعد بَيعة مبهرجة إذ كان أمراً مبهرجا

هو وحماد الراوية فى بيت

وحكى حمّاد الراوية قال :

أَنشدت أَبا عطاء السندى هذا البيت :

إذا كنتَ فى حاجة مُرسلا فأرسل حكيماً ولا تُوصه

فقال أَبو عطاء : بئس ما قال ! قلت : فكيف كان يقول ؟ قال : كان يقول :

إذا أَرسلت فى أَمر رسولا فأفهمه وأَرسله أَديبَا
فإن ضيعت ذاك فلا تَلُمه على أَن لم يكن عَلم الغُيوبا

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أَبو الفرج أَخبار أَبى عطاء السندى ، هو :

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أَو لام الصَّديق فأَكثرَا
وصار على الأدنين كَلاً وأَوشكت صِلات ذوى القُربى له أَن تنكَّرا
فلاترضَ من عيش بدُون ولا تنم وكيف ينام الليلَ من كان مُعْسِرا

أخبار خالد بن يزيد

(*) هو خالدُ بن يزيدَ بن مُعاوية بن أبي سُفيان صَخْر بن حَرب بن أمية أبن عَبد شَمس بن عَبد مَناف . أبـوه

وأمه أُم هشام بنت هاشم بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمس . أمـه

وكان من رِجالات قُريش سخاءً وعارضةً وفَصاحة . وكان قـد شغل نفسَه بطَلَب الكيمياء ، وأفنى بذلك عُمره ، وأسقط نَفْسَه . شهرته

قلت : أصحابُ هذه الصناعة يجعلونه قُدوتهم و إمامهم و يتَمسّكون بنُصوصه . وعندى أنّ هذا لم يحصُل له ولا لغيره ، ولم يحصُلوا إلا على عمل الزَّيف والبَهْرج . تعقيب لابن واصل

ولما تُوفّى أبوه يَزيدُ بن مُعاوية وَلِى الخلافةَ بعده مُعاوية الأصغر بن يزيد بن معاوية . فلم يُقِم إلا شهراً ، ثم تُوفى . وكان خالد بن يزيد صغيراً ، فلم تؤل إليه الخلافة . وقدم من المدينـة مروانُ بن الحـكم بن العاص بن أُمية ، فبايعه بعضُ الناس بالشام ، و بايع بعضُهم لعبد الله بن الزبير ، وأجتمعت الزُّبيرية إلى الضحّاك أبن قيس الفِهرىّ ، وكانت بينه و بين مَروان وَقعـة عظيمة بمَرج راهط ، قُتل فيها الضحّاك وأنهزم أصحابه ، وأستقر الأمرُ لمَروان بن الحـكم ، فدَخل دمشقَ ، و بايعه الناسُ ، وأستوثق له مُلْك الشـام . ثم مَضى إلى مصر فملـكها . واجتمع لأبن الزبير الحِجاز والعراقان ، ومَضى مروان فى الخلافة عشرة أشهر ؛ ثم تُوفى ، وولى بعده أبنهُ عبد الملك ، وقُتل أبن الزبير فى أيامه ، وصَفت له الدنيا . كيف وثب مروان إلى الخلافة

وكان مروانُ لمّا غلب على الأمر تزوّج أم خالد بن يزيد بن معاوية . فقال زواج مروان بأم خالد ومقتله

(*) هنا بهامش الأصل : « بلغت قراءة على المؤلف ومعارضاً بأصله المنقول منه وهو بيده » .

مروان لخالد يوماً فى الملأ، وأراد تصغير شأنه : يأبن الرطبة الأُست . فقال خالد له : إنّ الأمير مُخْتبِر ، وأنت بهذا أعلم . ثم أتى أمه وقال لها : أنت صنعتِ بى هذا ! فقالت : دَعْه ، فإنّه لا يقولها لك بعد اليوم . فدخل مروان عليها فقال : هل أخبرك خالد بشىء ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، خالد أشدُّ تعظيماً لك من أن يذكُر لى شيئاً جرى بينك و بينه . فلما أمسى مروان وضعتْ مخدّة على وَجهه وقعدتْ عليها هى وجواريها حتى مات . فلما ولى عبدُ الملك الخلافة أراد قَتلها بأَبيه ، و بلغها ذلك ، فقالت له : أما إنه ما أشد عليك أن يَعلم الناسُ أن أباك قتلتْه أمرأة . فكفّ عنها .

هو وأخوه مع عبد الملك فى شأن الوليد ابنه

وذُكر أنه دخل عبدُ الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد ، فقال : لقد هممتُ اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك . فقال له خالد . بئس ما هممت به فى أبن أمير المؤمنين وولىّ عهد المسلمين ! فقال : انه لقى خيلى فنفّرها وتلاعب بها . فقال له خالد : أنا أكفيكه إن شاء الله . فدخل خالد على عبد الملك بن مروان ، وعنده الوليد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان ولى عهد المسلمين الوليد ، أبن أمير المؤمنين ، لقى خيل أبن عمه عبدالله بن يزيد فنفَّرها وتلاعب بها ، فشقّ ذلك على عبد الله . فنكس عبدُ الملك رأسه وقَرع القضيب بيده ، ثم رفع رأسه فقال : (إنّ الملوكَ إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجَعلوا أعزّة أهلها أذلّةً وكذلك يفْعلون) . فقال له خالد : (و إذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القولُ فدمّرناها تدْميرا) . فقال له عبد الملك : أتكلّمنى فيه وقد دخل علىّ لا يُقيم لسانَه لحنا . فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفَعلى الوليد تقول فى اللحن . قال : إن يكن لحّاناً فأخوه سُليمان . قال : وإن يكن عبدُ الله لحّاناً فأخوه خالد . فقال الوليد لخالد : أتكلمنى ولست فى عِيرٍ ولا نفير . فقال خالد : ألا تَسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا : أنا والله أبن العير والنَّفير ، جدّى عُتبة بن ربيعة صاحب النَّفير ،

وجدى أبو سُفيان صاحب العـــير . ولـكن لو قلت حُبيلات [١] وغُنيات ، والطائف صدقت ، ورحم الله عثمان .

هذا آخر الحديث .

تعقيب لأبي الفرج

قال أبو الفرج : إنمـا عيّره بأم مروان وأنها من الطائف . وترحم لعثمان لِرَدِّ عُثمانَ ـ رضى الله عنه ـ أباه الطَّريد [٢] .

تندره بمعاوية بن مروان

وذكر أن مُعاوية بن مروان كان ضعيف العقل ، فقـال له خالد بن يزيد : يا أبا المُغيرة ، ما أهونك على أخيك ، لا يُولّيك ولاية ؟ قال : لو أردتُ لفعـل . قال : كلا . قال : بلى والله . قال : فسَلْه أن يُولِّيك بيت لِهْيا [٣] . قال : نعم . فدخل معاوية بن مروان على أخيـه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ألستُ أخاك ؟ قال : بلى ، إنك لأخى وشقيق . قال : فولِّنى بيت لِهْيا . فقـال : متى عهدك بخالد ؟ قال : عشية أمس . فقال : إياك أن تـكلّمه . ودخل خالد على عبد الملك ، وعند معاوية أخوه ، فقال : كيف أصبحت يا أبا المغيرة ؟ قال : قـد نهانا هذا عن كلامك . فغلب عبدَ الملك الضحكُ ، فقام وتفرّق الناس عنه .

من نوادر معاوية ابن مروان

وذُكر أنه أفلت لمعاوية بن مروان هـذا بازٍ ، فصاح : أغلقوا باب المدينة لا يخرج .

وذكر أنه قال له رجل : أنت الشريف ابن أمير المؤمنين. وأخو أمير المؤمنين ، وابن عم أمير المؤمنين عثمان ، وأمك عائشة بنت معاوية بن أبى سـفيان ؟ قال : فأنا إذن كما قال القائل :

* مُردّد فى بنى اللَّخناء ترديدا [٤] *

---

(١) الحبل : شجر العنب ، واحدته : حبلة ، بالتحريك .

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد الحكم أباه إلى الطائف ورده عثمان .

(٣) بيت لهيا : قرية بغوطة دمشق . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « تردادا » .

هو ومحمد بن عمرو بن سعيد ابن العاص

وذكر أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص قَدِم الشام غازياً ، فأتى عمّته بنت سَعيد بن العاص ، وهى عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل خالدٌ فرآه ، فقال : ما يقدَم علينا أحد من الحجاز إلا اختار المُقام عندنا على المدينة . فظَنّ محمد أنه يُعرِّض به ، فقال له : وما يمنعه من ذلك وقد قدم قومٌ من المدينة على النَّواضح[1] فنكحوا أمك ، وسلبوا مُلْكك ، وفرّغوك لطلب الحديث ، وقراءة الكُتب ، وعمل الكيمياء الذى لا تَقدر عليه .

هو والحجاج فى خطبته رملة بنت الزبير

وذكر أنه لما قُتل عبد الله بن الزبير حَجّ خالد بن يزيد بن مُعاوية ، فخَطب رمْلة بنت الزُّبير بن العوام . فأرسل إليه الحجّاج بن يوسف حاجبَه عُبيد الله ابن موهب وقال له : ما كنت أراك تخطُب إلى آل الزبير حتى تُشاورنى ، وكيف خطبتَ إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ، وكذا قال جدُّك معاوية ، وهم الذين نازعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكُل قبيحة ، وشهدوا عليه وعلى جَدّك بالضلالة . فنظر إليه خالد طويلاً ثم قال : لولا أنك رسولٌ والرسول لا يُعاقب لقطّعتُك إرْباً إربا . ثم طرحتُك على باب صاحبك ؛ قل له : ما كنت أرى أن الأُمور بلغت بك إلى أن أشاورك فى خطبة النساء. وأما قولك : نازعوا أباك ، وشهدوا عليه بكل قبيحة ؛ فإنها قُريش يقارع بعضها بعضا ، فإذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تعاطُفهم وتراحمهم[2] على قدر أحلامهم وفضلهم . وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء ، فقاتلك الله يا حجاج ! ما أقل علمك بأنساب قريش ، أيكون العوام كفؤاً لعبد المُطلب بن هاشم فيزوّجه صفية ، ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خُويلد ، ولا تراهم أكفاء[3] لأبى سُفيان ؟ فرجع الحاجب فأعلمه . فقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فيها :

---

(١) النواضح : الإبل يستقى عليها الماء : الواحدة : ناضحة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تقاتلهم » . (٣) فى بعض أصول الأغانى : « أهلا » .

أليس يَزيد السَّيرُ فى كل ليلة ... وفى كل يوم من أحبّتنا قُربا
أحِنُّ إلى بنت الزُّبير وقد علتْ ... بنا العِيسُ خَرْقاً من تِهامة أو نَقبا
إذا نَزلت أرضاً تحبّب أهلها ... إلينا وإن كانت مَنازلها جَدْبا
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها ... مُلَيْحاً وجدنا ماءه بارداً عَذْبا
تَجُول خلاخيل النّساء ولا أرى ... لَرملة خَلخالاً يَجُول[١] ولا قُلْبا
أُحِبُّ بنى العوّام طُرًّا لحُبها ... ومن حُبها أحببت أخوالها كَلْبا

وزيد فى أبياته ونُسب إليه ولم يَقُله :

فإن تُسْلمى نُسلم وان تَتنصّرى ... يشُد رجالٌ بين أعينهم صُلْبا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد بن يزيد ، هو الخامس والسادس والسابع .

هو وعبد الملك فى شعر نسب إليه

فقال له عبد الملك بن مروان يوماً : تنصّرت يا خالد . قال : وما ذاك ؟ فأنشده هذا البيت .فقال له خالد : على من قاله وعلى من نَحلنيه لعنةُ الله .

تعقيب لابن واصل

قلت : كان مقصود عبد الملك الغضّ من خالد بكل طريق ، لأنه كان يعلم أنّ أهل الشام إليه أميل ، بسبب مَيلهم إلى أبيه يزيد وجده مُعاوية ، وأنهم صنائعهما ، وآل حَرب فى قُريش أشرف من آل أبى العاص .

شىء عن رملة

وكانت رملة هذه أُخت مصعب بن الزبير لأُمه ، أُمهما الرَّباب بنت أُنيف ابن عُبيد بن مَصاد بن كعب بن عُليم بن جناب بن هُبل[٢] ، من كلب .

وكانت رَملة قبل خالد عند عُثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حزام بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى ، فولدت له رَملةُ عبدَ الله بن عثمان ، وهو أحد أزواج سُكينة بنت الحُسين بن على .

(١) القلب ، بالضم : من الأسورة ما كان قلدا واحدا .

(٢) فى غير التجريد : « عليم بن عتاب بن ذهل » . وانظر : جمهرة أنساب العرب (٤٢٦) .

رملة وسكينة

وذُكر أن سُكينة نشزت على عَبد الله هـذا ، فدخلت رملة — وهى عند خالد بن يزيد — على عبد الملك بن مروان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو أن لنا من يدبِّر أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ، سُكينة بنت الحسين قد نَشزت على أبنى . قال : يا رملة ، إنها سُكينة . قالت : وإن كانت سكينة ، فوالله لقد ولدنا خيرَهم ، وأنكحنا خيرهم — تعنى بمن ولدوا : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن نكحوا : صفيّةَ بنت عبد المطلب ؛ ومن أنكحوا : رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رملة ، غرّنى منك عروة بن الزبير . قالت : ما غرك ، ولكن نصح لك ، لأنك قتلت أخى مُصعبا فلم يأمنِّى عليك .

أخبار
عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق

رضى الله عنهما

نسبه وٱسم أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ عبد الله . وكان ٱسمه فى الجاهلية عَتيقاً، فسمّاه رسولُ الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن أبى قُحافة . وٱسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرة بن كعب بن لُؤى بن غالب . يلتقى هو ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مُرة بن كعب ، وهو السابع من آباء رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، والسابع من آباء أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه .

وكان ٱسم عبد الرحمن: عبد العزّى ، فسمّاه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الرحمن .

أمه وأُمه وأُم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ أُم رُومان بنت عامر بن عُوَيمر ٱبن عبد شَمس بن عتّاب بن أُذينة بن سبيع بن دَهمان بن الحارث بن غُنْم ٱبن مالك بن كِنانة بن خُزيمة .

إسلامه ولعبد الرحمن صُحبة بالنبىّ صلّى الله عليه وسلم . ولم يهاجر مع أبيه لصغر سنه ، فبقى بمكة ، ثم خرج قبل الفتح فى فتية من قُريش .

وقيل : كان إسلامه و إسلام مُعاوية بن أبى سفيان فى وقت واحد .

واحد من أربعة امتنعوا عن بيعة يزيد ولما بايع مُعاوية بن أبى سفيان لٱبنه يزيدَ بن مُعاوية بولاية العَهد كان عبدُ الرحمن أحدَ الأربعة الذين ٱمتنعوا من البَيعة له ، وهم : الحسين بن علىّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر . قال

عبد الرحمن : تريدون أن تجعلوها كِسْروِيّة أو هِرقليّة ، كلما مات كسرى أو هِرقل مُلِّكَ كسرى أو هرقل . فقال مروان بن الحكم ـ وكان والياً على المدينة من قبل معاوية ـ : أيها الناس ، هذا الذى قال لوالديه :(أُفٍّ لكما أتَعدانني أن أخرج وقد خَلت القُرون من قبلى) .

موقف عائشة

فصاحت به عائشة رضى الله عنها : ألعبد الرحمن تقول هذا ! كذبت والله ، ماهو به ! ولو شئتَ أن أسمى الذى نزلتْ فيه لسميتُه ، ولكنى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَعن أباكَ وأنت فى صُلبه ، فأنت فَضَضٌ[1] من لعنة الله .

وفى رواية أن عائشة رضى الله عنها قالت : يا مروان ، أفينا تتأول القرآن ، و إلينا تَسوق اللعن ! والله لأقومن يوم الجمعة بك مُقاما تودّ أنى لم أقمه . فأرسل إليها بعد ذلك وترضّاها واستعفاها ، وحلف أنه لا يصلِّى بالناس أو تُؤَمّنه .

هو وابنة الجودى وشعره فيها

وذُكر أن عبد الرحمن قَدم إلى الشام فى تجارة ، فرأى ابنةَ ملك من مُلوك الشام من غسّان على طِنفسة وحولها ولائد ، وكان يقال لأبيها : الجودى ، وهو الُجودى بن عدى بن عمرو بن أبى عمرو .

وذكر أنه كان مَلك دمشق فأعجبته واستهام بها ، وذلك قبل أن يفتح الله الشام على المُسلمين ، فقال فيها :

تذكّرت لَيلى والسماوةُ بيننا فما لابنة الجوديِّ لَيلَى وما لِيَا
وأنَّى تَعاطى قلبُه حارثيّةً تحُلّ ببُصْرى أو تحُلّ[2] الجوابيا
وكيف تلاقيها بلَى ولعلّها إنِ الناس حجُّوا قابلاً أن تَلاقيا

(١) أى خرجت من صلبه متفرقاً . تعنى ما انفض من نطفة الرجل وتردد فى صلبه . وقيل: إنها أرادت : أنك قطعة منها وطائفة .

(٢) الجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض . والذى فى الأغانى : « الحوانيا » والحوانى : جمع حانية ، وهى الحانة .

هو وأبوه عمر فى شأنها

وذُكر أن عمر رضى الله عنه قال لعبد الرحمن : مالك ولها يا عبد الرحمن ؟ فقال : والله ما رأيتها قط إلا ليلة فى بيت المَقدس فى جَوارٍ ونساء يتهادَيْن ، فإذا عثرت إحداهن قالت : يا ٱبنة الُجودى .

شعره فيها الذى فيه الغناء

وقال فيها عبد الرحمن الشعرَ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارها ، وهو :

يا ٱبنة الُجودى قلبى كئيبُ ... مُستهام عندها ما يُنيبُ
جاورتْ أخوالَها حيَّ عُكل ... فلعُكل فى فؤادى نَصيب

ما كتب به عمر إلى صاحب الثغر فى شأنها

وٱختلف فيما آل إليه أمرُ عبد الرحمن فى ذلك ، فقيل : إن عمر رضى الله عنه كتب إلى صاحب الثغر الذى به : إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غَنَّمتُ عبد الرحمن ابن أبى بكر ٱبنةَ الُجودى . فلما فتح الله عليهم غَنَّموه إياها .

تسليم أبى بكر لها إياه

وقيل: إن المسلمين لما فتح الله عليهم ، وقَتلوا أباها، أصابوها ، فقالوا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : يا خليفة رسول الله ، أعط هذه الجارية عبدَ الرحمن فقد سلّمناها له . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أ كُلكم على ذلك ؟ قالوا : نعم . فأعطاه إياها .

شىء عنها

قيل : وكان لها بساط فى بلدها لا تَذهب إلى الكَنيف ولا إلى حاجة إلا بُسط لها ورُمى بين يديها بُرمّانيتين من ذهب تتلهّى بهما فى طريقها .

هى وعبد الرحمن فى بكائها

وكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها ثم رجع إليها رأى فى عينيها أثر البكاء ، فيقول : ما يُبكيك ؟ ٱختارى خصالا أيها شئتِ فعلتُ : إما أن أعتقك وأنكحك ؟ فتقول : لا أشتهيه . وإن شئت رددتك على قومك ؟ فتقول: ولا أريد . فيقول : وان أحببت رددتك على المسلمين ؟ فتقول : ولا أريد . فيقول أخبريني ما يبكيك ؟ فتقول : أبكى الُملك فى يوم البؤس .

عود عائشة فى أمرها

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : كنت أكلّمه فيها وفيما يَصنع بها ، فيقول : يا أُخيّة ، دعينى ، فوالله لكأنى أترشّف من ثَناياها حَبَّ الرُّمان . ثم ملّها وهانت عليه . فكُنت أُكلّمه فيها ليثنى إليها ، كما كنت أكلمه فى الإحسان إليها .

تجهيزها إلى أهلها

وذكر أن عائشة رضى الله عنها قالت له : لقد أحببتَ ليلى فأفرطتَ ، وأبغضتها فأفرطت ، فأما أن تُنصفها وإما أن تُجهزها إلى أهلها . فجهزها إلى أهلها .

وفاته وتمثل عائشة بشعر على قبره

وذُكر أن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه تُوفى بالحُبْشِيّ — جبل فى مكة على أميال — فقدمت عائشة رضى الله عنها فوَقفت على قبره ، ثم قالت :

وكُنا كندمانَى جَذيمة حِقبةً ... من الدّهر حتى قيل لن يتصدّعَا
فلما تَفرقنا كأنّى ومالكاً ... لطُول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعا

أخبار حاتم الطائي

نسبه

هو حاتم بن عبد الله بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدىّ بن أخزم بن أبى أخزم ـ واسمه هزومة ـ بن ربيعة بن جَرول بن ثُعل بن عَمرو بن الغَوث ابن طيىء، وهو جَلهمة. وقد تقدمت بقية النسب.

كنيته

ويكنى: أبا سُفانة، وأبا عدىّ، بابنته وابنه.

ولداه

وقد أدرك عدىّ وسُفانة الإسلام فأسلما.

حديث على بن أبى طالب

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال: ياسبحان الله! ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير! عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة لا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كُنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً، ولا ننتظر ثواباً ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغى أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النّجاة. فقام رجل فقال: فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وما هو خير منه: لما أُتينا بسبايا طيىء كان فى النساء جارية جمّاء حوراء[1]، لَعساء لَمياء[2]، شماء الأنف، مُعتدلة القامة، دَرماء[3] الكعبين، خدلّجة[4] الساقين، لفّاء[5] الفَخذين، خَميصة الخصر، ظاهرة الكَشحين، مصقولة المَتنين، فلما رأيتها أُعجبت بها، فقلت: لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) جماء: كثيرة اللحم. والرواية فى غير التجريد: «حماء». والحماء: السوداء.

(٢) لعساء: يعلو شفتها سواد وهى بيضاء. ولمياء: أى لطيفة الشفتين رقيقتهما.

(٣) درماء الكعبين: مستويتهما.

(٤) خدلجة الساقين: ممتلئتهما.

(٥) لفاء الفخذين: ملتفتهما.

أن يجعلها من فَيْئى. فلما تكلمت أنسيتُ جَمالها لما سمعتُ من فصاحتها، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تُخلى عنى ولا تُشمت بى أحياء العرب، فإنى بنت سيد قومى: كان أبى يفك العانى، ويحمى الذِّمار، ويقرى الضيف، ويُشبع الجائع، ويُفرج عن المكروب، ويُطعم الطعام، ويُفشى السلام، ولم يرُدّ طالب حاجة قطُّ، أنا ابنة حاتم طيء. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًّا لترحّمنا عليه، خلُّوا عنها، فإن أباها كان يُحب مكارم الأخلاق، والله يُحب مكارم الأخلاق.

أم حاتم — وأُم حاتم غنيّة بنت عَفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدىّ. وكانت فى الجود ومكارم الأخلاق بمنزلة حاتم، لا تدخر شيئًا ولا يسألها أحد شيئًا فتمنعه.

من كرمها — وذُكر أن إخوتها حَجروا عليها مُدة ومنعوها مالها. ثم أعطوها صِرْمة من الإبل، فجاءت إليها امرأة من هوازن تسألها، فقالت: دونك الصِّرمة فخُذيها، فوالله لقد عَضّنى من الجوع مالا أمنع معه سائلا أبدا. وقالت:

لَعمرى لقِدْماً عَضّنى الجوعُ عضةً ... فآليت ألّا أمنع الدَّهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أعْفِنِى ... فإنْ أنت لم تَفعل فعَضّ الأصابعا
فماذا عليكم[1] أن تقولوا لأختكم ... سوى عَذْلكم أو عذل مَن كان مانعا
وما إن ترون اليوم إلا[2] طبائعا ... فكيف بتركى يا ابن أُم الطَّبائعا

وكانت سُفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، فكان أبوها يُعطيها الصِّرمة[3] من إبله فتنْهبها وتُعطيها الناس. فقال لها حاتم: يا بُنية، إما أن

(١) فى غير التجريد: «ماذا عساكم».
(٢) فى غير التجريد: «وماذا ... طبيعة».
(٣) الصرمة: القطيع من الإبل والغنم. ما بين العشرين إلى الثلاثين. وقيل إلى الستين.

أعطى وتمسكى ، أو أمسك وتُعطى ، فإنه لا يَبقى على هــذا شىء .

وأما جود حاتم فأشهر من أن نُغرق فى وصفه . وقد ضربت العربُ المثل بجُوده .

نشأة حاتم فى حجر جده

وذكر أنَّ أبا حاتم هلك وهو صغير ، فنشأ حاتم فى حِجر جدِّه سعد ابن الحشرج ، ولما ترعرع جعل يُخرج طعامه ، فإن وجد من يأكله معه أكل ، وإن لم يجد طَرحه . فلما رأى ذلك جدُّه وخاف أن يهلك مالَه . قال له : الحق بالإبل ، ووهب له جارية وفرساً وفِلْوها [1] . فلما أتى الإبلَ طفق يبغى الناسَ فلا يجدهم . ويأتى الطريق فلا يجد عليها أحداً ؛ فبينا هو كذلك إذ مرَّ به عَبيد ابن الأبرص ، وبشر بن أبى خازم ، والنابغة الذُّبيانى ، يريدون النُّعمان ابن المُنذر ، فسألوه القِرى ، فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، فقالوا فيه أشعاراً مدحوه بها . فقال لهم حاتم : أردتُ أن أحسن إليكم فصار لكم الفضل علىّ ، وأنا أُعاهد الله لئن لم تقوموا إليها فتقتسموها لأضرِبن عَراقيبها عن آخرها . فاُقتسموا الإبل جميعها ، فأصاب كل واحد منهم تسعةً وتسعين [2] بعيرا ، ومضَوْا على سفرهم إلى النُّعمان . ثم إن سعد بن الحشرج سَمع ما فعل حاتم ، فأتاه فقال : أين الإبل ؟ فقال : طوّقتُك بها طَوْق الحمامة مجدَ الدهر ، وكرماً لا يزال الرجلُ يحمل شعراً [3] أثنى به علينا . فقال له جدُّه : أبإبلى فعلتَ ذلك ؟ قال : نعم . فقال : والله لا أُساكنك أبداً . فخرج جدُّه بأهله ، وترك حاتماً ومعه جاريتُه وفرسه . فقال حاتم يذكر ذلك :

وإنّى لعَفُّ الفقر مُشترَك الغِنى ... وتارك شكلٍ لا يُوافقه شَكْلِى
وَشَكْلِىَ شَكْلٌ لا يقُوم بمثله ... من الناس إلّا كُل ذى نِيقة [4] مثلى

(١) الفلو ، بالكسر : المهر إذا عظم .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وثلاثين » .
(٣) فى غير التجريد : « بيت شعر » .
(٤) نيقة ، أى شرف عال .

وأجعل مالى دون عِرْضىَ جُنَّة ... لنفسى وأستغنى بما كان من فَضْلى
وما ضرّنى أن سار سعدٌ بأهله ... وأفردنى فى الدّار ليس مَعى أهلى
سيكفى ابتناه المجد سعدَ بن حَشْرج ... وأحمل عنكم كُل ما ضاع من ثِقْل
ولى مع بَذْل المال والمَجْد صَوْلةٌ ... إذا الحرب أبدت عن نَواجذها العُصْل(١)

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح أبو الفرج أخبار حاتم الطائى، هو قوله يُخاطب زوجته ماوية بنت عَفْزر، قبل تزوجه بها، وكانت بنت مَلك، وهى أُم ولده عدىّ بن حاتم:

أماوىّ إن المال غادٍ ورائح ... ويَبقى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
وقد عَلِم الأقوامُ لو أنّ حاتما ... أراد ثَراء المال كان له وَفر
أماوىّ إن يُصبح صداى بقَفرةٍ ... من الأرض لا ماء لدىّ ولا خمر
ترىْ أنّ ما أنفقتُ لم يك ضَرنى ... وأن يدى مما بخلتُ به صِفر

وأَول هذه القصيدة:

أماوىَ قد طال التجنُّب والهَجر ... وقد عَذَرتْنى فى طلابكُم العُذر
أماوىّ إمّا مانع فمُبيِّن ... وإما عطاء لا يُنَهْنِهه الزّجر
أماوىّ ما يُغْنى الثَّراء عن الفتى ... إذا حَشْرجت يوماً وضاق بها الصّدْر
وإنِّىَ لا آلو بمالى صَنيعةً ... فأوّله زادٌ وآخره ذُخْر
يُفَكُّ به العانِى ويُؤكل طَيِّبا ... وما إن تعرّته القِداح(٢) ولا(٣) الخَمر
ولا أظلم أبنَ العَمّ إن كان إخوتى ... شُهوداً وقد أودى بإخوته الدّهر
فما زادنا بَغياً على ذى قَرابة ... غِنانا ولا أزْرى بأحسابنا الفقْر

(١) العصل: جمع أعصل، وهو الناب الشديد الاعوجاج.
(٢) القداح: قداح الميسر.
(٣) فى التجريد: «ولا القمر» مكانه «ولا الخمر».

وما ضَرَّ جاراً يا ٱبنــة القوم فٱعلمى   يُجاورنى ألّا يكون له ســتْرُ
بعَينيّ عن جاراتِ قومىَ غفــلةٌ   وفى السّمع منّى عن حديثهمُ وَقْر

حديث تطليق زوجه له

وذُكر أنّ النّساء كُنّ يُطلّقن رجالَهن فى الجاهلية كما يُطلّقهن الرجال، وكان طلاق النساء لأزواجهن أنهن كُن فى بيوت من شَعر، فإذا أردنا تَطْليق أزواجهن حوّلن أبواب أخبيتهن من المَشرق إلى المَغرب، أو من قِبل اليمن إلى قبل الشام. وكان ٱبنُ عمٍّ لحاتم ـ يُقال له: مالك ـ حَرّض ماوية هــذه ٱمرأة حاتم على تَطليقه وحَذّرها أنْ يترك أولاده عيالاً على قومه، ورَغّبها فى أن ينكحها. وكانت من أحسن النساء. فأتاها حاتم، وقد حوّلت الخباء، فأخذ حاتم ولده عَديًّا وهبط به بَطن وادٍ. وجاء قوم فنزلوا على باب الخبــاء كما كانوا ينزلون، فتوافَوْا خمسين رجلا، فضاقت ماوية بهم ذَرْعا وقالت لجاريتها: ٱذهبى إلى مالك فقولى له: إن أضيافاً لحاتم قد نَزلوا بنا فأرسل إلينا بناب نَقريهم، ولبن نَسقيهم. وقالت لجاريتها انظرى إلى جبينه وفمه، فإن شافهك بالمعروف فاقبلى منه، وإن ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده فى رأسه فأقبلى ودعيه. فأتت الجارية مالكا فوجدته متوسداً وطباً من لبن، وتحت بطنه آخر فأيقظته، فأدخل يده فى رأسه وضرب بلحيته على زوره. فأبلغته الرسالة وقالت: إنمــا هى الليلة حتى يعرفوا مكانه. فقال: قولى لهــا: هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما فيه. وما عندى من كبيرة قد تركت العمل وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلأها، وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم. فرجعت فأخبرتها بما رأت فيه وما قال. فقالتَ: ائت حاتماً وقولى: إن أضيافك قــد نزلوا بنا الليلة، ولم يعلموا مكانك، فأرسل إلينا بناب نقريهم ولبن نسقيهم. فإنما هى الليلة حتى يعرفوا مكانك. فأتت الجاريةُ حاتماً فصرخت به. فقال حاتم: لبّيك، قريباً دعوت. فأبلغته الرسالة. فقــال: نعم، وٱثنتين وثلاثاً. ثم قام إلى الإبل فأطلق ٱثنتين من عقالها، ثم صاح بهما

حتى أتى الخباء . ثم ضرب عَراقيبهما . فطفقت ماويةُ تقول : هذا الذى طلّقتك فيه ، تترك ولدك وليس معهم شيء . فقال حاتم أبياتاً ، منها :

هل الدّهر إلا اليوم أو أمس أو غدُ ... كذاك الزّمان بيننا يتردّدُ
تُرد علينا ليلة بعد يومها ... فلا مالُنا يبقَى ولا الدّهر يَنفَد
بنو ثعل قومى فلا أنا مُدّعٍ ... سواهم إلى قومٍ ولا أنا مُسْند

يقول فيها :

فأقسمتُ لاأسرى إلى سرِّ جارة ... يدَ الدّهر ما دام الحمام يُغرِّد
ولا أشترى مالاً بغَدْر علمتهُ ... ألا كل مالٍ خالط الغَدر أنكد
إذا كان بعضُ المال ربًّا لأهله ... فإنى بحمد الله مالى مُعبَّد
يُفَك به العانى ويؤكل طيِّبا ... ويُعطَى إذا ضَنَّ(١) البخيل المُصرَّد

هو وأسير فى عنزة

وذُكر أن حاتماً خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة له ، فلما كان بأرض عَنزة ناداه أسيرٌ لهم : يا أبا سُفانة ، أكلنى الإسار والقَمل . قال: ويلك والله ! ما أنا فى بلاد قَومى وما مَعى شيء ، وقد أسأتَ بى إذ نوّهت باسمى ، ومالك مترك . فساوم العنزيّين فاشتراه منهم . وقال : خلّوا عنه وأنا أُقيم مكانه فى قيده حتى أُؤدى فداءه . ففعلوا . فأُتى بفدائه .

ماوية تحدث ابن شيئا عن جوده

وحُكى أنّ ابن أخى ماوية ـ امرأة حاتم ـ قال لماوية : ياعمة ، حدِّثينى ببعض عجائب حاتم . قالت : كل أمره عجب ، فعَن أيّه تسأل ؟ فقال : حدِّثينى ما شئت . قالت : أصابت الناسَ سنةٌ فأصابت الخُفَّ والظّلف ، فإنى وإياه قد أسهرنا الجوع ، فأخذ عَدِيًّا ، وأخذتُ سفانة ، وجعلنا نُعلِّلهما حتى ناما . ثم أقبل يحدِّثنى يُعلِّلنى بالحديث حتى أنام ، فرققتُ له من الجهد . فأمسكتُ عن كلامه لينام . فقال : أنمتِ ؟ مراراً ، فلم أجبه . فسكت ونظر فى فَتق الخباء ، فإذا شيء أقبل ، فرفع

(١) فى غير التجريد : « هن » .

رأسه فإذا امرأة ، فقال : ما هذا ؟ قالت : يا أبا سفانة ؛ أتيتُك من عند صِبيان يتعاوَوْن كالذِّئاب جوعاً . فقال : أَحضرى صِبيانك ، فوالله لأُشبعنَّهم . فقُمت سريعاً ، فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فوالله ما نام صِبيانك من الُجوع إلا بالتَّعليل . قال : فوالله لأشبعن صبيانك مع صبيانها . فلما جاءت قام إلى فرسه فذَبحه ، ثم قَدح ناراً فأجَّجها ، ثم دفع إليها شُفرة . ثم قال : اُشوى وكُلى ، ثم قال : أَيقظى صبيانَك ، فأيقظتهُما . فقال : والله إن هذا اللؤم ، تأكلون وأهل الصَّرم [1] حالُهم مثل حالكم ! فجعل يأتى الصّرم بيتاً بيتاً فيقول : اذهبوا عليكم بالنار . قالت : فاجتمعوا حول تلك الفَرس ، وتلفّع بكسائه وجلس ناحيةً . فما أَصبحوا ، ومن الفرس على الأرض لا قليل ولا كثير ، إلا عظم وحافر ، وإنه لأشد جوعاً منهم وما ذاقه .

(١) الصرم : قطع النخل . يريد الزراع المتصلين بالنخل .

أخبار ذى الرمة

نسبه وهو غَيلان بن عُقبة بن مَسعود بن حارثة بن عمرو بن مَلْكان بن عـدىّ بن عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر بن نزار .

وقيل : غَيلان بن عُقبة بن نُهيس بن مَسعود بن حارثة بن عمرو بن رَبيعة ابن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثَعلبة بن ربيعة بن مَلْكان .

كنيته ولقبه ويكنَى أبا الحارث . وذو الرُّمة لقب لقّبته به مَيّة ، وكان أُجتاز بخبائها وهى جالسة إلى جانب أُمها ، فأستسقاها ماء ، فقالت لها أُمها : قُومى فأسقيه . فقامت فأتته بماء ، وكان على كتفه رُمّة ـ وهى قطعة من حبل ـ فقالت : أشرب ياذا الرُّمة . فلُقِّب بذلك .

وقيل : بل كان يُصيبه فى صِغره فزَع ، فكَتبت له أُمه تميمة ، فتعلّقها بحبل ، فلُقب بذلك : ذا الرُّمة .

وقيل : لُقِّب بذلك لقوله :

* أشعث باقى رُمّة التّقليد(1) *

أمه وأُم ذى الرُّمة أمرأة من أسد .

شىء عن مسعود أخيه وكان له إخوة من أبيه وأُمه شُعراء ، منهم : مَسعود ، وهو الذى يقول يرثى أخاه ذا الرُّمة ، ويذكر لَيلى بنته :

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنّنى ... وليلَى كِلانا مُوجَعٌ مات واحدُهْ

---

(1) رواية البيت فى اللسان « رم » :

* وغير مشجوج القفا موتود ... فيه بقايا رمة التقليد *

يعنى ما بقى فى رأس الوتد من رمة الطنب المعقود فيه .

ولمسعود يقول ذو الرُّمة :

ألا قل لَمسعود بجَرْعاء (١) مالك وقد هَمّ دَمعى أن تَسحّ أوائلُهْ
الأهل ترى الأظعان جاوزْن (٢) مُشْرفا من الرَّمل أو سالت بهنّ سوائلُه

لمسعود فى رثائه ذى الرمة وأوفى

ومَسعود هو القائل يَرثى أخاه ذا الرُّمة ، وأوفَى بن دَلهم ، ابن عمه :

نَعى الركبُ أوفَى حين آبت ركابُهم لَعمرى لقد جاءوا بشرّ فأوجعُوا
نعَوْا باسق الأخلاق لا يخْلفونه تكاد الجبالُ الصُّمُّ منه تَصدّع
خَوى المسجدُ المَعمور بعد ابن دَلْهم وأضحى بأوفى قومُه قد تَضَعْضعوا
تعزَّيتُ عن أوفى بغَيلان بعده عزاءً وجفنُ العَين ملآنُ مُترع
ولم تُنسنى أوفى المُصيبات بعده ولكنّ نَكْءَ القَرْح بالقَرْح أوجع

إخوان له

وكان اسم أخويه الآخرين : خرفاش (٣) ، وهشام . وكان الواحد منهم يقول الأبيات فتنسب إلى ذى الرمة لشُهرته .

من صفة ذى الرمة

وقيل : كان ذو الرُّمة مُدوَّر الوجه ، حسنَ الشَّعرة جَعدها ، أقنى أنزعَ (٤) خفيفَ العارضَين ، أكحل، حسن الضَّحك ، مُفوّهاً بليغاً ، يَضع لسانه حيث شاء .
وكان جرير والفرزدق يحسُدانه لجودة شعره مع حداثته وصغر سنّه .

للأصمعى فيه

وقال الأصمعى : ما أعلم أحداً من العُشّاق شكا حُبًّا أحسن من شكوى ذى الرمة ، مع عِفّه وعقل رصين .

لأبى عبيدة فيه

وقال أبو عبيدة : ذو الرُّمة يُخبر فيُحسن الخبر ، ثم يَرد على نفسه الحجة

(١) الجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « جاورن » بالراء المهملة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « حرفاش » ، وفى بعض آخر : « جرفاس » .
(٤) الأقنى : الطويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب فى وسطه . والأنزع : الذى أقبلت ناصية جبهته وارتفع أعلى شعر صدغها .

من صاحبه فيُحسن الرد ، ثم يعتذر فيُحسن التخلُّص ، مع حُسن إنصاف وعَفافٍ فى الحُكم .

هو وإعرابى بالمربد

وقال بعضُهم : رأيتُ ذا الرُّمة بسُوق المِرْبد[1] ، وقد عارضه رجل يهزأ به ، فقال له : يا أعرابى ، أتشهد ما لم تَرَ ؟ قال : نعم . قال : بماذا ؟ قال : أشهد أن أباك ناك أمك .

هو وكنزة

وذُكر أن ذا الرمة كان يَهوى مَيَّة المنقرية ، وجدُّها قيس بن عاصم الذى تقدّم ذكره . وكانت كنزة[2] مولّدة لآل قيس بن عاصم ، فقالت ، ونَحلت ذلك ذا الرُّمة :

على وجه مَىٍّ مَسْحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخزْى لو كان باديَا
ألم تَرَ أنّ الماء يَخْبُثُ طعمه ... وإن[3] كان لونُ الماء أبيضَ صافيا

فغَضب من ذلك ذو الرُّمة وحَلف بكُل الأيمان أنه ما قالها ، ثم أُطلع بعد ذلك على قائلتها .

هو ومى

وذكر أن ذا الرُّمة وقف فى ركب معه على مية ، فسلّموا عليها ، فقالت : وعليكم السلام ، إلا ذا الرُّمة . فأحفظه ما سَمع منها بحَضْرة القوم ، وانصرف وهو يقول :

أيا مَىّ قد أشمتّ بى ويحك العدا ... وقطّعت حَبلاً كان منّى باقيَا
فيا مَىّ لا مَرْجوعَ للوَصل بيننا ... ولكنّ هجراً بيننا وتَقاليا

وقد ذُكر أن البيتين الأولين لذى الرُّمة ، ومعهما هذان البيتان . وقد ذُكر أنه أنشدها :

على وجه مىّ مَسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخِزى لو كان باديا

(١) سوق المربد : بالبصرة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « كثيرة » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لو » .

فكشفت ثوبَها عن بدنها وقالت : أشيئاً ترى لا أُم لك ! فقال :

أَلم تر أنّ المـــاء يخبث طعمــه وإن كان لون المـــاء أبيض صافيا

فقالت : أما ماتحت الثياب فقد رأيته وعلمت أن لاشين فيه ، ولم يبق إلا أن أقول لك : هلم حتى تذوق ما وراءه ، والله لا ذُقت ذلك أبدا . فقال :

فياضيعة الشّعر الذى لجّ فاُنقضى بمىّ ولم أملك ضـــلالاً فؤاديا

ثم صلح الأمر بينهما ، فعاد إلى ما كان عليه من حُبها .

هو وقد خانه زوج مى

وذُكر أن ذا الرمة ضاف زوج مىّ فى ليلة ظَلماء ، وهو طامع فى ألّا يعرفه زوجُها فيُدخله ويَقريه فيراها فيكلمها . ففطن له الزوج وعَرفه ولم يُدخله ، وأخرج إليه قِراه وتركه بالعَراء وراحلته . وقد عرفتْه مَىّ ، فلما كان فى جوف الليل تَغنّى غناء الرّكبان :

أراجعـــة يا مَىّ أيامُنا الألى بذى الأثل أم لا ما لهنّ رُجوعُ

فغضب زوجُها ، فقال : قُومى فصِيحى به : يابن الزانية ، وأىّ أيام كانت لنا معك بذى الأثل ! فقالت : سبحان الله ! ضيف ، وللشاعر أن يقول . فاُنتضى سيفَه وقال : والله لأضربنّك به حتى تأتى عليك أو لتقولن . فصاحت به كما أَمرها زوجُها ، فنَهض إلى راحلته مولياً وانصرف عنها مُغضباً يريد أن يَصرف مودته عنها إلى غيرها ، فمر بجوارٍ خارجات من بيت يُرِدن بيتاً آخر ، فيهن جارية من بنى عامر شَهلاء[1] حُلوة ، فوقعت عين ذى الرُّمة عليها ، فقال : يا جارية ، أترقعين لهذا الرجل خُفّه ؟ قالت ، تهزأ به : أنا خرقاء لا أحسن أن أعمل شيئاً . فسمّاها : خرقاء ذى الرمة . يُريد أن يغيظ ميا . فقال فى خرقاء قصيدتين أو ثلاثا ، ثم لم يلبث أن مات .

(١) شهلاء : سواد عينها بين الحمرة والسواد .

من خبر خرقاء

وذكر أن خرقاء هـذه كانت تحُل فَلْجاً ، ويمرُ بها الحاج فتقعد لهم تُحادثهم وتهاديهم ، وكانت تقعد معها فاطمة أبنتها ، ولم تكن مثلها فى الحسن .

وكانت خرقاء تقول : أنا مَنْسك من مناسك الحج ، لقول ذى الرمة فيها :

تمـام الحج أن تقف المطايا على خَرقاء واضـعة اللّثام

وذكر أنه نزل ركب بأبى خرقاء العامرية ، فأمر لهم بلَبن فسقُوا ، وقصّر عن شباب منهم، فأعطته خرقاء صبوحها وهى لا تعرفه، فشرب به ومضوا وركبوا ، فقال لها أبوها : أتعرفين الرجل ؟ قالت : لا والله . قال : هو ذو الرمة القائلُ فيك الأقاويل . فوضعت يدها على رأسها . وصاحت: واسوأتاه ! وابؤساه ! ودخلت بيتها . فما رآها أبوها ثلاثا .

وقيل إن خرقاء عُمِرت بعـد ذى الرمة عُمراً طويلاً حتى شَبّب بها العُجيف العُقيلى ، وقال فيها :

وخَرقاء لا تزداد إلا ملاحـة ولو عُمِّرت تَعميرَ نُوح وجلّت

وفاته

وذُكر أن ذا الرُّمة لم يزد عُمره على أربعين سـنة ، وتُوفى فى خلافة هشام ابن عبد الملك ، وكان قاصداً باب هشام فتُوفى بحُزوى[1] وهى الرّملة التى يذكُرها فى شعره . وقد ذُكر أن راحلته وَقَصت[2] به ، فكان ذلك سبب موته ، وأنّ ذلك كان بعـد أنصرافه من عند هشام ، وانه وُجد ميتاً وعليـه خِلع الخليفة ، ووُجد بيتان مكتوبان على قوسه ، وهما :

ألا أبلغ الرُّكبان[3] عنّى رسالة أهينُوا المَطـايا هُنّ أهلُ هَوانِ
وقـد تركتنى صَيْدح بمَضـلّة لسـانىَ مُلتاث من[4] الطّلوان

(١) حزوى : موضع بنجد فى ديار تميم . (٢) وقصت : عدت .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفتيان » .
(٤) ملتاث : أى مضطرب . والطلوان : بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش .

وصيدح : هى ناقته التى يقول فيها :

سمعت النـاس ينتجعون غيثا فقلتُ لصيدحَ انتجعى بلالا

يريد : بلال بن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى :

وذكر أنه لمـا أنشده هذا الشعر ، قال : أو لم تنتجعى غـير صيدح ! يا غلام ، أعطه حمل قَت لصيدح ، فأخجله .

وذكر آخرون أنه مات بالُجدرى ، وفى ذلك يقول :

ألم يأتِها أنّى تبدلت بعـــدها مُفَوَّفَة صوّاغها غيرُ أخرق

آخر شـعر له

وذُكر أن آخر شعر قاله :

يارب قد أشرفْت نفسى وقد علمت علماً يقيناً لقـــد أحصيتَ آثارى

يامُخرجَ الرُّوح من جسمى إذا احتضرت وفارج الـكرب زَحْزِحنى عن النار

شعره الذى فيه الغنـاء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ذى الرمة ، هو قوله :

وهاجرة من دون ميـــة لم تقِل قَلُوصى بها والُجندب الجَوْن يَرْمح (١)

بتيهـــاء مِقْفار يكاد ارتكاضُها بآل الضُّحى والهجر بالطَّرف يمصح (٢)

كأن الفرِنْد المحض معصـوبة به ذُرى قُورها ينقدّ عنها ويُنْصح (٣)

إذا ارفضّ أطراف السِّيـاط وهلّت جُروم المَطايا عُـدّ منهن صَيدح (٤)

---

(١) الهاجرة : وقت الزوال . ويقال : نام القيلولة ، وهى نومة نصف النهار . والجندب : الجرادة . والجون : الأسود ، والأبيض ، من الأضداد . ويرمح : ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض .

(٢) التيهاء : التى يتاه فيها من الأرض . والمقفار : التى لا أحد فيها ولا ساكن بها . وارتكاضها ، أى ارتكاض هذه التيهاء ، وهو نزوها بالآل . والآل : السراب . والهجر : الهاجرة . وقد ارتفع بفعله ، كأنه قال : يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف هو والهجر . ويمصح : يذهب .

(٣) والفرند : الحرير الأبيض . والمحض : الخالص . والقور : الجبال الصغيرة . الواحد : قارة . وينصح : يخاط ، يقال : نصحت الثوب ، إذا خطته . والناصح : الخياط . يقول : كأن هذا السراب حرير أبيض وقد عصبت به ذرى القور ، فتارة يغطيها وتارة ينجاب عنها وينكشف ، فكأنه إذا انكشف عنها ينقد عنها ، وكأنه إذا غطاها ينصح عنها ويخاط .

(٤) ارفض : انفتح : يعنى انفتاح أطواق السياط من طول السفر . والجروم : الأبدان ، واحدها : جرم ، بالكسر . وهلت : صارت كالأهلة فى الرقة . وصيدح : اسم ناقة ذى الرمة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « عذبتهن » مكان « عد منهن » .

ذكر مقتل الزبير بن العوام
رضي الله عنه

نسبه وشيء عنه

الزُّبير بن العوام بن خُويلد بن أسـد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب، أحد الصحابة والسادة الأعلام، السابقين الأولين، من المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين. شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشاهد كلها، وأحد العشرة المقطوع لهم بشهادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنّة. ورجع يوم الجمل عن حرب علىّ رضى الله عنه معترفاً بأن ما وقع منه من قتاله كان خطأً. ومات رضى الله عنه مقتولاً بوادى السِّباع، على هذا الرأى. وما قُتل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل إلّا بعد أن بايع لعلىّ رضى الله عنه بالخلافة على يد أصحابه. صحّ ذلك عنه وثبت، ورجوع عائشة رضى الله عنها عن ذلك، واعترافها بصحة خلافة علىّ رضى الله عنه مدفوع لا يُنكر.

وكان علىّ رضى الله عنه يقول: أرجو أن أكون أنا وطلحة والزُّبير ممن قال الله تعالى فيهم: (ونزعنا ما فى صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرر متقابلين).

مقتله

فلنذكر الآن ما رواه أبو الفرج فى مَقتل الزُّبير رضى الله عنه:

قيل: سار الزُّبير وطلحة وعائشة رضى الله عنهم يُريدون عليًّا رضى الله عنه، وسار يُريدهم، فالتقَوْا عند قصر عُبيد الله بن زياد بقُرب البصرة يوم الخميس النصف من جُمادى الآخرة سنة ست وثلاثين. فلما تراءى الجمعان خرج الزُّبير رضى الله عنه على فرس، وعليه سلاحه، فقيل لعلى رضى الله عنه: هذا الزبير! فقال: أما إنه أحرى الرجلين إن ذُكّر بالله أن يذكره. وخرج علىّ رضى الله عنه

إليهما فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال لهما: لقد أعددتما خيلاً وسلاحاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً، فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرِّمان دمى وأحرم دماءكما، فهل من حَدث أحلّ لكما دمى ؟ فقالا : ألّبت الناس على عثمان . فقال : يا طلحة ، أتطلبنى بدم عثمان ، فلعن الله قتلة عثمان ! يا زُبير ، أتذكر يوم مررتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى غَنم فنظر إلىّ وضَحك، وضحكتُ إليه ، فقلت : لا يدع ابنُ أبى طالب زهوه . فقال : مه، ليس بمزهُو ، ولتقاتلنه وأنت مزهو ظالم له . فقال : اللهم نعم ، ولو ذُكِّرت ما سِرت مسيرى هذا ، والله لا أقاتلك أبدا . وانصرف علىّ رضى الله عنه إلى أصحابه . فقال : أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألّا يقاتلنى . ورَجع الزبير إلى عائشة فقال لها . ما كنتُ فى موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا . قالت : وما تريد أن تصنع ؟ قال : أدَعهم فأذهب . فقال له ابنُه عبد الله : أجمعتَ بين هذين الغارّين حتى إذا أخذ بعضُهم لبعض أردت أن تذهب وتتركهم ، أخشيتَ رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد ، فأحفظه . فقال : إنى حلفت ألّا أقاتله . فقال : كفِّر عن يمينك وقاتله . فدَعى غُلاماً له يُدعى مكحولاً فأعتقه . فقال عبدُ الرحمن بن سُليمان التّيمى :

لم أرَ كاليوم أخًا خوّان أعجبَ من مكفّر الأيمان

* بالعِتْق فى مَعصية الرّحمٰن *

وقال بعضُ شعرائهم :

يُعتق مكحولاً لصَون دينه كفّارةً لله عن يَمينه

* والنُّكث قد لاح على جَبينه *

ونادى مُنادى علىّ رضى الله عنه : ألّا تقاتلوا القوم حتى تستشهدوا منكم

رجلاً . فما لبث أن أُتى برجل يتشحّط[1] فى دمه . فقال علىّ رضى الله عنه : اللهم أشهد . وأمر الناس ، فشدُّوا عليهم . وأمر بالنّداء بألّا يُذففوا[2] على جريح ، ولا يَتبعوا مدبرا ، ولا يقتلوا أسيرا .

تعقيب لابن واصل

قلت : الذى ثبت أن الزُّبير رضى الله عنه لما ألزمه ابنهُ عبدُ الله بالقتال ، حمل على عسكر علىّ رضى الله عنه وهو لا يُريد قَتل أحد ، فقال علىّ رضى الله عنه : أفرجوا له فإنه مُكره . فأفرجوا له . فشقّ العسكر ثم رَجع ، ثم توجّه مُنصرفاً إلى المدينة . وانهزم عسكر عائشة رضى الله عنها ، وصار جَملها كالقُنفذ من كثرة النُّشّاب . فجاء إليها أخوها محمد بن أبى بكر ، وهو من أصحاب علىّ رضى الله عنه ، وجاءها علىٌّ فركز رُمحه عند هَوْدجها ، فقالت له : ملكت فأسْجح . فجهّزها مع جماعة من النِّساء فى زى الرّجال إلى المدينة .

مقتل طلحة

وأما طلحة رضى الله عنه فرُمى بسهم . فمَرّ به بعضُ أصحاب علىّ رضى الله عنه فقال : أمدُد يدك أبايعك لعلىّ بن أبى طالب . فمَدّ يدَه إليه ، فبايعه . ثم تُوفى رضى الله عنه .

قاتل الزبير

قال أبو الفرج : لما مضى الزُّبير قيل للأحنف : هذا الزبير قَدم . فقال : ما أَصنع به ، جمع بين غارّين من المسلمين يقتُل بعضُهم بعضا ، ثم مرّ يُريد أن يلحق بأهله . فقام عمرو بن جُرموز ، وفَضالة بن حابس ، ونُفيع بن كعب ، فلحقوه . فقتله عمرو بن جُرموز .

تعقيب لابن واصل

قلت : قيل : إنه قَتله وهو نائم . وقيل : صلّى خلفه ، فلما اشتغل الزُّبير رضى الله عنه بالصلاة قَتله غدرا .

على وابن جرموز قاتل الزبير

وحَكى زرّ بن حُبيش قال : كنت قاعداً عند علىّ بن أبى طالب ، فأتاه آتٍ

(١) يتشحط فى دمه : يتخبط فيه . (٢) يذفف : يجهز .

فقال : هـذا ابن جُرموز قاتِل الزُّبير بن العوام يَستأذن على الباب . فقال : ليدخلنّ قاتلُ ابنِ صفيّة النار ، إنى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : إنّ لكل نبي حواريًّا ، وإن حواريّ الزبير .

مصعب وعبد الله فى شأن ابن جرموز

وذُكر أن ابن جُرموز أتى مُصعباً ، لما ولى العِراق لأخيه عبد الله بن الزبير ، فوضع يده فى يده ، فقذفه فى السجن وكتب إلى أخيه عبد الله يذكر له أمره . فكتب إليه عبدُ الله : بئس ما صنعت ، أظننت أنى أقتل أعرابيًّا من بنى تميم بالزبير ، خَلِّ سبيل الرجل فخلّاه .

رثاء عاتكة للزبير

وذُكر أن عُمْر الزبير لما قُتل سَبع وستون ، أو ست وستون سنة . فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ترثيه :

غَدر ابنُ جُرموز بفارسِ بَهْمةٍ ... يوم اللِّقاء وكان غيرَ[1] مُعرِّدِ
يا عمرو لو نَبَّهتَـه لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ البَنان ولا اليَد
شلّت يمينُك إن قتلت لَمُسلما ... حلّت عليك عُقوبة المُتعمِّد
إن الزُّبير لذو بلاء صادق ... سَمْح سجيّته كريم المَشْهد
فاذهب فما ظَفِرتْ يداك بمثله ... فيما مَضى ممن يَرُوح و يَغْتدى

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر مقتل الزُّبير رضى الله عنه ، يقوله جرير بن الخطَفى يهجو الفرزدق ، و يعيّره بقتل عشيرته الزبير ، وهو :

إنّى تُذكّرنى الزبيرَ حمامةٌ ... تدعو بمَجمع نخلتين هَديلا
أفَتَى النَّدى و فَتَى الطِّعان قتلتمُ ... وفَتى الرِّياح إذا تهُب بَليلا
لو كنت حُرًّا يا ابن أُم[2] مُجاشع ... شيّعت ضيفَك فرسخين[3] وميلا

(١) البهمة ، هنا : الجيش ، وجماعة الفرسان . ومعرد ، أى منهزم.
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يابن قين » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فرسخاً أو ميلا » .

قالت قريش ما أذلّ مُجاشعا جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلا

شؤم عاتكة

وذُكر أن عاتكة بنت زيد هى من النساء المعروفات بالشُّؤم ، تزوّجها عبدُ الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعُمر بن الخطاب ، والزُّبير بن العوام ، والحُسين بن على رضى الله عنهم ، وكلهم قُتلوا عنها ، ورثتهم بأشعارها . فأول أزواجها عبدُ الله بن أبى بكر تزوّجها فى حياة أبيه أبى بكر رضى الله عنه ، فغلبت عليه ، وكانت بارعة الجمال ، فمرّ عليه أبو بكر رضى الله عنه وهو معها فى علّية يناغيها فى يوم جُمعة ، وأبو بكر رضى الله عنه مُتوجه إلى الجُمعة ، ثم رجع وهو يناغيها . فقال : يا عبد الله ، أجمَّعت ؟ فقال : أو قد صلّى الناس ؟ قال : نعم . وكانت قد شغلته عن سُوق وتجارة كان فيها . فقال أبو بكر رضى الله عنه : قد شغلتْك عاتكة عن المَعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض الله تعالى ، طلّقها . فطلّقها تطليقة ، وتحوّلت إلى ناحية الدار . فبينا أبو بكر رضى الله عنه يصلّى على سطح له إذ سمعه وهو يقول :

أعاتك لا أنساكِ ما ذرّ شارق وما ناح قُمرىُّ الحَمام المُطوّقُ
أعاتك إنى كل يوم وليلة إليك بما تُخفى النفوس مُعلّق
لها خُلق جَزل ورأى ومَنطق وخُلق سَوىٌّ فى حياء ومَصْدق
فلم أر مثلى طلّق اليوم مثلها ولا مثلَها فى غير شىء يُطلّق

فسمع أبو بكر رضى الله عنه قولَه ، وقد رق له ، فقال : يا عبد الله ، راجع عاتكة . فقال : أُشهدك أنى قد راجعتُها . وأشرف على غُلام له يقال له : أيمن ، فقال : يا أيمن ، أنت حُرّ لوجه الله ، أُشهدك أننى قد راجعت عاتكة . ثم خرج إليها يجرى إلى مُؤخَّر الدار ، وقال :

أعاتكَ قد طُلقت فى غير ريبة ورُوجعت للأمر الذى هو كائنُ

كذلك أمر الله غادٍ ورائح ... على الناس فيــه أُلفة وتباينُ
وما زال قلبي للتفرّق طـائراً ... فقلبي لما قرّت به العين ساكِن (١)
لِيَهنك أني لم أجد فيك سَخطةً ... وأنك قد تمّت عليك المحاسن
وأنّك ممن زيّن الله وجهـه ... وليس لوجه زيّن اللهُ شائن

وأعطاها عبد الله حديقة حين راجعها ، على ألّا تتزوّج بعــده . وأصاب عبدَ الله سهمٌ من الطائف ، حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصرها ، فمات منه . فقالت عاتكة ترثيه :

فلله عينا من رأى مثلَ (٢) هالك ... أكرّ وأحمى فى الهياج وأصبَرا
إذا أُشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرُّمح أحمرا
فأقسمتُ لا تنفكّ عيني سخينةً ... عليك ولا ينفكّ جِلْدىَ أغـبرا
يدَ الدهر ما غنّت حمامةُ أيكة ... وما طَرد الليلُ الصباحَ المُنوّرا

فخطبها عُمر بن الخطاب رضى الله عنــه ـ وهو ابن عم أبيها زيد بن عمرو بن نُفيل . وقــد تقدمت أخباره ، وأخوها سَعيد بن زيد رضى الله عنه أحد العشرة المَشهود لهم بالجنة ـ فقالت ، قد كان أعطانى حديقة على ألّا أتزوج بعده . قال : فاستفتى ، فاستفتت عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأفتاها بأن ترد الحديقة على أهله وتتزوج . فتزوّجت عمر رضى الله عنه . فدعى عُمرُ عليًّا رضى الله عنهما وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بَنى بها ، فقال على رضى الله عنه : إن لى إلى عاتكة حاجةً أُريد أن أذكرها لها ، فقل لها تستتر حتى أُكلّمها . فقال لها عُمر : استترى يا عاتكة فإن على بن أبى طالب يُريد أن يكلّمك . فأخذت مِرْطها فلم يَظْهر منها إلا ما بَدا من براجمها (٣) ، فقال . يا عاتكة :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لما قرب الله ساكن » .
(٢) فى غير التجريد : « مثله فتى » .
(٣) البراجم : مفاصل الأصابع كلها .

فأقسمتُ لا تنفكّ عينى سخينة عليك ولا ينفكّ جلدى أغبرا

فقال له عمر رضى الله عنه : يرحمك الله ، ما أردتَ إلى هذا ، فقال علىٌّ رضى الله عنه : وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل ، وقد قال الله عز وجل : (كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) هذا شىء كان فى نفسى أحببتُ أن يخرج . فقال عمر : ما حسّن الله فهو حسن . فلما قُتل عمر رضى الله عنه ـ قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وقد أحرم بالصلاة والمسلمون خلفه يُصلون ـ قالت عاتكة ترثيه :

عين جُودى بعَـبرة ونَحيب لا تملّى على الإمام النَّجيبِ
فجَعتْنا المَنون بالفـارس المُعـ ـلَم يوم الهِيـاج والتَّلْبيب
عِصمةِ الله والمُعين على الدَّهـ ـر غيـاث المُنتاب والمَحْروب
قُل لأهل الضّراء والبؤس موتُوا قد سقَته المَنون كأسَ شَعوب

وقالت أيضاً :

مُنع الرقاد فعاد عينىَ[1] عيدُ ممـا تَضمّن قلبىَ المعمودُ
يا ليـلة حبُستْ علىّ نُجومها فسهرتُها والشامتون رُقـود
قد كان يُسهرنى حذارك مرة فاليـوم حقّ لعينى التَّسهيد
أبكى أمـير المؤمنين ودونه للزائرين صفائحٌ وصَعيـد

فلما انقضت عِدتها خَطبها الزبير بن العوام رضى الله عنـه ، فأَجابته . فلما دخل بها قال لها : يا عاتكة ، لا تخرُجى إلى المسجد ـ وكانت امرأة عَجزاء بادنة . فقالت : يابن العوام ، أتريد أن أدع لغَيرتك مصلًّى صليت فيـه مع رسول الله صلّى الله عليـه وسلم وأبى بكر وعُمر . قال : لا ، فإنى لا أمنعك . فلما سَمع النداء لصـلاة الصبح توضأ وخرج ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة . فلما خرجت إلى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عود » .

الصلاة ضرب بيده على عَجيزتها . فقالت له : مالك قطع الله يديك ، ورَجعت . فلما رجع من المسجد قال : يا عاتكة ، مالى لم أرك فى مُصلاّك ، قالت : يرحمك الله يا عبد الله ، فسد الناس بعدك ، الصلاة فى القَيطون (١) اليوم أفضل منهــا فى البيت ، وفى البيت أفضل منها فى الُحجرة . فلما قُتل الزبير رضى الله عنه رثته بما تقدّم ذكره ، فتزوجها بعــده الُحسين بن على رضى الله عنهما ، فقُتل عنها يوم كربلاء ، فكانت أول من رَفع خَدّه من التراب يوم قُتل ، فقالت ترثيه :

واحُسيناً فلا نَسيتُ حُسينا أقصدْته أســنّة الأعداء
غادروه بكَربلاء صريعاً جادت المزن فى ذَرى كَربلاء

وتأيّمت بعد ذلك ، فكان عبد الله بن عُمر رضى الله عنهما يقول : من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة .

وذُكر أن مروان بن الحكم خطبها بعد الُحسين رضى الله عنه ، فامتنعت عليه وقالت : ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) القيطون : المخدع .

أخبار خفاف بن ندبة (*)

نسبه — هو خُفاف بن عمير بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصيّة ابن خُفاف بن أمرىء القيس بن بُهثة بن سُلَيم بن مَنصور بن عكرمة بن خَصفة ابن قيس عيلان بن مُضر بن نزار .

أمه — وندبة ، أمه ، وهى أمة سوداء .

شيء عنه — وكان خُفاف أسودَ أيضاً . وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فُرسانهم ، جعله ابن سلّام فى الطَّبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُويرة ، ومع أبنى عمّه: صَخر ومعاوية ، ابنى عمرو بن الشَّريد، ومالك بن حمار(1) الشَّمخى ، أحد بنى شَمخ ، من فزارة ، فارس فزارة وسيدهم ، وفيه يقول خُفاف حين طعنه فقتله :

فإن تك خَيلى قد أُصيب صَميمُها ... فعَمْداً على عَين تيمَّمتُ مالكَا
أقول له والرُّمح يَأطر(2) مَتْنَه ... تأمَّل خُفافا إنّنى أنا ذالكا

التهاجى بينه وبين ابن مرداس — ثم ذكر أبو الفرج التَّهاجى بينه و بين العباس بن مرداس السُّلمى ، وطوّل القول فى ذلك ، فلم أر ذكر شىء منه .

الشعر الذى فيه الغناء — والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خُفاف :

ألَا طرقت أسماء لا حينَ مَطرقِ ... وأنَّى إذا حلَّت بنَجْران نَلْتقِى

(*) وقبل « أخبار خفاف » ذكر أبو الفرج أخبار دنانير وأخبار عقيل ، وقد مر عنهما ابن واصل .

(1) وكذا فى النقائض (ص : ٧٦) . وفى غير التجريد : « حماد » . وفى جمهرة أنساب العرب (٢٤٧) : « خبار » . (2) يأطر متنه : يثنى .

أخبار جبهاء

اسمه

ثم ذكر أبو الفرج جَبهاء الأشجعيّ . ويقال له أيضاً : جُبيهاء . واُسمه : يزيد ابن عُبيد ، أحد بنى بكر بن أشجع .

شيء عنه

وهو شاعر بدوى ، من شعراء الدولة الأموية ، ليس من الفحول ، ولا ممن مدح الخلفاء .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى افتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أَلَا لا أُبالِى بعــد رَيّا أَوافقت ... نَوانا نَوى الجيران أم لم تُوافِقِ

هِجَانُ المُحيَّا حُرَّة الوجه سُربلت ... من الحسن سِربالًا عتيقَ البنائق (١)

---

(١) البنائق : جمع : بنيقة ، وهو مضم الزر .

أخبار والبة بن الحُباب

نسبته وكنيته

هو أسدىّ صليبيّة [1]، كوفى، شاعر من شُعراء الدولة العبّاسية. ويكنى: أبا أُسامة.

منزلته فى الشعر

وهو أُستاذ أبى نُواس. وكان ظريفاً غَزلا وصّافاً للخمر والغِلمان المُرْد. والشعر له فى ذلك مُقارَبٌ ليس بالجيد.

هو وبشار وأبو العتاهية

وهاجَى بشّار بن بُرد وأبا العتاهية ولم يَصنع شيئاً وفَضحاه، فعاد إلى الكوفة كالهارب.

شهادة عمارة له عند المهدى

وذُكر أن المهدىّ قال لُعمارة بن حَمزة: من أرقُّ الناس شعراً؟ فقال له: والبة ابن الُحباب، وهو الذى يقول:

ولها ولا ذَنبٌ لهـا ... حُبٌّ كأطراف الرِّماحِ
فى القلب يَقدح والحشى ... فالقَلب مَجْروح النواحى

فقال: صدقت. فقال: فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين؟ قال: يمنعنى قولُه:

قلت لساقينا على خَلوة ... أدْنِ كذا رأسَك من [2] راسِى
ونَم على صدرك لى ساعةً ... إنى أمرؤ أَنكح جُلّاسى

أفتريد أن نكون من جُلاسه على هذه الشريطة؟

شعره الذى فيه الغناء

والبيتان الأولان، هما الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار والبة.

---

(١) صليبية: أى قريب القرابة.

(٢) فى غير التجريد: « راسيا — جلاسيا ».

كان يعشق أبا نواس

وذُكر أن والبة كان يعشق أبا نواس ، وهو القائل :

يا شقيق النفس من حكم ... نِمْتَ عن ليلى[1] ولم أَنِم

ثم أُدعى أبو نواس هذا الشعر ، فلا يُعرف إلا به .

بينه وبين أبي نواس

وذُكر أن والبة بن الُحباب كشف ثوب أبي نواس يوماً ، فرأى حُمرة أليتيه و بياضهما ، فلم يملك نفسه أن قبّلهما ، فضرط عليه أبو نواس . فقال والبة : لم فعلت هذا ؟ فقال : كراهية أن يضيع قول القائل : ما جزاء من قَبل الآست إلا ضَرْطة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عن عينى » .

أخبار عمران بن حطّان

نسبه — هو عِمران بن حِطّان بن ظبيان بن لَوذان بن عمرو بن الحارث بن سَدوس ابن شَيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن على بن بكر بن وائل . ويكنى أبا شهاب .

عقيدته — شاعر فصيح من شعراء الخوارج ودُعاتهم والمُقدمين فى مذهبهم . وكان من القَعَدة ، لأن عُمره طال فضَعُف عن الحرب وحُضورها ، فاقتصر على الدعوة والتّحريض بلسانه . وكان قبل ذلك يطلُب الحديث والعِلم ، ثم ابتلاه الله تعالى بمذهب المارقة فضلّ وأضل .

أدرك عائشة — وكان أدرك أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة وروى عنهم .

هربه بمذهبه وموته — وأصل عِمران من البصرة ، فلما اشتهر بهذا المذهب الخبيث طَلبه الحجاج فهَرب إلى الشام ، فطلبه عبدُ الملك فهرب إلى عُمان ، وكان ينتقل من مكان إلى مكان ، حتى مات فى تواريه .

عبدالملك والحجاج فى شأنه — وذُكر أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج بن يوسف يُخبره بصفة عمران بن حِطّان وأنه ينتقل فى مدائن الشام . فاجتهد عبد الملك فى طلبه . ونزل عمران برَوح بن زِنباع الجُذامى ، ورَوح لا يعرفه . وكان رَوح يسمُر عند عبد الملك ، فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين ، إن فى أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً إلا سمعته منه ، وزادنى مما ليس عندى . فقال : ممن هو ؟ فقال : من الأزد . وكان عمران قال لروح : إنى من الأزد . فقال : إنى لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان ، لأنى سمعتك تذكر لغة فزارية ، وصلاة وزهداً ورواية وحفظاً ، وهذه صفته . قال

روح : ما أنا وعمران . ثم دعا عبد الملك بكتاب الحجاج ، فإذا فيه صفة عمران ، وأنه رجل طوال أفوه . فقال روح : هذه والله صفة الرجل . ثم أنشد عبدُ الملك قول عِمران بن حطّان يَمدح عبد الرحمن بن مُلجم المُرادى بقتله على بن أَبى طالب رضى الله عنه :

يا ضَربة مِن تقىّ[1] ما أَراد بها إلّا ليبلُغ من ذى العَرش غُفرانَا
إنى لأذكره يوماً فأَحسبه[2] أوفى البريّة عند الله مِيزانا

ثم قال عبد الملك : من يعرف منكم قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً . فقال لروح : سل ضيفك عن قائلها . قال : نعم ، أنا سائله فما أراه يخفى عليه ، وما سألته عن شىء قط فلم أَجده عالماً به . وراح رَوح إلى أَضيافه فقال لهم : أَمير المؤمنين قد سألنا عن الذى يقول :

* يا ضربة من تقىّ ما أَراد بها *

ثم ذكر الشعر ، وسألهم عنه . فقال عمران : هذا قول عمران بن حِطّان فى ابن مُلجم ، قاتل علىّ بن أَبى طالب . فقال : فهل فيها غير هذا تُفيدنيه ؟ قال : نعم :

لله دَر المُرادىّ الذى سفكت كفّاه مُهجة شر الخلق إنسانَا
أَمسى عشيّة غَشّاه بضربته ممـا جناه من الآثام عُريانا

فغدا رَوح فأَخبر عبد الملك . فقال : من أَخبرك بذلك ؟ قال : ضيفى . فقال : أَظنه والله عمران بن حطان ، فأَعلمه أنى قد أَمرتك أن تأتينى به . فقال : أَفعل . فراح روح إلى أَضيافه ، ثم أَقبل على عمران ، فقال : إنى ذكرتُك لأَمير المؤمنين فأَمرنى أن آتيه بك . فقال : قد كنت أُحب ذلك وما مَنعنى من ذكره إلا الحياء

(١) فى بعض أصول الأغانى : «كريم» .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « إنى لأفكر فيه ثم أحسبه » .

منك ، وأنا متبعك ، فانطلق . فدخل روح على عبد الملك ، فقال له : أين صاحبك ؟ فقال : قال لى : أنا متبعك . فقال : أظنك والله سترجع فلا تجده . فلما رجع إلى منزله إذا عمران قد مضى ، و إذا هو قد خلّف رقعة عند رأسه ، فإذا فيها :

يا رَوح كم من أخى مَثْوى نزلت به ... قد ظنّ ظنّك من لَخم وغسّانِ
حتى إذا خفتَه فارقتُ منزله ... من بعد ما قيل : عمران بن حِطّان
قد كنت ضيفَك حولاً لا تُروِّعنى ... فيه الطوارقُ من إنس ومِن جان
حتى أَردت بى العُظمى فأَوحشنى ... ما أَوحش الناسَ من خوف ٱبن مروان
فاُعذر أخاك ٱبنَ زنباع فإنّ له ... فى الحادثات هناتٍ ذات ألوان
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمن ... وإن لقيت معدّيًّا فعَدْنانى
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغية ... كنتَ المقدَّم فى سرِّى و إعلانى
لكن أبت ذاك آياتٌ مطهّرة ... عند التلاوة فى طٰه وعمران

استشهاد رجل من متخلفى الخوارج بشعر له

وذُكر أنه كتب عيسى الحبطى إلى رجل من الخوارج — يقال له : أبو خالد — تخلف عن الخروج مع قطرى بن الفجاءة المازنى ، أو غيره منهم :

أبا خالد أنفر فلست بخالد ... وما ترك القرآنُ عذراً لقاعدِ
أتزعم أن الخارجينَ على الهدى ... وأنتُ مقيمٌ بين لصٍّ وجاحد

فكتب إليه : ما يَمنعنى من الخروج إلا بناتى والحدب[1] عليهن ، حيث سمعتُ عِمران بن حطّان يقول :

لقد زاد الحياة إلىَّ حُبًّا ... بناتى إنهنّ من الضِّعافِ
مخافةَ أن يَذُقن البؤس بعدى ... وأنْ يَشْرَبْن رَنْقا بعد صافى
وأن يَعْرَين إن كسى الجوارى ... فيُبدِى الضُّرُّ عن هُزل عِجاف[2]

(١) فى بعض أصول الأغانى : «والخوف» . وفى بعض آخر : «والحرب» .
(٢) العجاف : جمع عجفاء ، وهى المهزولة .

فلولا هن قد سَوّمت مُهرى وفى الرحمن للضُّعفاء كافى

فجعل عيسى يقرأ الأبيات و يبكى و يقول : صدق أخى ، إن فى ذلك لعذراً ، و إن فى الرحمن للضعفاء كافيا .

وهذه الأبيات هى الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمران ابن حطّان . شعره الذى فيه الغناء

أخبار الأضبط بن قريع (*)

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج الأضبط بن قريع ، والشعر الذى له وفيه الغناء :

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ... ويأكل المالَ غيرُ من جمعهْ

فاقبلْ من الدهر ما أتاك به ... من قَرّ عيناً بعَيشه نفعه

لكُل هَمٍّ من الهُموم سعه ... والصبح والمسا لا بقاء معه

وهذه من أبيات ، منها :

لا تحقرن الفقير علك أن ترْ ... كع يوماً والدهرُ قد رَفعه

(*) وقبل أخبار الأضبط ترجم أبو الفرج لعمارة بن الوليد ، إلا ان ابن واصل مر عنه ولم يشر .

أخبار أعشى ربيعة

نسبه

هو عبد الله بن خارجة بن حَبيب بن قَيس بن عمرو بن حارثة بن أبي رَبيعة ابن ذُهل بن شَيبان بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

مرواني المذهب

شاعر إسلاميّ من ساكني الكوفة، وكان مروانيّ المذهب، شديدَ التعصُّب لبني أمية.

قدومه على عبد الملك، وما كان من زيد الكاتب

وذُكر أنّ الأعشى هذا قَدم على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما الذى بقى منك؟ قال: لقد ذهب منّى وقد بقى علىّ، إنى أنا الذى أقول:

وما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتى ... بمُهتضم حقِّى ولا قارع سِنّى
ولا مُسلمٍ مولاى عند جناية ... ولا خائفٍ مولاى من شرّ ما أجنى
وإنّ فؤاداً بين جنبيّ عالم ... بما أبصرتْ عَينى وما سمعت أُذنى
وفَضّلنى فى الشِّعر واللُّب أنّنى ... أقول على عِلْمٍ وأعرف من أَعنِى
وأصبحت إذ فضّلت مروانَ وابنه ... على الناس قد فضّلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك: من يلومنى على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تُخوت من ثياب، وعشر فرائض[1] من الإبل، وأقطعه ألف جَريب[2]، وقال: امض إلى زيد الكاتب يكتُب لك بها. فأتاه وتردّد إليه مراراً، فأبطأ عليه، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبي مُستشفعاً به إلى زيد، فكلمه سفيان فأبطأ عليه، فعاد الأعشى إلى سفيان فقال له:

---

(١) الفرائض: جمع فريضة، وهى المسنة من الإبل.

(٢) الجريب: قدر ما يزرع من الأرض.

عُد إذ بدأت أبا يحيى[1] فأنت لها ولا تكُن حين هاب الناسُ هيَّابَا
واُشفع شَفاعة أنفٍ لم يكُن ذَنَبا فإنّ مِن شُفعاء النــاس أذنابا

فأتى سُفيان زيداً فلم يفارقه حتى قضى حاجتَه .

ومن جيد الشعر

ومن جيِّد الشعر قولُ الأعشى يمدح عبد الملك بن مروان :

رأيتُك أمسِ خيرَ بنى سعيد وأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ
وأنت غدا تَزيد الضِّعف فضلا كذاك تَزيد سادةُ عبد شَمس

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبـار الأعشى ، هو البيتان الأولان من الأبيات التى تقدم ذكرها[2] .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بحسنى » مكان «أبا يحيى» .
(٢) يعنى القصيدة (ص : ١٩٣١) .

أخبار عمرو بن قميئة

هو عمرو بن قَمِيئة بن سَعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ابن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، وقد تقدم بقية النسب . نسبه

وقد ذكر أنّ عمراً هذا من قُدماء الشعراء فى الجاهلية . ويقال : إنه أول من قال الشعر من نِزار ، وهو أقدم من أمرىء القيس ؛ ولقيه أمرؤ القيس فى آخر عُمره فأخرجه معه فى طريقه ، وسمّته العرب عَمراً الضائع ، لموته فى غُربة ، وفى غير أَرب ولا مطلب . أقدميته ولقاؤه امرأ القيس

وذُكر أن عَمرو بن قَميئة كان شاعراً فحلاً متقدّماً ، وكان شاباً جميلًا حسنَ الوجه مديدَ القامة حسنَ الشعر . ومات أبوه وخلّفه صغيراً ، فكَفله عمه مَرثدُ ابن سعد ، وكانت سَبّابتا قَدميه ووُسْطاهما مُلتصقتين . وكان عمه مُحبًّا له رفيقاً عليه مُعجَباً به ، وكان عند مرثد امرأة ذات جَمال ، فهَويت عَمراً وشُغفت به ولم تُظهر ذلك له ، فغاب مَرثد لبعض أمره ، فبَعثت امرأتُه إلى عمرو تَدعوه على لسان عمّه ، وقالت للرسول : ائتنى به من وراء البُيوت . ففعل . فلما دخل أنكر شأنَها ، فوقفت ساعة ثم راودتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئتِ بأمر عظيم ، وما كان مثلى ليُدعى لمثل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لعمى لأمتنعنّ خوفَ الدناءة والذِّكر القبيح الشائع فى العرب . فقالت : والله لتفعلنّ أو لأسوأنّك . فقال : إلى المَساءة دَعَيْتِنى ! ثم قام فخرج من عندها . وخافت أن يُخبر عمّه بما جرى ، فأمرت بجَفنة فكُبّت على أثر عمرو . فلما رجع عمّه وجدها مُغضبة ، فقال لها : مالك ؟ فقالت : إن رجلًا من قومك قريب من القرابة جاء يَستامنى نفسى ، ويُريد فراشك منذ خرجت . قال : هو وامرأة عمه

ومن هو ؟ قالت أما أنا فلا أسميه ، ولكن قم فاقْفُ أثره تحت الجفتة . فلما رأى الأثر عرفه . وكان لمرثد سيف يقال له ذو الفقار ، فآلى ليضربنّه به ، فهرب فأتى الحيرة ، فكان عند اللخميّين ، ولم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم ، وقال لعمرو بن هند : إن القوم أطردونى . فقال له : ما فعلوا إلا وقد أجرمت ، وأنا أفحص عن أمرك ، فإن كنتُ مجرماً رددتك إلى قومك . فغضب وهَمّ بهجائه وهجاء مرثد ، ثم أعرض عن ذلك وَمدح عمّه وأعتذر إليه .

شهادة عادلة

وذُكر أن رجلًا سأل حماداً الراوية : مَن أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

رمتنى بناتُ الدّهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن (١) يُرمى وليس برامِى

تعميره

وذُكر أنه عُمِّر تسعين سنة ، ولمّا بلغها قال :

كأنى وقد جاوزتُ تِسعين حجة ... خلعتُ بها عنّى عِنان لِجامِى

على الراحتين مرةً وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهن قِيامى

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... وكيف بمن يُرمى وليس برامى

فلو أن ما ترمى (٢) بنَبل رأيتها ... ولكنما أرمى بغير سهام

وأهلكني تأميل يوم وليلة ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعام

شعر امرئ القيس فيه

ويقال إن عمرو بن قَميئة هو الذى عناه أمرؤ القيس بقوله :

بكى صاحبي لمّا رأى الدّرب دونه ... وأيقن أنّا لاحقان بقَيصرَا

فقلت لا تَبك عينُك إنما ... نُحاول ملكا أو نَموت فنُعذرا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عمرو بن قميئة ، هو قوله :

نأتك أُمامةُ إلا سُؤالا ... وإلا خيالًا يُوافى خَيالَا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فما بال من » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فلو أن ما أرمى » .

يُوافى مع الليل ميعادها ويأبى مع الصّبح إلّا زِيالا (١)
فذلك تَبَــذل من وُدها ولوشهدت لم تُوات النّوالا
وقــد رِيع قلبىَ إذ أعلنوا وقيل أجدّ الخليط احتمالا

المؤمــل بن جميــل

ثم ذكر أبو الفرج « المؤمل بن جميل » ولم أختر له شيئاً .

مساور بن سوار

شيء عنه — ثم ذكر « مُساور بن سوار الوراق » مولى قيس عيلان . وكان قليل الشعر ، من أصحاب الحديث .

شعره الذي فيه الغناء — والشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مساور الوراق هو :

إنّى وهبتُ لظالمى ظُلمى   وغفرتُ ذاكَ له على عِلْمِ
ما زال يَظلمنى وأرحمه   حتى رثيتُ له من الظُّلْمِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : «زيالا» مكان «احتمالا» .

أصله وشيء عنه

يكنى : أبا عثمان . من أولاد الدّهاقين . وأصله من النّهروان . ويقال : إنه مولى بني سامة بن لؤي . ومولده ببغداد ، وبها نشأ . وكان يتنقّل في السُّكنى بينها وبين سُرّ من رأى . وهو شاعر حسن الكلام ، فصيح .

شيء عن أبيه

وكان أبوه وجهاً من وُجوه المُعتزلة ، فخالف ابن أبي دُواد في بعض مذهبه ، فأغرى المعتصم وقال : إنه شُعوبي زنديق . فحَبسه مدة طويلة ، ثم خلّى الواثقُ سبيلَه . وكان شاعراً أيضاً .

بينه وبين ابن ثوابة في غلام أمرد

وذكر أن أبا العباس بن ثوابة كان يُعاتب سعيد بن حُميد على الشّغف بالغلمان المُرد ، فدخل سعيد بن حُميد يوماً على أبي العباس فرأى على رأسه غُلاماً أمردَ حسن الوجه عليه مِنطقه وثياب حِسان ، فقال ، يا أبا العباس :

أزعمت أنك لا تَلُوط فقُل لنا ... هذا المُقَرْطَق قائماً ما يَصنعُ
شهدت ملاحتُه عليك بِريبة ... وعلى المُريب شواهدٌ لا تُدْفَع

فضحك أبو العباس وقال : خذه لا بُورك لك فيه ، حتى نستريح من عَتْبك .

هو وغلام من الموالى

وذُكر أن سعيد بن حُميد كان يهوى غلاماً من أولاد المَوالى ، فغاب عنه مدة ثم جاءه مُسلِّماً عليه ، فقال له : غبت عني هذه المدة ثم جئتني ولا تقيم عندي . فقال له : قد أمسينا . فقال : تبيت . فقال : لا والله ، ما أقدر . ولم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع آذان العَتمة انصرف . فقال له : قد رضيت . ووضع النبيذ ، فجعل سعيد يحث السّقي بالأرطال ، فلما قَرُب وقت العَتمة أخذ ورقة وكتب فيها :

قُل لداعي الفِراق أخِّر قليلا ... قد قَضينا حقّ الصلاة طَويلَا

أَخِّر الوقت فى الأذان وقَدِّم بعــد ذا الوقت بُكرة وأصيلا
ليس فى ساعـــة تُؤخرها وِز رٌ فتحتى بها وتأتى (١) جميلا
وتُراعى حق المودة فينـــا وتُعـــافَى من أن تكون ثَقيلا

فلما قرأ المؤذن الرقعة ضَحك ، وكتب إليـــه يَحلف أنه لا يؤذِّن ليلته تلك العَتمة . وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى ، وسمع صوت الحارس ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، وبات فى موضعه .

اعتذاره إلى فضل

وذُكر أن سعيداً كتب إلى فَضل الشاعرة رُقعة يعتذر إليها من تغيُّر ظنِّته به ، وفى آخرها .

تَظنُّون أنى قــد تبدّلت بعدكم بديلاً و بعضُ الظَّن إثم ومُنكرُ
إذا كان قَلبى فى يديكم رَهينــة فــكيف بلا قلب أُصافى وأهجُر

شعره إلى ابن ثوابة وقد غلظ عليه

وذُكر أنّ سَعيد بن حُميــد كان صديقاً لأبى العباس بن ثَوابة ، فدعاه يوماً ، فجاءه رسول فضل الشاعرة فسأله المصير إليها ، فَمضى معه وتأخّر عن أبى العباس ، فكتب إليه رُقعة يُعاتبه معاتبةً فيها بعض الغِلظة . فكتب إليه سعيد :

أَقْلِلْ عتابَك فالبقاء قليـــلُ والدهرُ يَعـــدل مرةً ويَميلُ
لمْ أبكِ من زَمن ذممتُ صروفه إلّا بكيتُ عليه حين يَزول
ولكل نائبة أَلمّت مـــدة ولكل حالٍ أقبلت تحويل
والمُنتمون إلى الإخاء جماعـة إن حُصِّـلوا أفناهم التَّحصيل
ولعلّ أحداثَ اللَّيالى والرَّدى يوماً ستَصدع بيننـا وتَحول
فلئن سبقتُ لتبكينَّ بحَسرة وليكثُرنّ علىّ منك عَويل
ولتُفجعنّ بمُخلص لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحَبله (٢) موصول

(١) لم يرد هذا البيت إلا فى التجريد . (٢) الأبيات التالية لم ترد إلا فى التجريد .

وليذهبنّ جمال كل مروءة ... وليعفُونّ فنــاؤها المأهول
ولئن سبقتَ ولا سبقتَ ليمضين ... مَن لا يُشا كله لدىّ عَديل
وأراكَ تَــكْلف بالعِتاب ووُدّنا ... باقٍ عليــه من الوفاء دَليل
وُدٌّ بدا لذوى الإخاء جميله ... وبدت عليه بَهجة وقَبول
ولعــلّ أيّام الحياة قصيرة ... فعلام يكثُر عَتْبنــا و يطُول

وذُكر أنه بلغ فَضلَ الشاعرة أنّ سعيد بن حُميد تعشّق جاريةً من جوارى القِيان، فكتبت إليه : شعر فضل إليه

يا عالىَ السِّن ســيِّء الأدب ... شِبْت وأنت الغــلامُ فى الطَّرب
و يحك إن القِيان كالشَّرك الـ ... ـمَنصوب بين الغُرور والعَطَب
لا يتصــدَّين للفقـــير ولا ... يطلُبن إلَّا مَعــادن الذَّهب
بينا تشكَّى هواكَ إذ عــدلت ... عن زَفرات الشَّكوى إلى الطَّلب
تلحظ هــــذا وذا وذاك وذا ... لحظ مُحبٍّ بعــــين مُكتئب

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار سعيد بن حميد، هو : شعره الذى فيــه الغنــاء

تنامين عن لَيلِى وأسهره وحدى ... وأنهى جُفونى أن تُبثك ما عِندى
فإن كنتِ لا تدْرين ما قد فعلتِه ... بنــا فاُنظُرى ماذا على قاتِل العَمْد

أخبار ابن مناذر

اسمه وكنيته

هو محمد بن منـاذر ، مولى بنى ضُبير بن يَربوع ، ويكنى : أبا جعفر . وقيل : أبا عبد الله . وقيل : أبا ذَريح ، بأسم ولد له يسمى : ذَريحا ، مات صغيرا ، وفيه يقول :

كأنك للمنـــايا يا ذَريحُ اللهُ صَـوّركَ
فناط بوجهك الشِّعرى وبالإكليـل قَلَّدك

قول الجاحظ فى نسبه

وقال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عُبيد الله بن أبى بكرة ، مولى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وكان أبو بكرة عبداً لثقيف ؛ ثم أدعى عُبيـد الله بن أبى بكرة أنه ثقفى ، وأدعى سليمان القهرمان أنه تميمىّ ، وأدعى أبن مناذر أنه صليبة من بنى ضُبير بن يربوع . فأبن مناذر مولى مولى مولى ، وهو دَعىّ مولى دَعى مولى دعي ، وهذا مما لا يجتمع فى غيره قط ممن عرفناه وبلغنا خُبره .

منزلته فى الشعر وشيء عنه

وكان أبن مناذر شاعراً فصيحاً متقدِّماً فى العلم باللغة ، إماماً فيها ، أخذ عنه أكابر أهلها . وكان فى أول أمره يتألّه ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وقذف أعراض أهل البصرة ، حتى نُفى إلى الحجاز ، فمات هناك .

عصره

وذكر أنه أدرك المهدى ومدحه ، وعاش إلى آخر أيام المأمون .

هو وقومه حين كرهوا إمامته

وذكر أن ابن مناذر كان يؤم الناس فى المسجد الذى فيه قبيلتُه ، فلما أظهر ما أَظهر من الخلاعة والمُجون كرهوا أن يُصلِّى بهم ، وأن يأتموا به ، فقالوا شعراً

وذكروا ذلك فيه، وهجَوه، وألقوا الرُّقعة فى المحراب، فلما قَضى صلاته قرأها ثم قَلبها وكتب فيها :

نُبّئت قافيــةً قِيلت تَناشدها قومٌ سأترِكُ فى أعراضهم نُدَبَا
نالكِ الذين رَووهـــا أمّ قائلها ونالكِ قائلُهــا أمّ الذى كتبا

ثم رمى بها إليهم، ولم يَعد إلى الصلاة بهم.

أول تهتكه

وكان أول تهتّك ابن مناذر أنه عشق عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وفُتن به، فتهتّك بعد ستره، وفَتك بعد نُسكه.

شعره الذى فيه الغناء وشىء عن عبد المجيد معشوقه

ولما تُوفى عبد المجيد هـذا رثاه ابن مُناذر بالقصيدة التى أولهـا الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن مناذر، وهو :

كُلّ حىّ لاقِى الحِمام فمُودى ما لحَىّ مؤمَّل من خُــلودِ
لا يَهاب المَنونُ شيئاً ولا تُبـ ـقِى على والدٍ ولا مَــولود

وحَــكى خلّاد الأرقط قال : لقينى ابنُ مناذر بمكة فأنشدنى هذه القصيدة، ثم قال : اقرَأْ أبا عُبيدة السلام وقل له : يقول لك ابن منـاذر : اتّق الله واحكم بين شعرى وشعر عدِىّ بن زيد، ولا تَقُل : ذلك جاهلىّ وهذا إسلامى، فتحكم بين العصرين، ولـكن احكُم بين الشعرين ودَع العصبية. وكان ابن منـاذر يَنحو نحو عدِىّ بن زيد ويَميل إليه ويقدّمه، ومنها :

إن عبدَ المَجيــد يوم تولّى هدّ ركناً ما كان بالمَهدُودِ
هدّ عبدُ المجيد رُكنى وقد كنـ ـتُ بُركنٍ أبوءُ منـــه شديد
ما دَرى نعشُه ولا حاملوه ماعلى النَّعش من عَفاف وجُود
وأرانا كالزرع يَحْصُدنا الدهـ ـر فمِن بين قائمٍ وحَصـــيد

ومنها :

لأُقيمنّ مأتماً كنُجـوم الـ ... ـليل زُهراً يَلْطِمن حُرّ الخدود

مُوجعات يبكين للكَبِد الحرّ ... ى عليـه وللفؤاد العَميد

كنتَ لى عصمةً وكنت سماءً ... بك تحيا أرضى ويخضرّ عُودى

ولما سمعتْ أم عبد المجيد هذا الشعر قالت : والله لأُبرّن قسمه . فأقامت عليه مأتماً ، وقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه يَصِحن عليه : واى، ويه . ويقال إنها أول من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

ومنها :

يَقدح الدهرُ فى شَماريخ[1] رَضوَى ... ويَحُط الصُّخور من[2] هَبُّود

وذُكر أن أعرابيًّا سمع هـذا البيت فقال : ما أجهل قائله بهَبُّود ؟ والله إنها لأ كَمة ما تُوارى الخارئ ، فكيف يحُط منها الصخور[2] .

من حب ابن مناذر لعبد المجيد

وذُكر أن عبد المجيد هـذا كان من أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً ، وأكملهم فى كل حال ، وكان على غاية المحبّة لأبن مناذر والمُساعدة له والشّغف به ، وكان يبلّغ أباه خبره ، على جلالته وسنه وموضعه من العلم ، فلا يُنكر ذلك ، لأنه لم يكن تبلُغه ريبةٌ عنه .

وذُكر أن ابن مُناذر خرج فى صلاة التراويح ، وهو فى المَسجد بالبصرة ، وخرج عبد المجيد خلفه ، فلم يزل يُحدِّثه إلى الصُّبح ، وهما قائمان ، إذا انصرف عبد المجيد شيّعه أبن مناذر إلى منزله ، فإذا بلغـه وانصرف أبن مُناذر تَبعه عبد المجيد ، لا يَطيب أحدُهما نفساً بفراق صاحبه حتى أصبحا . فقيل لعبد الوهاب

(١) رضوى : جبل بالمدينة .

(٢) ذكر ياقوت هذا البيت فى رسم « هبود » وذكر قصة كهذه ولكنها تختلف عنها .

أبى عبد المجيد : ابن مناذر قد أفسد ابنك . فقال : أوما يَرضى أبى أن يرضى ابن مناذر به .

مدح ابن مناذر لعبد المجيد

ومما قاله ابنُ مناذر يمدح به عبد المجيد هذا قصيدةً أولها :

شَيَّب رَيْبُ الزمانِ رأسى ... لهفى على رَيْب ذا الزمانِ
يقدح فى الصُّم من شَرَورَى ... ويُحدر العُصم من أبانِ(١)

ومنها :

منّى إلى الماجد المُرجَّى ... عبد المجيد الفتى الهِجانِ
خير ثقيف أبًا ونفسًا ... إذا التقت حَلْقتا(٢) البِطانِ
نَفسى فداءٌ له وأهلى ... وكُل ما تَملِك اليدانِ
كأنّ شمس الضُّحى وبَدْر الدُّ ... جى عليه مُعلَّقانِ
نِيطا معًا فوق حاجبيه ... والشمسُ والبدرُ يَضحكانِ
مُشمِّرًا همُّه المعالى ... ليس بَرثٍّ ولا بوانى
بَنى له عزةً ومجدًا ... فى أول الدهر بانيانِ
بانٍ تلقّاه من ثقيف ... ومن ذوى الأَزد خيرُ بانى
فاسأله ممّا حوت يداه ... يهتزّ كالصارم اليمانى

وكان عبد المجيد هذا محدِّثًا جليلا ، قد رَوى عنه وُجوهُ المحدِّثين وكُبراء الرُّواة .

مرض عبد المجيد ولزوم ابن مناذر له

ومرض عبد المجيد مرضًا شديدًا ، فكان ابنُ مناذر مُلازمًا له يُمرّضه ويخدُمه ولا يتولى أمرَه غيره بنفسه ، ولا يَكِله إلى أحد .

فحكى بعضُ مَن حضره قال : إنه أُسخن لعبد المجيد ماء حارٌّ ليشرب به ، فاشتد به الأمر فجعل يقول : آه ، بصوت ضعيف . فغمس ابنُ مُناذر يده فى الماء الحار

(١) شرورى : جبل مطل على تبوك . وأبان : أحد جبلين ، سمى أحدهما : أبان الأبيض ، والآخر : أبان الأسود . أو هما شرقى الحاجر : وبينهما ميلان ، (٢) البطان : حزام القتب .

وجَعل يقول : آه ، مع عبد المجيد ويده تحترق ، وقد كادت تسقط . قال : فجذبناها وأخرجناها ، وقلنا له : أمجنون أنت ! إيش هذا ! أيَنتفع[1] هو بذاك ؟ فقال : أساعده ، وهذا جهدٌ من مُقل .

جزع ابن مناذر على موت عبد المجيد ورثاؤه له

ثم أُستقل عبدُ المجيد من علّته تلك وعُوفى مدة طويلة ، ثم وَقع من سطح فمات . فجزع عليه أبن مُناذر جزعاً شديداً ، حتى كاد يفضُل أهلَه وإخوته فى البكاء والعويل ، وظهر منه من الجزع ما عجب الناس له ، ورثاه بالقصيدة الدالية وغيرها . ومما رثاه به :

يا عين حقّ لك البُكا ... ء بحادث الرُّزء الجَليلْ
فأبكى على عبد المجـ ... ـيد وأعولى كُلَّ العَويل
لا يُبعد اللهُ الفتى الـ ... ـفيّاض ذا الباع الطَّويل
عَجِل الحِمامُ به فودّ ... عنا وأذّن بالرحيل
لَهفى على الشَّعر المُعفَّـ ... ـر منك والخدِّ الأَسيل
كُسفت لفقدك شَمسُنا ... والبدرُ آذن بالأُفول

ابن مناذر وأبو نواس

وذُكر أنّ أبن مُناذر دخل المسجد الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غلام مَليح الصورة مُستند إلى سارية ، فكتب رقعة وأَنفذها إليه . فقرأها الغلام وكتب على ظهرها :

مَثَلُ أمتداحك لى بلا وَرِق ... مَثلُ الجدار بُنى على خُصّ[2]
وأَلذُّ عندى مِن مديحك لى ... سُود النِّعال ولَيِّن القُمْص
فإذا عزمتَ فهَىِّ لى وَرِقا ... وإذا فعلتَ فلستُ أَستعصى

فلما قرأها أبن مناذر قام إليه وقال له : ويلك ! أنت أبو نُواس ؟ قال : نعم .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مما ينتفع به ذاك » . (٢) الخص : القصب .

فأنت أبن مناذر ؟ قال : فسلّم عليـــــه وتعانقا ، وكان ذلك أول المودة بينهما .

غلبة المجون على شعره

وذُكر أن أبن مُناذر لما ترك النُّسك ومال إلى الخلاعة ، كان إذا أُمتدح أو فَخر لم يجعل أفتتاح شعره ومُبتدئه إلّا المُجون ، حتى قال فى مدحه للرشيد :

هل عندكم رُخصة عن الحسن الـ ـبصرىّ فى العِشق وأبن سيرينا
إن سَـــــفاهاً بذى الجلالة والـ ـشَّيبة ألاّ يَزال مَفتُــــونا

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

ألا يا قمر المَســــجـ ـد هل عندك تَنْويلُ
شِفائى منـك إن نَوَّلْـ ـتنى شَمٌّ وتقْبيــــل
سَـــلا كلُّ فؤادٍ و فؤادى بك مَشْغول
لقـد حُمِّلتُ من حُبِّـ ـك ما لا يَحْمل الفِيل

رثاؤه الرشيد

وذُكر أن هارون الرشيد كان وصل أبن مُناذر مراتٍ بِصلات سنية ، فلما مات الرشيد رثاه أبن مُناذر فقال :

مَن كان يبكى للعُــلا ملكاً وللهمم الشَّريفهْ
فَلْيبـك هارون الخليـ ـفة للخليفة والخليفـه

هو والرشيد يوم التروية

وذُكر أن الرشيد حجَّ بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحجَّ معه الفضل بن الربيع . قال أبن مُناذر : وكنت مُضيقاً مُملقاً ، فهيّأت قولًا أجدتُ تَنْميقه وتنوّقت فيه ، فدخلتُ إليـه فى يوم التَّروية [1] فإذا هو يسأل عنى ويطلُبني ، فبدَرنى الفضلُ أبن الربيع قبل أن أتكلم فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ومادحهم . وكان البشر ظهر فى وجهه لما دخلت ، فتنكر وعَبس فى وجهى . فقال له الفضل : مُره يا أمير المؤمنين أن يُنشدك قولَه فيهم :

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة ، سمى به لأن الحجاج يترووون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ريهم من الماء يسقون ويستقون .

* أتانا بنو الأملاك من آل برمك *

فقال : أنشدها . فأبيتُ . فتوعّدنى ، فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فياطيب أخبار و ياحُسن منظرِ
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت بيحيى و بالفضل بن يحيى وجَعفر
فتُظلم بغدادٌ ويَجلو لنا الدُّجى بمكة ما عِشنا ثلاثةُ أقْمُر
فما صَلحت إلا لُجودٍ أكُفُّهم وأقدامُهم إلا لأعوادِ منبر
إذا راضَ يحيى الأمرَ ذلّت صعابُه وحَسْبك من راعٍ له ومُدَبِّرِ
ترى الناس إجلالًا له وكأنهم غَرانيقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصَرصرِ(١)

ثم أتبعت ذلك أنْ قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيامَ مدحتُهم وفى طاعتك ، لم يلحقهم سُخطك ، ولم تحلُل بهم نقمتك ، ولم أكن فى ذلك مُبتدعاً ، ولا خَلا أحدٌ من نُظرائى من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلّنى فضلهم ، وأغنانى رِفدهم ، فأثنيتُ بما أولوا . فقال : يا غلام . الطم وجهه . فلُطمت والله حتى سدرت(٢) وأظلم ما بينى و بين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنّك ، ولا تركت أحداً والله يُعطيك فى هذا العام شيئاً . فسُحبت حتى أُخرجت ، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا فى نفسى وحالى ، وما جرى علىّ ، ولا والله ما عندى يومئذ ما يُقيم قُوت عيالى لعِيدهم . فإذا بشابٍّ قد وقف علىّ ثم قال : أَعزز علىّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك ، ودَفع إلىّ صُرة ، وقال : تبلّغ بما فى هذه . فظننتُها دراهم ، و إذا بها ثلثمائة دينار . فقلت له : من أنت ؟ جعلنى الله فداك . فقال : أنا أخوك أبو نُواس . فاستعن بهذه الدّنانير واعذرنى . فقبلتُها وقلت له : وصلك الله يا أخى وأحسن جزاءك .

(١) الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو من طيور الماء . والصرصرة : صوت البازى .
(٢) سدرت : تحيرت .

شعر له في جعفر والرشيد

وحكى ابن مُناذر قال: قال لي جعفر بن يحيى: قُلْ فيَّ وفي الرشيد شعراً تَصف فيه الأُلفة بيننا. فقلت:

قد يَقطع الرَّحم القريبُ ويكفُرُ النُّـ عمَى ولا كتقـارُب القَلْبَيْنِ
يُدنى الهوى هذا ويُدنى ذا الهوى فإذا هما نَفْس ترى نَفْسـين

قال أبو الفرج: هذا أخذه ابن مُناذر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرحم تُقطع، وإن النِّعم تُكفر، ولن ترَى مثل تقارُب القلوب.

أخبار أشجع السلمى

نسبه

هو أشجع بن عمرو . ويكنى : أبا الوليد . من ولد الشَّريد بن مَطرود السُّلمى .

وكان أبوه تزوّج امرأة من أهل اليمامة ، فشَخص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع . ونشأ باليمامة . ثم مات أبوه فَقدمت به أُمه البصرة ، فطلبت ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت أُمه بالبصرة ، وكان من لا يعرفه يدفع نسبه .

منزلته فى الشعر وصلته بالرشيد

ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُدَّ فى الفحول . وخَرج إلى الرقة ومدح الرشيد بها والبرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى خاصة وأصفاه مدحــه ، فوصله بالرشيد ومَدحه ، وأثرى وحَسُنت حاله فى أيامه .

وفوده على الرشيد مع الشعراء

وحَــكى أشجع قال : شخصت من البصرة إلى الرقة فوجدتُ الرشيدَ غازياً ولحقتْنى خَلّة[1] ، فخرجت حتى لقيته منصرفاً من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائحٌ ببابه : من كان ها هنا من الشعراء فليحضُر يوم الخميس . فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم . فأمر بالبُــكور يوم الجمعــة ، فبَكّرنا وأُدخلنا . وقُدِّم واحد واحد منّا يُنشد ، على الأسنان ، وكنت أحــدث القوم سناً وأرثَّ القوم حالا ، فما بُلغ إلىَّ حتى كادت الصلاة تَجب ، فتقدمت والرشيد على كُرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سِماطان ، فخِفت أن أبتدئ من أول قصيدتى بالتّشبيب فتجب الصلاة ويفُوتنى ما أردت ، فتركت التَّشبيب وأنشدته من موضع المَديح من قصيدتى التى أولها :

تذكر عهد البِيض وهو لها تِرْب   وأيامَ يُصبى الغانيــاتِ ولا يَصْبُو

(١) الخلة : الحاجة .

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملك يَستغرق المالَ جُودُه ... مكارمُه نَثْرٌ ومَعروفه سَكْبُ
وما زال هارونُ الرّضى ابنَ محمد ... له من مِياه النَّصر مشربها عَذب
متى تبلغ العِيس المَراسِيل بابَه ... بنا فهُناكَ الرُّحب والمنزل الرَّحب (١)
جمعتَ ذوى الأهواء حتى كأنهم ... على مَنهج بعد افتراقهمُ رَكْب
بعثتَ على الأعداء أبناءَ دُربة ... فلم تَقِهم منهم حُصون ولا دَرْب
وما زِلت تَرميهم بهم متفرِّدا ... أنيسَاكَ جِنُّ الرأى والصارم العَضْب (٢)
جَهدتُ فلم أبلغ عُلاكَ بمدحة ... وليس على من كان مُجتهداً عَتب

فضحك الرشيد ثم قال : خفت أن تحضُر الصلاة ويَنقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التَّشبيب ، وأمرنى أن أنشده التَّشبيب ، فأنشدته إياه . فأمر لكل واحد من الشعراء بعَشرة آلاف درهم ، وأمر لى بضعفها .

وفوده على الرشيد فى قصره بالرقة

وحكى أحمد بن سيّار الجرجانى قال : دخلت أنا وأشجع السُّلمى ، وأبو محمد التَّيمى ، وابن رزين الخزاعى[٣] على الرشيد فى قَصر له بالرَّقة ، وقد ضَرب أعناق قوم فى تلك الساعة ، فجَعلنا نتخلّل الدماء حتى وصلنا إليه . فأنشده أبو محمد التَّيمى قصيدةً له يذكر فيه نقفور ووقعته فى بلاد الروم . فنثر عليه مثل الدُّر من جودة شعره . وأنشده أشجع قوله :

قَصْرٌ عليه تحيّة وسلامُ ... ألقت عليه جمالَها الأيامُ
قصُرت سُقوفُ المُزْن دون سُقوفه ... فيه لأعلام الهُدى أعلام
تُثنى على أيامك الأيام ... والشاهدان الحِلّ والإحرام
وعلى عدوّك يابن عم محمد ... رَصَدانِ ضوءُ الصُّبح والإظلام
فإذا تنبّه رُعْته وإذا غَفا ... سلّت عليه سيوفَك الأحلام

(١) الرحب : الترحيب . (٢) فى غير التجريد : « حزم » .
(٣) فى غير التجريد : « الخراسانى » .

وأنشدته أنا قولى :

* زمن لنـــا[1] بالرَّقتين قصير *

حتى أنتهيت إلى قولى :

لاتبعد الأيام إذ ورق الصـــبا خَضِلٌ وإذ غُصن الشباب نَضِير

فاُستحسن هذا البيت . ثم مضيت فى القصيدة حتى أتممتُها ، فوجه إلىّ الفضلُ أبن الربيع : أنفذ إلىّ قصيدتك فإنى أريد أن أُنشدها الجوارى ، من أستحسانه إياها . قال : فركب الرشيد يوماً قُبــة ، وسَعيد بن سَلم معه فى القبة ، فقال : أين محمد البيذق ؟ وكان رجلاً حسن الصوت يُنشد الشعر ويطّرب بحسن صوته أشدَّ من طرب الغنــاء ، فحضر . فقال : أنشدنى قصيدة الُجرجانى ، فأنشـــده . فقال : الشعر فى ربيعة ســائر اليوم . فقال له سعيد بن سلم : يا أمير المؤمنين ، أستنشده قصيدة أشجع بن عمرو . فأبى . فلم يزل به حتى أجاب إلى أستماعها . فلما أنشـــده هذين البيتين . * وعلى عــدوك يابن عم محمد * البيتين

قال له سعيد بن سلم : والله يا أمير المؤمنين ، لو خرس بعــد هذين البيتين لكان أشعرَ الناس .

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

اصطبح الواثق فى يوم مَطير ، واتصل شُربه وشربنا معــه حتى سَقطنا لجنوبنا صَرْعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُوِّل أحد منا عن مضجعه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أمرهم وقال : لاتحركوا أحداً منهم عن مَضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، وأمر بإنباهنا ، فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه وهو جالس وفى يده كأس وهو يَروم شربها ، والُخمار يمنعه ، فقال لى : يإسحاق ، أنشدنى فى هذا المعنى شيئاً . فأنشدته قول أشجع السلمى :

ولقـــد طعنت الليل فى أعجازه بالكأس بين غَطارف[2] كالأنْجُم

---

(١) فى غير التجريد : « بأعلى » . (٢) الغطارف : السادة الأشراف .

يَتمايلون على النَّعيم كأنهم   قُضب من الهندىّ لم تتثلَّم
وسعى بها الظَّبى الغرير يزيدها   طيباً ويَغْشمها[1] إذا لم تُغشم
والليلُ مُنتقب بفَضل ردائه   قد كاد يُسفر عن[2] أغر أرثم
وإذا أمرّتها الأكفُّ رأيتها   تثنى الفَصيح إلى لِسان الأعجم
وعلى بَنان مُديرها[3] عِقيانةٌ   من لونها وعلى فُضول المِعْصم
تَغلى إذا ما الشعريان تلظّتا   صَيفاً وتسكن فى طُلوع المِرْزم[4]
ولقد فَضضناها بخاتَم ربِّها   بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّم
ولها سُكون فى الإناء وبعده   شَغْب يُطوِّح بالكمىّ المُعْلَم
تُعطى على الظُّلم الفَتى بقيادها   قَسْراً وتَظلمه إذا لم تُظْلم

فطرب وقال: أحسن والله أشجع، وأحسنت يا أبا محمد، أعِد بحياتى. فأعدتُها. فشرب كأسه عليها، وأمر لى بألف دينار.

شعره إلى الرشيد وقد أبطأ عليه فى شىء

وذُكر أن أشجع السُّلمى كتب إلى الرّشيد، وقد أبطأ شىء أمر له به:

أَبلغ أميرَ المؤمنين رسالةً   لها عُنق بين الرُّواة فَسيحُ
بأنّ لسان الشعر يُنطقه النَّدَى   ويُخرسه الإبطاء وهو صحيح

فضحك الرشيد وقال له: لن نُخرس لسان شعرك، وأمر بتعجيل صلته.

دخوله مع الشعراء على الرشيد للتهنئة بولاية جعفر خراسان

وحُكى أن الرشيد لمّا ولّي جعفر بن يحيى خراسانَ جلس للناس، فدخلوا عليه فهنئوه. ثم دخل الشعراء فأنشدوه، وقام أشجع آخرَهم فاستأذن فى الإنشاد. فأذن له، فأنشده قوله:

أتصبر للبين أم تَجزعُ   فإنّ الدِّيار غداً بَلْقَعُ
غداً يتفرّق أهلُ الهوى   ويكثُر باكٍ ومُسترجع

---

(١) يغشمها: يجور عليها ويسرف.   (٢) أرثم: أبيض.
(٣) عقيانة: واحدة العقيان، وهو الذهب.   (٤) المرزم: نجم.

حتى انتهى إلى قوله :

ودوّية بين أقطارها مقاطع أرضين لا تُقطعُ
تجاوزتُها فوق عَيرانة[1] من الرِّيح فى سيرها أسرع
إلى جَعفر نزعت رغبةٌ وأىّ فتى نحوه يَنزِع
فما دونه لأمرئ مَطمع وما لأمرئ غيره مَقنع
ولا يَرفع الناسُ من حَطَّه ولا يَضعون الذى يَرْفع
تُريد المُلوك مدى جعفر ولا يَصنعون كما يَصنع
وليس بأوسعهم فى الغنى ولكنّ مَعروفه أوسع
تلوذ المُلوك بأبوابه إذا نابها الحدث الأقطع
بديهتُه مثلُ تدبيره متى رُمْته فهو مُستَجمع
فكم قائلٍ إذ رأى ثروتى وما فى فُضول الغِنى أصنع
غدا فى ظلال نَدَى جعفر يجُر ثياب الغِنى أشجع
فقل لخراسان تَحيى فقد أتاها ابنُ يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً واستحسن شعره ، وجعل يُخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

شعره فى عزل جعفر

ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير ، فعزل جعفراً عن خُراسان بعد أن أعطاه العهد والكُتب ، وعَقد له العقد وأمر ونهى . فوَجم لذلك جعفر . فدخل عليه أشجع ، فقال :

أمست خراسان تُعزَّى بما أخطأها من جعفر المُرتجى
فإن الرشيد المُعتلى أمره ولّى على مَشرقه الأبلجا
ثم أراه رأيُه أنه أمسى إليه منهمُ أحوجا

(١) العيرانة : الناقة .

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوّنت على العزل ، وقُمت لأمير المؤمنين بالعذر، فسَلنى ما شئت . فقال : قد كفانى جُودك ذلّ السؤال . فأَمر له بألف دينار أُخرى .

شعره فى الأمين فى مجلس الأدب

وحكى أشجع ، قال : دخلت على محمد الأمين حين أُجلس مجلس الأدب للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم ، فقلت :

ملك أبوه وأُمه من نَبعة ... فيها سراج الأُمة الوهّاج

شربت بمكة في رُبَى بطحائها ... ماءَ النبوّة ليس فيه مزاج

فأمرت لى زبيدة بمائة ألف درهم .

ولم يَملك الخلافةَ أحدٌ ، أبوه وأمه من هاشم ، إلا أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وابنه الحسن بن علىّ ، ومحمد بن الرشيد. أُم علىّ رضى الله عنه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وأُم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُم محمد بن الرشيد زبيدة بنت جعفر بن المنصور .

ما كان بين الرشيد ونقفور

وذُكر أنّ الروم كانت قد مَلكت عليها امرأة ، لأنه لم يكن بقى فى زمانها من أهل بيت المملكة غيرها ، وكانت تكتب إلى المهدي والهادى ، والرشيد فى أول خلافته بالتبجيل والتعظيم ، وتدرّ عليهم الهدايا ، حتى بلغ ابن لها، فحاز الملك دونها ، وعاث وأفسد وفاسد الرشيد ، فخافت أمه على ملك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تعطب ، لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته ، فاحتالت لابنها فسملت عينه فبطل من الملك ، وعاد المُلك إليها ، فاستكبر ذلك أهلُ المملكة وأبغضوها من أجله ، فخرج عليها كاتب لها يقال له : نقفور ، وأعانه أهلُ المملكة وعاضدوه ، فقام بأمر المُلك وضَبط أمر الروم . فلما قوى على أمره وتمكّن فى مُلكه كَتب إلى الرشيد : من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب . أما بعد : فإن هذه المرأة وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ، ووضعت نفسها موضع السوق ، وإنى

واضعك بغير ذلك الموضع ، وعامل على تطرّق بلادك والهجوم على أمصارك ، أو تؤدى إلىّ ما كانت المرأة تؤديه إليك . والسلام .

فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم . أما بعد . فقد فهمتُ كتابك ، وجوابك عندى ما تراه عِياناً لا ما تسمعه . ثم شخص فى شهره ذلك يؤم بلاد الروم فى جَمع لم يُسمع مثله وقُواد لا يُجارون رأياً ونجدة . فلما بلغ نقفور ذلك ضاقت عليه الأرضُ بما رحُبت وشاور فى أمره . وجدّ الرشيد فجعل يتوغّل فى بلاد الروم يقتُل ويَسبى ويَغنم ، ويخرِّب الُحصون ، ويعفِّى الآثار ، حتى صار إلى طرق مُتضايقة دون قسطنطينية ، فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشَّجر فقُطع ورُمى فى تلك الطرق وأُشعلت فيه النيران . فكان أول مَن لبس ثياب النفّاطين محمد بن يزيد ، فخاضها ، ثم أتبعه الناس . فبعث نقفور إلى الرشيد بالهدايا ، وخَضع له أشد الُخضوع ، وأدّى إليه الجزية عن رأسه فضلاً عن أصحابه . ففى ذلك يقول أبو العتاهية :

إمامَ الهُدى أصبحتَ بالدِّين مَعنيّا ... وأصبحتَ تَسقى كُلَّ مستمطرٍ ريّا
لك أُسمان شُقّا من رَشاد ومن هُدى ... فأنت الذى تُدعى رشيدًا ومهديّا
بسطتَ لنا شرقاً وغرباً يدَ العلا ... فأوسعتَ شرقيًا وأوسعت غربيّا
ووشّيت وجه الأرض بالجود والنّدى ... فأَصبح وجهُ الأرض بالُجود موشيّا
وأنت أميرُ المؤمنين فتَى التُّقى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْويّا
قَضى الله أن يَبقى لهارون مُلكه ... وكان قَضاء الله فى الَخلق مَقضيّا
تَجلّيت للدنيا وللدِّين بالرضى (١) ... وأَصبح نقفور لهارون ذمّيا

ورجع الرشيدُ لمّا أعطاه نقفور ما أعطاه إلى الرقة ، فلما سقط الثلج وأمن

(١) فى الديوان (٣٢١) : تجلت الدنيا لهارون ذى الرضا » .

نقفور أن كان المُهلة ، ونقض ما كان بينه وبين الرشيد ، ورجع إلى حاله الأولى ، فلم يَجترئْ يحيى بنُ خالد فضلاً عن غيره على إخبار الرشيد بغدر نقفور ، فبذل هو وأبنُه الأموالَ للشعراء على أن يقولوا أشعاراً فى إعلام الرشيد ذلك ، فكلُّهم كاعَ وأشفق ، إلا شاعراً من أهل جُدة يكنى : أبا محمد ، وكان ذو اليمينين طاهر بن الُحسين فى أيام المأمون آختصه ورفَع قَدره جدًّا ، فأعطاه يحيى و بنوه مائة ألف درهم ، فدخل إلى الرشيد فأنشده :

نَقص الذى أعطاكه نقفور فعليه دائرةُ البَوار تَدُورُ
أبشرْ أميرَ المؤمنين فإنه فَتْحٌ أتاك به الإله كبير
ولقد تباشرتِ الرعيّة إذ أتى بالنّقض عنه وافدٌ وبَشير
ورَجَتْ يمينك أن تعجّل غزوة تشفى النفوس نكالها مذكور
أعطاك جِزْيته وطأطا خدّه حَذر الصّوارم والرّدى محذور
فأجرته من وَقعها وكأنما بأكفنا شُعل الضِّرام تَطِير
وصرفتَ من طول العساكر قافلاً عنه وجارك آمنٌ مَسرور
نقفور إنك حين تغدر أن نأى عنك الإمام لجاهلٌ مغرور
أظننتَ حين غدرت أنك مُفلِت هَبِلتْك أمك ما ظننتَ غُرور
ألقاك حَيْنُك فى زَوَاخِرِ بحره فطما عليك من الإمام بُحور
إن الإمام على أقتسارك قادر قَرُبت ديارُك أمْ نأتْ بك دُور
ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً عمّا يسُوس بحزمه ويُدير
يا من يُريد رضى الإمام بسَعيه والله لا يَخفى عليه ضَمير
لا نُصح يَنفع مَن يغشّ إمامه والنُّصح من نُصحائه مشكور
نُصح الإمام على الأنام فريضة ولأهله كفّارة وطَهور

فلما أنشد هذه القصيدة قال الرشيد : أوَقد فعل ؟ وعلم أن الوزراء احتالوا فى إعلامه ذلك . فغزاه فى بقيّة من الثلج ، فافتتح هرقلة فى ذلك الوقت ، فقال أبو العتاهية فى فتحه إياها :

ألا نادت هِرَقْلة بالخراب ... من الملك المُوَفَّق بالصواب
غدا هارون يُرعد بالمنايا ... ويُبرق بالمُذَكَّرة الغضاب
ورايات يحُل النصر فيها ... تمُر كأنها قِطع السَّحاب
أميرَ المؤمنين ظفرت فاسلم ... وأبشر بالغَنيمة والإياب

وفتح الرشيد قبل هرقلة الحصون والمدن وخرَّبها . ولما أناخ على هرقلة وجدها أمنع حصن ، فتحصن أهلها بها ، وألحّ عليها الرشيد بالسهام . والمجانيق والعرَّادات(١) ففتح باب الحِصن يوماً فاستشرف المسلمون ، وإذا رجل من أهلها كأكمل الرجال ، قد خرج فى أكمل السلاح ، فنادى : قد طالت مواقفتكم إيانا ، فَلْيُبرز إلىّ منكم رجلان ، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين ، فلم يُجبه أحد . فدخل وأغلق باب الحصن . وكان الرشيد نائماً فلم يَعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خَدَمه وغِلمانه على تركهم إنباهه ، وتأسف لفوته . فقيل له : إن الامتناع منه سُيغريه ويُطغيه ، وأحْرِبه أن يخرج فى غد فيطلب مثل ماطلب . فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له ، فإذا هو بالباب قد فُتح وخرج الفارس طالباً للمبارزة ، وذلك فى يوم شديد الحر ، فجعل يدعو بأنه يثبُت لعشرين منهم . فقال الرشيد : من له؟ فابتدره جِلة قواده ، كهرثمة بن أعين ، ويزيد بن مزيد ، وعبد الله ابن مالك ، وخزيمة بن خازم ، وأخوه عبدالله ، وداود بن مَزيد ، فعزم على إخراج بعضهم . فضج المُطوعة حتى سُمع ضجيجهم . فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوا فى المشورة ، فأذن لهم . فقال قائلهم : يا أمير المؤمنين ، قُوادك مشهورون بالبأس

(١) العرادات : جمع عرادة . وهى أشبه شىء بالمنجنيق .

والنجدة وعُـلُوّ الصوت ومداومة الحرب ، فمتى خرج واحد منهم فقَتل هذا العلج لم يكبُر ذلك ، وإن قتله العلج كانت وَصمة فى[1] العسكر قبيحَة وثلمة لاتُسد ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منـا صوت إلا كما يصلح للعامة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنُخرجه إليه ، فإن ظفر عَلِم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعزّهم على يد رجل من العامة من أبنـاء الناس ، ليس ممن يُوهن قتله ولا يؤثر ، وإن قُتل الرجل فإنمـا أُستشهد رجل لم يؤثر ذهابه فى العسكر ولم يثلمه ، وخرج إليه بعده مثله ، حتى يقضى الله ماشاء . فقال الرشيد : قد استصوبت رأيكم هذا . فاختاروا رجلا منهم ــ يقال له : أبن الجزرى ــ وكان معروفاً بالبأس فى الثغر . فقال له الرشـيد : أتخرج ؟ قال : نعم ، وأستعين بالله . فقال : أعطوه فرساً ورُمحاً وسيفاً وتُرساً . فقال : ياأمير المؤمنين، أنا بفرسى أوثق ، وبرمحى بيدى أشد ، ولـكنى قد قبلت السيفَ والتُّرس . ولبس سلاحه . وأستدناه الرشيد فودّعه ، وأتبعه الدعاء . وخرج معه عشرون من المُطّوعة . فقال العلج ، لمـا انقض الجزرى فى الوادى ، وهو يعدّهم واحداً واحداً : إنمـا كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا ، ولـكن لابأس . فنـادَوه : ليس يخرج إليك إلا رجل واحد . فلمـا فصل منهم ابن الجزرى تأمله الرومى ، وقد أشرف أهل الحصن يتـأملون صاحبهم وقِرْنه . فقال له الرومى : أتصدُقنى عمّا أستخبرك ؟ قال : نعم . قال : أنت بالله ابن الجزرى ؟ قال : اللهم نعم . فـكفر له ، ثم أخذا فى شأنهما ، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان يقومان وليس يخدش أحدهما الآخر . ثم رمَيا رمحهما وأنتضيا سيفيهما وتجالدا بهما ، وكل واحد منهما يتقى ضربة صاحبه بتُرس فلا يُصيبه شيء . وبقيا على ذلك زمناً طويلا . ثم انهزم ابن الجزرى ، فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا مثلها ، وعطعط المشركون أختيالا وتطاولا . وإنمـا انهزم ابن الجزرى حيـلة على

(١) فى غير التجريد : « وضيعة على » .

الرومى ، ثم عطف على الرومى ، فرماه بوَهَق[١] فى عنقه ، فوقع على الأرض ، فما وصل إليها حتى فارق رأسُه جسده . وكبّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشركون وبادروا باب الحصن يُغلقونه . وصاح الرشيد بالقُوّاد . اُجعلوا النار فى المجانيق . ففعلوا وجعلوا الكتّان والنّفط على الحجارة وأضرموها ناراً ورمَوا بها السور ، فكانت النار تلصق به وتأخذه الحجارة وقد تصدّع فتهافت . فلما أحاطت بهم النيران فتحوا الباب مستأمنين . فقال الشاعر الذى من أهل جُدة :

هوتْ هرقلةُ لما أن رأت عجباً ... جَوائماً تَرتمى بالنِّفط والنارِ

كأنّ نيراننا فى جَنب قلعتهم ... مُصبَّغات على أرسان[٢] قصّار

فأعظم الرشيدُ العَطاء لابن الجزرى . وقُوِّد فلم يقبل التقويد إلا بغير رزق وعِوض . وسأل أن يُعفى ويُترك بمكانه من الثغر . فلم يزل به طُول عمره .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

ولما انصرف الرشيد من غزاة هرقلة قدم الرقة فى آخر شهر رمضان . فلما عيّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه ، وفيهم أشجع السلمى ، فبدرهم أشجع ومدحه بالشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أشجع ، وهو :

لا زلتَ تنشُر أعياداً وتَطويها ... تَمضى بها لك أيامٌ[٣] وتُمضيها

ولاتقَضّت بك الدنيا ولا بَرِحت ... يَطوى لك الدهرُ أياما[٤] وتُفنيها

ومنها :

مُستقبلا بهجة الدنيا وزينتها ... أيامنـا لك نَظمٌ فى[٥] لياليها

(١) الوهق : الحبل المغار ترمى فيه أنشوطه .

(٢) الأرسان : الحبال ، الواحد : رسن .

(٣) فى غير التجريد : « وتفنيها » .

(٤) فى غير التجريد : « وتفنيها » .

(٥) فى غير التجريد : « أيامنا لك لا تفنى وتفنيها » .

وليَهنك الفتح والأيام مُقبلة إليك بالنَّصر مَعقوداً نواصيها
أمست هِرقلة تُرمى(١) من جَوانبها وناصر الله والإسلام يَرميها
مُلّكتَها وقتلت الناكثين بها بنَصر مَن يملك الدُّنيا بما فيها
ما رُوعى الدِّين والدنيا على قدم بمثل هارون راعيه وراعيها

فأمر له بألف دينار وقال : لا يُنشدنى أحدٌ بعده . فقال أشجع : واللهِ لأَمرُه بألّا يُنشده أحد بعدى أحبُّ إلىّ من صلته .

أنشد الرشيد فى عيد فطر فوصله

وذُكر أن أشجع دخل على الرشيد فى يوم عيدِ فطر فأنشده :

استقبل العيدَ بعُمر جديد مَدّت لك الأيام حَبل الخلودَ
مُصعَّدا فى دَرجات العُلا نجمُكَ مقرون بسَعد السُّعود
واُطوِ رداء الشَّمس ما أطلعت نوراً جديدًا كلَّ يوم جديد
تَمضى لك الأيامُ ذا غبطة إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عِيد

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وأمر بأن يُغنَّى فى هذه الأبيات .

شعر له يهنىء به الرشيد فى أوبته من حج

وذكر أن الرشيد كان يحج سنة و يغزو سنة ، لم يزل على ذلك مدة خلافته ، وكانت ثلاثا وعشرين سنة ، وكانت السنة التى لا يحج فيها يحُج عنه مائة من الفقهاء ، والسنة التى لا يغزو فيها يبعث الجيوش إلى الثغر لغزو العدو . وكان يتصدّق كل يوم من صُلب ماله بألف درهم . فقدم سنة من الحج ، وقد مُطر الناس يوم قدومه ، فأنشده أشجع السلمى :

فاُبتسام النبات فى أثر الغيـ ـث بنوّاره كسُرج الظلام
مَلك من مَخافة الله مُغضٍ وهو مُغضًى له من الإعظام
ألِف الحجّ والجهاد فما ينفـ ـك من سفرتَين فى كل عام

(١) فى غير التجريد : « تهوى » .

سفراً لجهـــاد نحو عدوّ والمَطايا السّــفرة الإحرام
طلب الله فهو يَسعى إليه بالمَطايا وبالجيـــاد السوامى
فيَـداه يدٌ بمـكة تدعو ه وأُخرى فى غزوة الإسلام

شعره فى رثاء الرشيد

ولما تُوفى هرون الرشيد ، وكانت وفاته بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ، قال أشجع السلمى يرثيه :

غربت فى المَشرق[1] الشمـ ـس فقل للعـــين تَدْمع
ما رأينـــا قطُّ شمســاً غربت من حيث تَطلُع

(١) فى غير التجريد : « بالمشرق » .

أخبار ابن مفرّغ

نسبه — هو يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ . وإنما لُقِّب جده : مفرِّغ ، لأنه راهَن على سقاء لبن أن يشرب به حتى فرّغه ، فسُمِّى : مفرِّغا .

كنيته — ويكنى : أبا عثمان .

أصله — وهو من حِمْيَر . ومن الناس من أنكر ذلك ، وزعم أن جدّه مُفرِّغا كان عبداً للضحّاك بن عوف الهلالى ، فأعتقه . وقيل : إنه حليف قريش ، ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أُمية .

هجاؤه لآل زياد — وكان كثير الهجاء لآل زياد بن سُمية ، الذى أدعى مُعاوية بن أبى سفيان نسبه إلى أبى سفيان ، ولم يولد على فراشه ، وإنما وُلد على فراش عُبيد ، عبد ثقيف . وهو منفىّ عن أبى سفيان بحكم الشّرع المُطهّر ، وهو قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر . فمما قاله يزيد بن مفرِّغ قوله :

ألا أبلغ معاوية بنَ حَرب ... مُغلغلةً من الرّجل اليَمانِى
أتغضب أن يُقال أبوك عفٌّ ... وتَرضى أن يُقال أبوك زانى
وأشهد أن رِحْمك من زياد ... كرِحم الفِيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زيادا ... وصَخْرٌ[1] من سُميّة غيرُ دانِ

وقوله :

إذا أودى مُعاوية بن حَرب ... فبشّر شِعب قَعبك[2] بانصداع

---

(١) فى غير التجريد : « وصحرا » .

(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ وفى غير التجريد : « قلبك » .

فأشهد أن أمك لم تُباشر أبا سفيان واضعة القِناع
ولكن كان أمراً فيه لَبس على وَجَلٍ شديد وارتياع[١]

وقوله :

إن زياداً ونافعاً وأبا بكـ ـرة عندى من أعجب العَجبِ
إنَّ رجالًا ثلاثة خُلقوا فى رِحم أنثى[٢] ما كُلهم لأب
ذا قرشى كما يقول وذا مو لًى وهذا ابنُ عمّه عربِى

وقوله فى عُبيد الله بن زياد :

فكِّر ففِى ذاك إن فكَّرتَ مُعتبر هل نِلْتَ مَكرُمة إلّا بتأمير
عاشت سُمية ما تَدرى وقد عَمِرت أن ابنها من قُريش فى الجماهير

سبب هذا الهجاء

وكان السبب فى هَجو يزيد بن مفرغ لآل زياد أن عبّاد بن زياد لمّا ولّى سجستان استصحب يزيد بن مُفرغ معه ، وكان قبل ذلك منقطعاً إلى سعيد بن عثمان بن عفان ، وذلك فى أيام يزيد بن معاوية — وقيل : بل فى أيام معاوية . والأول أصح — فاشتغل عبّاد عن ابن مفرغ بحربه وخراجه ولم يُحسن إليه . فبسطَ ابن مفرغ لسانه فيه ، فذمه وهجاه .

هجاؤه عباد ابن زياد وثأر عباد منه

وكان عبّاد عظيم اللحية ، فسار معه يزيد بن مفرِّغ ، فدخلت الريح فى لحية عباد فنفشَتْها ، فضحكَ ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان إلى جانبه :

ألا ليت اللِّحى كانت حَشيشًا فنُعلفها دوابَّ[٣] المسلمينا

فسعى به اللخمى إلى عبّاد ، فغضب من ذلك ، وكثُر القول فيه عند عباد ابن زياد وأنه يسُبه ويهجوه وينال من عرضه .

(١) فى غير التجريد : « وامتناع » .
(٢) فى غير التجريد : « وكلهم » .
(٣) فى غير التجريد : « خيول » .

وأجرى عبّاد الخيل مرة فجاء سابقا، فقال ابن مفرغ :

* سبق عباد وصلّت لحيتُه *

فطلب عبّاد عليه العِلل، ودسّ إلى قوم كان لهم عليه دَين فقدّموه إليه، فحبَسه وضربه .

وكان لابن مفرّغ عبد يقال له بُرد، وجارية يقال لها الأراكة[1]، وكان شديد الضنّ بهما، فباعهما عليه، وباع فرسه وسلاحه وأثاثه وقسم الثمن بين غُرمائه، وبقيت عليه بقية حبسه بها .

شعره الذى فيه الغناء

ومما قاله فى حَبسه الشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج، وهو :

حيِّ ذا الزَّور وانْهه أن يعودا ... إنَّ بالباب حارسَين قُعودا

مِن أساوير ماينُون[2] قِيامًا ... وخلاخيلَ تُذهل المَولودا

لاذَعرتُ السَّوام فى فَلَق الصُّبـ ... ـح مُغيراً ولا دُعيتَ يَزيدا

يوم أُعطى مخافةَ الموت[3] ظُلْمًا ... والمنايا يَرْصُدنَنى أن أحيدا

هربه من عباد وعبد الله وتعذيبهما له

ثم إن عباد بن زياد أخرجه من السجن، فهرب إلى البصرة، ثم خرج منها إلى الشام، وجعل يتنقل فى مُدنها ويهجو زياداً وولده، وأشعارُه ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم . فكتب عُبيد الله بن زياد — وهو أمير العراقين — إلى يزيد ابن معاوية يُخبره بهجو ابن مفرغ له ولأبيه وإخوته ونَفيهم عن أبى سفيان بالقَدْح فى أعراضهم، وقذف أبى سفيان بالزِّنا، وأنه يجول فى مدائن الشام . فجدّ فى طلبه، وأتى البصرة واستجار بالأحنف بن قيس، فأبى أن يُجيره . ثم استجار

(١) فى غير التجريد : «الأرالة» .

(٢) فى غير التجريد : «ماكثات» .

(٣) فى غير التجريد : «ضيما» .

بخالد بن عبد الله بن أسيد ، فأبى . فأتى عُمر بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن معمر التيمى . وطَلحة الطلحات الُخزاعى ، فلم يجيراه . فأتى المُنذر بن الجارود العبدى ، فأجاره . وكانت أبنته بحرية تحت عُبيد الله بن زياد . و بلغ ذلك عُبيد الله بن زياد فطلب المنذر ، فحضر عنده مدلاً عليه بمكان أبنته عنده . فبعث عُبيد الله الشرطِ فكبسوا دار المنذر وأتوه بأبن مفرغ . فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ وهو قائم على رأسه . فقام إلى عبيد الله فكلمه فيه وسأله العفو عنه . فأبى ذلك عبيد الله . فغضب المنذر . فقال له عبيد الله : لعلكّ تُدلّ بكَر بِمتك عندى ، إن شئتَ والله لأبيتنها[1] بتطليق البتة . فخرج المنذر من عنده . وأمر عُبيد الله بحبس أبن مفرغ . وكتب إلى يزيد بن معاوية يستأذنه فى قتله . فورد الكتاب إليه بالمنع من ذلك والإذن له فى عقوبته وتأديبه . فأمر عُبيد الله بابن مفرغ فسُقى نبيذاً حُلواً قد خُلط فيه الشُّبرم ، فأسهل بطنه ، وطيف به على تلك الحال . وقُرن بسنَّور وخنزير[2] فجعل يَسْلح والصِّبيان يتبعونه ويصيحون به . وطيف به كذلك فى أسواق العامة بالبصرة حتى ضعفت قوته وكاد يموت . ثم أمر به فغُسل بالماء ، فلما اغتسل قال :

يغسل الماءُ ما فعلتَ وقولى ... راسخٌ منك فى العِظا البوالِى

فردَّه عُبيد الله إلى الحبس . فأمر أن يُسلَّم حجاماً ، وقدَّموا إليه عُلوجّا وأمروه أن يَحجمهم ، فكان يأخذ المشراط فيقطع به رقابهم ، فيهربون منه . فتُرك وَرُدَّ إلى محبسه . فقال أبن مفرغ فى ذلك :

وما كنت حجّاماً ولكن أحلَّنى ... بمنزله الحجّام نَأْيى عن الأهل

ثم أمر عُبيد الله بن زياد ببعث أبن مفرغ إلى أخيه عبَّاد بسجستان ، ووكل

(١) فى غير التجريد : « لأبيمنها » .

(٢) فى غير التجريد : « بهرة وخنزيرة » .

به رجالاً وجّههم معه ـ وكان لما هرب ابن مفرغ من عبّاد يهجوه ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات . فتقدم عُبيد الله إلى الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره . وأمرهم ألّا يتركوه يصلّ إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق . فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التى ينزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء أخذوه بمحوه بأظافيره . وكان يفعل ذلك ويحكه بها حتى ذهبت أظافيره . فكان يمحو بعظام أصابعه ودمُه يسيل . حتى سلّموه إلى عباد فحبسه وضيّق عليه ، فقال قصيدته التى أولها :

ألا طرقتنا آخر الليل زينبُ ... سلامٌ عليكم هل لما فات مطلبُ
فقالت تجنّبنا ولا تقربنّنا ... وكيف وأنتم حاجتى أتجنّب

ومنها :

قُرنت بخنزير وهرّ وكلبة ... زماناً وشأن الجلد ضَرْب مُشذَّب
وأطعمت ما إن[1] لا يحلّ لآكل ... وصلّيت شرقاً بيتُ مكة مُغرب
من الطف مجنوباً[2] إلى أرض كابل ... فملّوا وما ملّ الأسيرُ المعذَّب
فلو أنّ لحمى إذ هَوى لعبتْ به ... كرام الملوك أو أسودٌ وأذؤب
لهوّن وجدى أو لزادت بصيرتى ... ولكنّما أودت بلحمىَ أكلُب
أعبّاد ما للوم عنك محوّل ... ولا لك أم من قريش ولا أب
سينصُرنى من ليس ينفع عنده ... رُقاك وقَرْم من أمية مُصعب
وقُل لعبيد الله : ما لك والد ... بحقٍّ ولا يدرى امرؤٌ كيف تنسب

وساطة طلحة فى فكاكه

ولما طال حبس ابن مفرّغ بسجستان ركب طلحة الطلحات الخزاعى إلى الحجاز ، ودعا قُريشاً إلى القيام فى أمره ، لكونهم حُلفاءه ، فانتدب معه خالد

(١) فى غير التجريد : « ما لا إن » .

(٢) مجنوباً : مقودا إلى جنب فرس .

ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، وعبد الله أخوه ، وعمر ابن عبيد الله بن مَعمر التيمى ، ووجوه خُزاعة وكنانة . وخرجوا إلى يزيد ابن معاوية .

رسوله بشعره إلى الحصين

وبعث أبن مفرِّغ رجلا من بنى الحارث بن كعب فقام على سور حِمص ، وواليها يومئذ الُحصين بن نُمير السَّكونى ، وأنشد هذه الأبيات :

أبلغ لديك بنى قَحْطان قاطبةً عضّت بأَير أبيها سادةُ اليمنِ

أضحى دعىٌّ زياد فَقْع قَرْقرة ياللعجائب يلهو بأبن ذى يَزن

والِحميرى طَريح وسط مَزبلة هذا لعمركُم غَبْن من الغَبن

قُوموا فقولوا أمير المؤمنين لنا حق عليك ومنٌّ ليس كالمِنن

فا كفف دَعىّ زياد عن أكارمنا ماذا تُريد إلى الأحقاد والإحَن

فاجتمعت اليمانية إلى حُصين بن نمير وحَركوه عن القيام بنصرة أبن مفرِّغ ، فركبوا وقصدوا دمشق ، وقدموا على يزيد بن معاوية ، وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج المسجد الجامع بدمشق ، فثارت اليمانية وتكلَّموا ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وقدم القرشيون والخزاعيون على يزيد وكلموه فى أبن مفرغ ، فسرَّح يزيد بن معاوية رجلا من حمير يقال له : خمخام . وكتب معه : إلى عباد بن زياد ، نفسك نفسك ، وأن تسقط من أبن مفرغ شعرة فأفيدك والله به ، ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيرى عليه . فجاء خمخام حتى انتزعه جهاراً من الحبس بمحضر من الناس ، وأحضر له دابة من دواب البريد فركبها . فلما استوى على ظهرها قال :

عَدَسْ (١) ما لعبَّاد عليك إمارة نجوتِ وهذا تَحملين طليقُ

(١) عدس وحدس : رجل كان يعنف على البغال فى أيام سليمان عليه السلام ، وكانت إذا قيل لها حدس أو عدس انزعجت .

و إن الذى نجّى من الكرب بعدما تلاحَم فى دَرْب عليك مُضيق

أتاك بخَمخام فأنجاك فالحقى بأهلك(١) لا تُحْبَس عليكِ طريق

لعمرى لقد أنجاك من هُوَّة الرّدى إمامٌ وحَبل للأنام وَثيق

سأشكر ماأوليت من حُسن نعمة ومثلى بشُكر المُنعمين خَليق(٢)

هو يزيد ابن معاوية

ولما دخل ابن مفرّغ على يزيد بن معاوية قال : يا أمير المؤمنين، اختر منّى خصلة من ثلاث خصال فى كلها لى الفرج: إما أن تُقيدنى من ابن زياد. و إما أن تخلّى بينى و بينه ، و إما أن تقدّمنى فتضرب عنق ؟ فقال يزيد : قبح الله ما اخترته وخيرتنيه ! أما القود من أبى زياد فما كنت لأُقيدك من عامل كان عليك ظالمتَه وشتمت عرضه وعرضى معه ، وأما التخلية بينك و بينه فلا ولا كرامة ، ما كنت لأخلى بينك و بين أهلى تقُطع أعراضهم ؛ وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عُنق مُسلم من غير أن يستحق ذلك ، ولكن أفعل بك ما هو خير لك مما اخترته لنفسك ، أُعطيك دِيتك . فإنهم قد كانوا عرضوك للقتل ، وا كفُفْ عن ولد زياد ، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم ، وانزل أى البلاد شئت . وأمر له بعشرة آلاف درهم .

اعتذاره لابن زياد

فخرج حتى أتى الموصل فأقام بها مدة . ثم أتى عبيد الله بن زياد فدخل إليه وأعتذر إليه وسأله الأمان فأمّنه ووصله .

خروجه إلى كرمان ونقضه لعهده مع ابن زياد

ثم خرج إلى كرمان فأقام بها حتى مات بها يزيد بن معاوية ، وغلب عبد الله ابن الزبير على الحجاز والعراقين ، وهرب عبيد الله بن زياد . وكان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله . فعاد ابن مفرغ إلى البصرة وعاود هَجْو بنى زياد . ثم ظهر المختار

(١) فى غير التجريد ، « بأرضك » .

(٢) هذه رواية اللسان والتجريد . وفى غيرهما « حقيق » .

ابن أبى عُبيدة الثقفى بالكوفة مبايعاً لابن الزبير وطالباً بثأر الحسين بن على ابن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، فبايعه أهلها وجد فى قتل قَتلة الحسين رضى الله عنه وإخراب دورهم . ثم سير الجيوش لقتال عُبيد الله بن زياد ، وقد أقبل من الشام فى عسكر عظيم ، فالتقوا بالزاب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أهل الشام وقُتل عبيد الله بن زياد .

مقتل ابن زياد وشعر ابن مفرغ فيه

فذكر أن إبراهيم بن الأشتر النخعى — وكان صاحب جيش المختار — حمل على كتيبته فانهزموا ، ولقى عبيد الله بن زياد فضربه فقتله ، وجاء إلى أصحابه وقال : إنى ضربت رجلاً وفاح منه المسك وأظنه ابن مرجانة ! وأومأ لهم إلى موضعه . فجاءوا إليه وفتشوا عليه فوجدوه ، وإذا هو عبيد الله بن زياد ، فأخذوا رأسه وحملوه إلى المختار ، فقال ابن مفرغ :

إنّ الذى عاش ختّاراً بذمّته ... وعاش عبداً قتيل الله بالزاب
العبد للعبد لا أصل ولا طَرف ... ألوت به ذات أظفار وأنياب
إنّ المنايا إذا ما زُرن طاغية ... هتكن عنه سُتوراً بين أبواب
هلّا جُموع نزار إذ لقيتهم ... كنت امرأً من قُريش غيرَ مُرتاب
لا أنت زاحمت عن مُلك لِتمنَعه ... ولا مددتَ إلى قوم بأحساب[1]
ما شُق جَيْب ولا ناحتْك نائحة ... ولا بكتْك جِيادٌ عند أسلاب
أقول بُعداً وسحقاً عند مَصرعه ... لابن الخبيثة وابن الكودن[2] الكابى

(١) فى غير التجريد : « بأسباب » .
(٢) الكودن : البرذون يوكف ، وبه يشبه البليد .

أخبار الزبير بن دحمان

صناعته

هو أحد المغنّين الحُذاق والمتقدِّمين فى الصناعة .

وفوده على الرشيد

وذكر أن الرشيد كتب فى إشخاصه إلى مدينة السلام فوفاها ، واتفق وقت قدومه خُروج الرشيد إلى الرىّ لمحاربة بندار[1] هرمز أصبهبْد طبرستان ، فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن رجع الرشيد ، فدخل عليه بالخيزرانة ، وهو الموضع الذى يعرف بالشمّاسية ، فغناه فى أول غنائه صوتاً قاله فى الرشيد مدحه به وذكر خروجه إلى طبرستان . وقيل : إن الشعر لأبى العتاهية . وهو :

ألا إن حزبَ الله ليس بمُعجز ... وأنصاره فى مَنْعة المتحرِّز

أبى الله أن يُعصى لهارون أمره ... وذلّتْ له طوعاً يد المُتعزِّز

إذا الراية السوداء راحت أو اغتدت ... إلى هاربٍ منها فليس بمُعجز

أطاعت لهارون العِداةُ لدى الوغى ... وكبّر للإسلام بندار[1] هرمز

فاستحسن الرشيد الشعر والغناء . وأمر له بألف دينار . فدُفعت إليه . ومكث ساعة ثم غنى :

وأحور كالغصن يشفى السقام ... ويحكى الغزال إذا مارنا

شربتُ المُدامَ على وجهه ... وعاطيته الكأسَ حتى انثنى

وقلت مَديحاً أرجّى به ... مِن الأجر والحظ نيلَ الغِنى[2]

وأعنى بذاك الإمامَ الذى ... به الله أعطى العِبادَ المُنى

---

(١) فى التجريد : « بنداذ » .

(٢) فى غير التجريد : « من الأجر حظاً ونيل الغنى » .

فأمر له بألف دينـار آخر . فقبضها ، وحف على قلبه واستظرفه ، وأغناه فى مُدة يسيرة .

غنى الرشيد عن البرامكة فأبكاه

وذكر أن الرشيد بعد قتله البرامكة كان شديد الأسف عليهم والندم على مافعله بهم ، ففطن لذلك الزُّبير بن دَحمان ، فكان يُغنِّيه فى هذا المعنى فيحركه ، فغناه يوماً ، والشعر لامرأة من بنى أسد :

مَن للخُصوم إذا جد الخصام بهم يومَ الجدال[1] ومن للضمَّر القُودِ
ومَوقفٍ قد كفيتُ الناطقين به فى مَجمَع من نواصِى الناس مَشهود
فرّجتـــه بلسان غير مشتبه[2] عند الحفـــاظ وقلب غير مَرْدود

فقال الرشيد : أعد . فأعاد . فقال له : ويحك ، كأن قائل هذا الشعر يصف يحيى بن خالد . وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرت دموعه . ووصل الزبير صلةً سنية .

(١) فى غير التجريد : « النزال » .
(٢) فى غير التجريد : « ملتبس .

أخبار العُمانى

هو محمد بن ذُؤيب بن مِحجن بن قُدامة الحنظلى ، ثم الدارمىّ . نسبه

وقيل له : العُمانى ، وهو بصرى ، لأنه شديد صفرة اللون ، ليس هو ولا أبوه من أهل عُمان . سبب تلقيبه : العمانى

وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، من شعراء الدولة العباسية . وكان لطيفاً مقبولاً ، فأفاد بشعره أموالاً جزيلة . إفادته بشعره

ذكر أنه دخل على الرشيد يوماً فأنشده قوله فيه ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره : شعره الذى فيه الغناء

يا ناعش الجدّ إذا الجد عثر   وجابر العظم إذا العظم انكسر
أنت ربيعى والربيع يُنتظر   وخير أنواء الرّبيع مابكر

فقال له الرشيد : إذن يبكر عليك ربيعنا ؛ يافضل ، أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً .

وذُكر أن الفضل بن يحيى بن خالد وجّه الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضونه على البيعة بولاية العهد لابنه محمد الأمين ، فقعد لهم الرشيد ، وتكلّم القوم على مراتبهم ، وأظهروا السُّرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه محمد . وكان فيمن حضر العُمانى ، فقام بين صفوف القُواد وقال فى ذلك أرجوزة طويلة أولها : أرجوزته فى بيعة الأمين

لما أتانا خبرٌ مُشَهَّر   أغرّ لا يخفى على من يُبصِرُ
جاء به الكوفى والمُبصِّر   والراكب المُنجِد والمُغوِّر

يخبّر النـــاس وما يَسْـــتخبر قلت لأصحابى ووجهى مُســـفر
وللرجال حَســبكم لا تُكثروا فاز بهـــا محمـــد فأقصروا
قد كان هذا قبـل هذا يُذْكر فى كُتب العـــلم التى تُسَـطّر

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : أبشر يا عُمَانى بولاية محمد العهد . قال : إى والله يا أمير المؤمنين ، بُشرى الأرض المُجْدبة بالغيث ، والمرأة النَّزور بالولد ، والمريض المُدْنف بالبرء . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنه نَسِيج وحده ، وحامى مجده ، ومُورى زَنده . قال : فما لك فى عبد الله ؟ — يعنى المأمون — قال : مرعى ولا كالسَّعدان . فتبسّم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابى ، ما أعرَفه بمواضع الرغبة ، وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة ، وأبعده عن أهل الحزم والعزم الذين لا يُستمنح ما لديهم بالثناء ، أما والله إنى لأعرف فى عبد الله حَزم المنصور ، ونُسك المهدى ، وعز نفس الهادى ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها .

حضه الرشيد على توليه القاسم العهد

وكان الرشيد قد جعل محمداً ولى عهده ، والمأمون عبد الله ولى عهد محمد ، فأنشده العمانى يوماً أرجوزة ، فحرّضه فيها على أن يجعل القاسم ولىّ عهد أخويه الأمين والمأمون ، فلما انتهى إلى قوله منها :

قل للإمام المُقتَـدى بأمه ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه
وقد رضـــيناه فقُم فسمِّه

فتبسم الرشيد وقال : ويحك ، ما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلى ! فقال العمانى : ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك ، وإنما أردت قيام العزم . قال : فإنا قد وليناه العهد . وأمر ابنه القاسم أن يحضر .

ومر العمانى فى أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها . وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلَسَ مع أخويه ، وقال له : ياقاسم ، عليك جائزةُ هذا الشيخ ، فقد سألنا

أن نوليك العهد ، وقَدْ فعلنا . فقال : حُكمك ياأميرالمؤمنين . فقال : ما أنا وهذا ، بل حُكمك . فأمر له الرشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مُفردة .

تعقيب المؤلف

قلت : القاسم خَلعه أخوه المأمون من ولاية عهْدِه لما صار الأمر إليه ، وولى الخلافة بعْدَ المأمون أخوه أبو إسحاق المعتصم .

أخبار عروة بن أذينة

وأُذينة [1] لقب . وأسمه : يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر ــ هو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة.

سبب تلقيب جده الشداخ

وسمى يعمر : الشداخ ــ لأنه كان يحمل ديات قَتْلى كانت بين قريش وخُزاعة، وقال : شدخت هذه الدماء تحت قدمى ، فسمى الشداخ .

وقال ابن الكلبى :

كنيته وشىء عنه وعن روايته

هو الشداخ بضم الشين ، ويكنى عُروَة : أبا عامر . وَهو شاعر غزل ، من شُعراء أهل المدينة . وَهو معدود فى الفقهاء والمحدثين . روَى عنه مالك بن أَنَس الفقيه وغيره . ورَوى هو عن أبيه وغيره . فمما روى :

قال عروة بن أذينة : حدثنى أبى مالك بن الحارث قال : أدركت علىّ بن أبى طالب بالبصرة . وقد هزم الناس ودخل البصرة ، فكنت آتيه أَتحدَّث إليه ، فركب يوماً يطوف وَركبت معه . فإنى لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة ، فنظر إليه نظراً شَديداً ، ثم أقبل علىّ فقال : أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً . ثم تمثل :

وما تدرى وإن أزمعت أمراً ... بأى الأرض يُدْركك المَقِيلُ

والله إنى لأكره أن تكون قريش قَتْلى تحت بطُون الكواكب . قال : فوقع العراقيون يشتمُون طلحة ، وعلىّ ساكت . حتى إذا فرغوا أقبل علىّ علىّ وقال : إنه وإن قالوا ماسمعت لكما قال أخو جُعفىّ :

فتى كان يُدْنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو اُستَغنى ويُبعده الفقرُ

(١) مكان هذه الترجمة فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى . والترجمة التى تلى ترجمة العمانى فى الأغانى هى ترجمة أشعب .

ثم أردت أن أكلمه بشيء، فقلت: يا أمير المؤمنين. فقال: وما منعك أن تقول: يا أبا حسن؟ فقلت: أبيت. فقال: أما والله إنهما لأحبُّهما إليَّ لولا الحمق، ولوددت أنى خُنقت بحبل حتى أموت قبل أن يُفعل بعثمان ما فُعل، وما أعتذر من قيام بحق، ولكن العافية ممّا ترى كانت خيراً.

هو وجماعة من الشعراء عند هشام

وحكى يحيى بن عروة بن أذينة قال: أتى أبى وجماعة من الشعراء هشام ابن عبد الملك، فنسبهم، فلما عرف أبى قال له: أنت القائل:

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلقى ... أنّ الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيُعنّينى تطلُّبه ... ولو قعدتُ أتانى لا يُعنّينى
وأن حَظ أمرئٍ غيرى سيبلغه ... لا بُد لا بُد أن يجتازه دونى
لا خير فى طمع يُدْنى لمنقصة ... وغُبّر من كَفاف العيش يَكفينى
كم من فقير غنىّ النفس تَعرفه ... ومن غنىّ فقير النفس مِسكين
ومن أخٍ لى طوى كشحًا فقلت له ... إنّ انطواءك عنى سوف يَطوينى
إنى لأنطق فيما كان من أربى ... وأُكثر الصمت فيما ليس يَعنينى
لا أبتغى وصل مَن يبغى مفارقتى ... ولا ألين لمن لا يشتهى لينى

فقال له ابن أذينة: نعم أنا قائلها. قال: أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك؟ وغفل عنه هشام. فخرج من وقته فركب راحلته ومضى مُنصرفاً، ثم افتقده هشام فعرف خبره، فأتبعه بجائزة وقال للرسول: قل له: أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك. فلحقه وقد نزل على ماء يتغدّى عليه، فأبلغه رسالته ودفع إليه الجائزة. فقال: قل له: قد صدقنى ربّى وكذبك.

وقال يحيى بن عروة: وفرض له فريضتين. كنت أنا فى إحداهما.

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار عروة بن أذينة ، هو البيتان الأولان من هذه الأبيات .

هو وسكينة

وذكر أن سُكينة بنت الحسين بن علىّ وقفت على عُروة بن آذينة فى موكبها ومعها جواريها ، فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غَزلك من وراء عفة ، وإنك تقى ؟ قال : نعم . قالت : أفأنت الذى يقول :

قالت وأَبثثتُها وَجدى فبُحت به ... قد كنت عندى تُحب الستر فاستتر

ألستُ تُبصر من حولى فقلت لها ... غطَّى هواك وما أُلقى على بصرى

فقال لها : بلى . فقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب صحيح .

هو وجارية سألته

ذكر أنه وقفت امرأة على ابن أذينة وهو بفناء داره . فقالت له : أنت ابن أذينة ؟ قال : نعم . قالت : أنت الذى يقول الناس إنك برىء وإنك صالح وأنت الذى تقول :

إذا وجدت أُوارَ الحب فى كَبدى ... أقبلتُ نحو سِقاء القوم أبتردُ

هَبنى بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لحرٍّ على الأحشاء يتّقد

فقال : نعم .

أخبار مخارق(*)

هو مُخارق بن يحيى ، مولى هارون الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شُهدة ، وهى من المغنّيات المُحسنات المتقدّمات فى الضَّرب . نسبه وولاؤه

ونشأ بالمدينة ، وقيل : بالكوفة . منشأه

وكان أبوه جزّاراً مملوكا ، وكان وهو صبيّ ينادى على ما يَبيعه أبوه من اللحم ، فلمّا بان طيبُ صوته علّمته مولاته طَرَفاً من الغناء ، وأرادت بيعه ، فاشتراه منها إبراهيم الموصلى ، وأهداه للفضل بن يحيى بن خالد ، فأخذه منه الرشيد ثم أعتقه . شىء عنه وعن أبيه

وكان يلقّب أبوه ناووساً ، وإنما لُقب بذلك ، لأنه بايع رجلاً أنه يمضى إلى ناووس بالكوفة فيطبخ فيه قدراً بالليل حتى تنضج ، وطرح رهنه بذلك ، فدسّ الرجل الذى راهنه رجلا فألقى نفسه فى الناووس بين الموتى ، فلما فرغ ناووس من طَبيخه مدّ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطعمنى ، فغرف من المرقة ملء المغرفة فصبّها فى يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة ، وقال له : أصبر حتى نُطعم الأحياء ثم نتفرغ للموتى ، فلُقب ناووساً لذلك . لقب أبيه وسبب ذلك

ولما اشترى الرشيد مخارقا كان يقف بين يديه مع الغلمان ويغنّى وهو واقف ، فغنّى ابنُ جامع يومًا بين يدى الرشيد : حيلة هو وإبراهيم الموصلى على الرشيد فى صوت لابن جامع

هَوت هرقلةُ لمّا أن رأت عجباً ... حوائماً ترتمى بالنّفط والقارِ

كأنّ نيرانها(1) فى جَنب قلعتهم ... مصبّغات على أرسان قصّار

(*) جاءت هذه الترجمة فى الأغانى بين تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : « نيرانا » .

فطرب الرشيد واستعاده عدة دَفعات ، وأقبل يومئذ على أبن جامع دون غيره ، فغمز مخارق إبراهيم بعَينه وتقدّمه إلى الخلاء ، فلما جاءه قال له : مالى رأيتك مفكِّراً ؟ قال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على أبن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال : قد والله أخذتُه . فقال له : ويحك ، إنه الرشـيد وأبن جامع مَن تَعلم ، ولا يمكن مُعارضته إلا بما يزيد على غنائه ، وإلا فهو الموت . فقال : دَعنى وخَلاكَ ذَمّ ، وعرِّفه أنى أغنى به . فقال : فإن أحسنت فإليك يُنسب ، وإن أساءت فعلىّ يعود . فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين ، أراك متعجباً من هذا الصوت بغير ما يستحقّه وأكثر ما يستوجبه . فقال : لقد أحسن فيه أبن جامع ما شاء . فقال : أو لأبن جامع هو ؟ قال : نعم ، كذا ذكر . قال : فإن عبدك مخارقاً يغنّيه . فنظر إلى مخارق فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هاته ، فغناه وتحفّظ فيه فأتى بالعجائب . فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحاً ، ثم أقبل على أبن جامع فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فابتدأ يحلف له بالطلاق وكُل مُحرجة أنه لم يُسمع ذلك الصوت قطُّ إلا منه ولا صنعه غيره ، وأنها حيلة جرت عليه . فأقبل على إبراهيم فقال . أصدقنى بحياتى . فصدقه عن قصة مخارق . فقال له : أكذاك يا مخارق ؟ قال : نعم يا مولاى فقال : أجلس إذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار ، وأقطعه ضيعة ومنزلا .

تكنية الرشيد له

وكنّى الرشيد مخارقاً أبا المُهنأ .

وحكى مخارق قال :

قصة مزوا كلته للأمين

دعانى الأمين يوماً وقد أصطبح ، وأقترح علىّ :

أستقبلتْ وَرَقَ الرَّيحان[1] تَقطفه وعَنبر الهنـد والورديّة الُحدَدَا
ألستَ تَعرفنى فى الحىّ جارية ولم أخُنك ولم ترفع إلىّ يدا

(١) التجريد : « تقطفه » .

فغنّيته إياه ، فطرب طرباً شديداً وشرب عليه ثلاثة أرطال وِلاء ، وأمر لى بألف دينار ، وخَلع علىّ جُبة وَشْى كانت عليه مذهبة ودَرّاعة مثلها ، وعمامة مثلها تكاد تُعشى البصر من كثرة الذهب . فلما لبست ذلك ورآه علىّ نَدِم ، وكان كثيراً ما يفعل ذلك ، فقال لبعض الخدم : قل للطبّاخ يأتينا بمَصْلِيّة[1] معقودةٍ الساعةَ . فأتى بها . فقال لى : كُل معى . وكنت أعرف الناس بمذهبه وكراهيته لذلك ، فامتنعت ، فحلف أن آكل معه . فحين أدخلت يدى فى الغضارة[2] رَفع يده ثم قال : أُف ، نغّصتها والله علىّ وقذّرتها عندى بإدخال يدك فيها ! ثم رفس القَصعة رفسة فإذا هى فى حِجرى . وودكها يسيل على الخلعة حتى نَفَذ إلى جلدى ، فقمت مُبادراً فنزعتُها وبعثت بها إلى منزلى وغيّرت ثيابى وعُدت وأنا مغموم منها ، وهو يضحك . فلما رجعتُ إلى منزلى جئت كل صانع حاذق فجهدوا فى إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقتها ، وأخذت ذهبها .

وضرب الدهر بعد ذلك ضَربه ، ثم دعانى المأمون فدخلت إليه وهو جالس . وبين يديه مائدة عليها رغيفان ودَجاجتان . فقال : تعال فكُل . فامتنعت . فقال : تعال ويلك فساعدنى . فجلست معه فأكلت معه حتى استوفى ، ووضع النبيذ ودعا علّويه فجلس ، فقال : يا مخارق ، أتغنى :

أقول التماس العُذر لمّا ظلمتنى ... وحمّلتنى ذنباً وما كُنت مذنبا

فقلت : نعم يا سيدى . قال : غَنه . فغنيته ، فعبس فى وجهى ثم قال : قَبحك الله ، هكذا تُغنّى ! ثم أقبل على علّويه فقال : تغنّيه ؟ قال : نعم يا سيدى . قال : غنّه . فغنّاه ، فوالله ما قاربنى فيه . فقال : أحسنت والله ! وشَرب رطلا

(١) مصلية : أى شاة مشوية .

(٢) الغضارة : الصحفة .

وأمر له بعشرة آلاف درهم، وأستعاده ثلاثاً وشرب عليه ثلاثة أرطال، وأعطاه مع كل رطل عشرات آلاف درهم، ثم خذف بإصبعه[1] وقال: بَرْق يمان، وكان إذا أراد قَطْع الشراب فعل ذلك وقُمنا. فعلمت من أين أُتيت. فلما كان بعد أيام دعانى فدخلتُ إليه وهو جالس فى ذلك الموضع بعينه يأكل، فقال: تعال ويلك فساعدنى. فقلت: الطلاق لى لازم إن فعلت. فضحك ثم قال لى: ويلك! أترانى بخيلا على الطعام؟ لا والله، ولكنى أردت أن أؤدبك، لأن السادة لا يَنبغى لعبيدها أن تؤاكلها، أفهمت؟ فقلت: نعم. قال: فتعال الآن فكُل على الأمان. فقلت: أكون. إذن أول من أضاع تأديبك إياه، وأستحق العقوبة من قريب. فضحك حتى استغرب. ثم أمر لى بألف دينار، ومضيتُ إلى حُجرتى المرسومة[2] لى للخِدمة، وأُتيت بطعام فأكلت. ثم دعا بى وبعَلويّة ووضع النبيذ. فلما جلسنا قال لعلويه: أتغنى:

ألم تقُولى نعم قالت أرى وَهَمًا ... منّى وهل يُؤخذ الإنسان بالوَهَمِ

فقال: نعم ياسيدى. فغنّاه. فعبَس فى وجهه وبسر[3]، وقال: قَبَحك الله، أتغنِّى هذا هكذا؟ ثم أقبل علىّ فقال: أتغنيه يا مخارق؟ قلت: نعم يا سيدى. وعلمت أنه يريد أن يستقيد لى من عَلويه ويرفع منى، وإلا فما أتى علّويه بما يُعاب فيه. فغنّيته، فطرب وشرب رطلا وأمر لى بعشرة آلاف درهم، وفعل ذلك ثلاث مرات كما فعل به، ثم أمر بالانصراف، فانصرفنا. وما عاودت بعد هذا مؤاكلة خليفة إلى وقتى هذا.

ترضيه المعتصم بعد غضبه عليه

وذُكر أن المعتصم غضب على مُخارق وأمر أن يُجعل فى المؤذّنين ويلزمهم، ففَعل ذلك، وأُمهل حتى علم أن المعتصم يشرب، وأذّنت العصر، فدخل مخارق

(١) الخذف: الرمى بالحصى الصغار بأطراف الأصابع. والذى فى التجريد وأصول الأغانى «حذف» بالحاء المهملة.

(٢) التجريد: «الموسومة». (٣) بسر: عبس.

إلى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ، ثم رفع صوته جَهده ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته ، الصلاة يرحمك الله . فبكى المعتصم حتى جرت دُموعه . و بكى كل من حضره . ثم قال : أدخلوه إلىّ . ثم أقبل على الحاضرين فقال : سمعتم هكذا قط ؟ هذا الشيطان لن يترك أحداً يغضب عليه . فأُدخل إليه، فقبّل الأرض بين يديه . فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها ، وأمر بإحضار عود فأُحضر ، وأعاده إلى مرتبته .

وحكى مخارق قال :

غنى المأمون بيتين صنعهما فى رثاء جارية له

كنا عند المأمون فجاءه الخادم الحرمى [1] ، فأسرّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثم أبطأ علينا ساعة وعاد وعينه تَذرف ، فقال لنا : دخلتُ الساعة إلى جارية لى كنت أتحظاها فوجدتها فى الموت ، فسلّمت عليها ، فلم تستطع رد السلام إلا بأصابعها إيماء ، فقلت هذين البيتين :

سلام على من لم يُطق عند بينه سَلاماً فأومى بالبنَــان المُخضّبِ
فما أُسطعتُ توديعاً سوى سرعة البكا [2] وذلك جَهــــد المُستهام المعذّبِ

ثم قال : غن فيهما يا مخارق . فما استعادنى ذلك الغناء قط إلا بكى .

وفاته وسببها

وكانت وفاة مخارق فى أول خلافة المتوكل . وقيل : فى أول خلافة الواثق . وذُكر أن سبب وفاته أنه أكل قنّبيطة باردة ، فقتلته من يومه .

---

(١) التجريد : « الحزمى » بالزاى .

(٢) فى غير التجريد : « فما اسطعت توديعا له بسوى البكا » .

أخبار أبى محجن الثقفى (*)

نسبه

هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن قَسِىّ . وقد تقدم ذكر بقية هذا النسب .

شىء عنه

وهو من المُخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . شاعر فارس شجاع ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان من المُعاقرين للخمر المحدودين فى شُربها .

أتى به عمر بين شاربى خمر

ذَكر أنه أُتى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — بجماعة فيهم أبو مِحجن الثقفى ، وقد شربوا الخمر ، فقال : أشربتم الخمر بعد أنْ حرّمها الله ورسوله ؟ فقالوا : ما حرّمها الله ولا رسوله ، إن الله يقول : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طَعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) . فقال عمر — رضى الله عنه — لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلفوا فيهم . فبَعث إلى على بن أبى طالب — رضى الله عنه — فشاوره ، فقال له على — رضى الله عنه — : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلّوا الميتة والدم ولحم الخنزير . فسكتوا . فقال عمر لعلى — رضى الله عنهما — : ما ترى فيهم ؟ فقال : أرى إن كانوا شربوها مستحلّين لها أن يُقتلوا ، وإن كانوا شربوها وهم يُؤمنون أنها حرام أن يُحدوا . فسألهم ، فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكنّا قدرنا أن لنا نجاة فيما قلناه . فجعل يحدهم رجلا رجلا ، وهم يخرجون ، حتى انتهى إلى أبى محجن ، فلما جلده أنشأ يقول :

(*) هذه الترجمة جاءت فى الأغانى بين تراجم الجزء الحادى والعشرين .

ألم تر أن الدهر يَعــثُر بالفتى ... ولا يستطيع المرء صَرْف المَقادرِ

صبرتُ فلم أجزع ولم أك[1] كائعا ... لحادث دهر فى الحكومة جائر

وإنى لذو صَبر وقد مات إخوتى ... ولستُ عن الصَّهباء يوماً بصابر

رماها أمــير المؤمنين بحَتفها ... فخِلّانها يبكون حــول المعاصر

فلما سمع عمر — رضى الله عنه — قوله :

* ولست عن الصهباء يوماً بصابر *

قال : قد أبديتَ مافى نفسك ، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر . فقال له على — رضى الله عنه — : ما ذلك لك ، وما يجوز أن تُعاقب رجلا قال : لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال تعالى فى الشعراء : (وأنهم يقولون مالا يفعلون) . فقال عمر — رضى الله عنه — : فقد أستثنى الله منهم قوماً . فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) . فقال على — رضى الله عنه — : أفهؤلاء عندك منهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يشرب العبدُ الخمر حين يشربها وهو مؤمن .

ذُكر أن أبا محجن هوى أمرأة من الأنصار — يقال لها : شموس — فحاول النظر إليها بكُل حيلة ، فلم يقدر على ذلك ، فأجّر نفسه من عامل يعمل فى حائط إلى جانب منزلها ، فأشرف من كُوة فى البستان فرآها ، فقال فيها شعراً ، وبلغ ذلك زوجها ، فاستعدى عليه عمر — رضى الله عنه — ، فنفاه إلى حَضَوْضَى[2] ، وبعث معه رجلا يقال له : أبن جَهراء ، وقال له ، لا تدع أبا محجن يُخرج معه سيفاً . فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نَصله فى غِرارة ، وجعل جفنه فى غرارة أخرى فيها دقيق له ، فلما انتهى أبن جهراء إلى ساحل البحر أشترى أبو محجن

حديث نفى عمر له بشعره فى امرأة هويها ثم إطلاقه

(١) الكائع : الجبان الهياب .

(٢) جبل فى الغرب كانت العرب تنفى إليه خلعاءها .

شاة وقال لابن جهراء : هلم نتغدى : ووثب إلى الغرارة ، وكأنه يخرج منها دقيقاً ، فأخذ السيف ، فلما رأى ابن جهراء السيف فى يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر — رضى الله عنه — فأخبره الخبر ، وأقبل أبو محجن إلى سعد ابن أبى وقاص — رضى الله عنه — وهو يقاتل العجم يوم القادسية . وبلغ عمر — رضى الله عنه — خبره ، فكتب إلى سعد يأمره بحبسه ، فحبسه وقيده .
ولما كان يوم الكتائب ، وهو يوم من أيام القادسية ، اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلما قامت الشمس تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل . وهذه الليلة التى كان فى صبيحتها يوم أرماث . فلما انتصف الليل تحاجز الناس وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا .

وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تم الناس على الانتماء فلا توقظنى ، فإنهم أقوياء على عدوهم . وإن سكتوا أو سكت العدو فلا تنبهنى فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدو ينتمون وهؤلاء سكوت فأنبهنى وإن انتماء العدو من السوء .

قيل . ولما اشتد القتال تلك الليلة كان أبو محجن فى الحبس ، فصَعد إلى سَعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره وردّه ، فنزل فأتى سَلمى بنت أبى حفصة ، زوجة سعد ، فقال لها : يا بنت أبى حفصة ، هل لك فى خير ؟ قالت : وما ؟ قال : تخلين عنى وتُعيريننى البلقاء ، فلله علىّ إن سلمنى الله أن أرجع إلى حَضرتك حتى تضعى رجلى فى قيدى . فقالت : وما أنا وذاك . فرجع يَرسف فى قيوده ويقول :

كفى حَزَناً أن تَرْدِىَ الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً علىّ وثاقيا
إذا قمت عنّانى الحديد وغُلِّقت ... مصاريعُ من دونى تُصم المناديا
وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركونى واحداً لا أخا ليا

وقد شفّ جسمي أنني كلّ شارق أعالج كبلًا مُصمتاً قد برانيا
فلله درّي يوم أُترك مُوثقاً وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهدٌ لا أخيس بعهده لئن فُرّجت ألّا أزور الحوانيا

فقالت سلمى : إني قد استخرت الله ورضيت بعهدك ، فأطلقته وقالت : أما الفرس فلا أعيرها . ورجعت إلى بيتها . فاقتاد أبو محجن الفرس وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ، ثم دب عليها ، حتى إذا كان بحيال الميمنة وأضاء النهار وتصافّ الناس ، كبّر ثم حمل على ميسرة القوم ، فلعب برُمحه وسلاحه بين الصفين ، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب ، فبدر أمام الناس ، وحمل على القوم يلعب بين الصفين برُمحه وسلاحه ، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً ، فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالأمس . فقال بعض القوم : هذا من من أوائل الأصحاب هشام بن عتبة[1] . وقال قومٌ : إن كان الخضر يشهد الحروب فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون . لولا أن الملائكة لا تباشر القتال ظاهراً لقلنا هذا ملَك بيننا . وجعل سعد يقول : وهو مشرف ينظر إليه : الطعن طعن أبي محجن والصبر صبر البلقاء ، لولا محبس أبي محجن لقلت : هذا أبو محجن وهذه البلقاء . فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل . فتحاجز أهل العسكرين ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجله في القيد ، وأنشأ يقول :

لقد علمتْ ثقيفٌ غيرَ فخر بأنا نحن أكرمهم سيوفَا
وأكثرهم دروعاً سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

(١) في غير التجريد : « هاشم » . وكان أبو عتبة يسمى : هشاماً وهاشماً : (الإصابة) ، كان هشام شجاعاً مشهوراً يعرف بالمرقال ، لأنه كان يرقل في الحرب ، أي يسرع .

وأنا رِفْـدهم في كل يوم ... فإن جَحدوا فسَلْ بهمُ عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي ... ولم أكره لمخرجيَ الزُّحوفا
فإن أُحبس فقد عرفوا بلائي ... وإن أُطلق أُجرِّعهم حُتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ وشاعر يدبّ الشعر على لساني أحياناً ، فحبسني لأني قلت :

إذا مت فادفنّي إلى أصل كرمة ... تروِّي عِظامي بعد موتي عُروقها
ولا تدفنّني في الفَلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألّا أذوقها
ليروى بخمر الحصّ[1] لحمي فإنني ... أسير لها من بعد ما قد أسوقها

شعره الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار أبي محجن هو البيتان الأولان من هذه الأبيات .

عود إلى حديث إطلاقه

قيل : وكانت سلمى هذه قد رأت في المسلمين جولة ، وسعد رضي الله عنه في القصر لعلّة كانت به لم يقدر معها على حُضور الحرب ، وكانت قبله عند المُثنى بن حارثة الشيباني ، فلما قُتل خَلف عليها سعد رضي الله عنه ، فلما رأت شدة البأس صاحت : وا مثنّاه ولا مُثنى اليوم . فلطمها سعد . فقالت له : أف لك أجبناً وغيرة ؟ فكانت مُغاضبة لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد . حتى إذا أصبحت أتته وأخبرته خبر أبي مِحجن . فدعا به وأطلقه ، وقال : اذهب فلستُ مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله . فقال : لا جرم والله ، إني لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبداً .

شعره في تركه الخمر

وقال أبو محجن في تَركه شرب الخمر :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... مناقب تُهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتي ... ولا أسقي بها أبداً نديما

(١) الحص : الورس أو الزعفران .

ابن له مع معاوية

وذكر أن ابن أبى مِحجن دخل على معاوية بن أبى سفيان فقال : أليس أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ؟

فقال : لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من شعره ! قال . وما ذاك ؟ قال قوله :

لا تسألى الناس عن مالى وكثرته ... وسائلى الناس ما فِعلى وما خُلقى
أعطى السنان غداة الرّوع حصته ... وعاملَ الرمح أرويه من العَلق
وأطعن الطّعنة النّجلاء عن عُرض ... وأكتم السرّ فيه ضربة العُنق
عفّ المطالب عمّا لست طالبه ... وإن ظُلمت شديد الحقد والحَنَق
قد أجود وما مالى بذى[1] قَنع ... وقد أكر وراء المحجم الفَرِق
والقـوم أعلم أنى من سراتهم ... إذا سما بَصر الرّعديدة الشّفق
قد يُعسر المرء حيناً وهو ذو كرم ... وقد يَثُوب سـوام العاجِز الحمِق
سيكثر المـال يوماً بعد قلّته ... ويكتسى العُود بعد اليُبس بالورق

فقال معاوية : لئن أسأنا لك القول لنُحسنن لك الصفد[2] . ثم أجزل صلته وقال : إذ ولدت النساء فلتلد مثلك .

حديث لبعضهم

وحكى بعضهم : أنه مرّ على قـبر أبى محجن الثقفى فى نواحى أذربيجان أو جُرجان . قال : فرأيت قبره وقد نَبتت حوله ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت ، وهى معروشة . وعلى قبره : هذا قبر أبى محجن الثقفى . فوقفت طويلا أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمنية بلغها حيث يقول :

* إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة *

---

(١) قنع : قناعة .

(٢) الصفد : العطاء .

أخبار زهير بن جناب (*)

نسبه — هو زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زَيد بن اللات بن رُفيدة بن ثَور بن كلب بن ثعلبة (1) بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة .

طبقته وشيء عنه — شاعر جاهلي . وهو أحد المعمَّرين . وهو سيد كلب وقائدهم فى حروبهم . وكان شجاعاً مظفَّراً مَيمون النقيبة فى غَزَواته . وهو أحد من مَلّ عمره فشرب الخمر صِرفا حتى قتلته . ولم يوجد شاعر فى الجاهلية والإسلام وَلد من الشعراء أكثر من وَلد زهير .

عمره ومنزلته بين قومه — وذكر أنه بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة ، أوقع فيها مائتى وقعة بالعرب . ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى حن بن زيد العذرى . ولم يكن فى اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير بن جناب .

شعره لحفيد له — وذكر حمّاد الراوية أن زهيراً هذا عاش أربعمائة سنة ، فرأته أبنة له فقالت لابن ابنها : خُذ بيد جدك . فقال له : من أنت ؟ فقال : فلان بن فلان بن فلانة . فأنشأ يقول :

أبُنَىّ إن أهلكْ فقد ... أورثْتُكم مجدًا بُنَيَّه
وتركتُكم أبناء سا ... داتٍ زنادُكم وَرِيَّه
مِن كُل ما نال الفتى ... قد نِلتُه إلا التحيَّه

(*) ممن وردت تراجمهم فى الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : «كلب بن وبرة بن تغلب» .

والمـوتُ خـيرٌ للفتى　　فليهلِـكَنْ وبه بقيّـه

وله وقد بلغ مائة سنة

وهو القائل وقد بلغ مائتى سنة :

لقـد عُمِّرت حتى ما أبالى　　أَحتفى فى صباحى أو مسائى

وحقّ لمن أتت مائتان عامًا　　عليه أن يَمـلّ من الثّواء

شعره الذى فيه الغناء

وقال أيضاً فى كبره ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره :

ألا يا لقومى لا أرى النجم طالعا　　ولا الشمس إلّا حاجبى بيمينى

ومُعزِبتى[1] عنـد القفا بعمودها　　فأقصى نكيرى أن أقول ذَرِينى

أمين على أسرارهن وقد أرى　　أكون على الأسرار غير أمين

فللموت خيرٌ من حِداج[2] موطّأ　　مع الظّعن لا يأتى المحل لحـين

سبب شربه الخمر صرفا حتى مات

وذكر أنه كان زهير إذا قال : ألا إن الحى ظاعن ؛ ظعنت قضاعة . وإذا قال: ألا إن الحى مقيم ؛ نزلوا وأقاموا . فلما أسنّ نُصب ابن أخيه عبد الله بن عليم للرياسة فى كلب ، وطمع أن يكون كعمه ، وأن تجتمع قضاعة كلها عليه . فقال زهير يوما : إلا إن الحى ظاعن . فقال عبد الله : ألا إن الحى مقيم . فقال زهير : ألا إن الحى مقيم . فقال عبد الله : ألا إن الحى ظاعن . فقال زهير : من هـذا المخالف علىّ منذ اليوم . قالوا : ابن أخيك عبد الله بن عليم . فشرب زهير الخمر حينئذ صِرفا حتى مات .

ممن شرب الخمر صرفا حتى مات

وممن شرب الخمر صِرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى ، وأبو براء عامر ابن مالك مُلاعب الأسنّة .

وقيل : عاش هُبَل بن عبد الله ، جد زهير بن جناب ، ستمائة وسبعين سنة .

---

(١) المعزبة كمعزفة : المرأة تكون مع الشيخ ترعاه و تكلؤه .

(٢) الحداج : أن تشد على الناقة أو البعير الحدج ، وهو مركب ليس برحل ولا هودج تركبه النساء .

أخبار صريع الغوانى (*)

نسبه وكنيته

هو مسلم بن الوليد . مولى أبى أمامة أسعد بن زُرارة الخزرجى . ويُكنى : أبا الوليد .

طبقته ومذهبه

وهو شاعر متقدّم من شعراء الدولة العباسية . منشؤه ومولده الكوفة . وهو فيما قيل : أول من قال الشعر المعروف بالبديع . وهو لقّب هذا الجنس البديع واللطيف . وتبعه فيه جماعة أشهرهم فيه أبو تمام الطائى . فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه .

مجود فى الخمر

وكان حسنَ النظم فى الخمر . وكثير من الناس يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى المُطربة وٱستخرجها .

له فى جارية تعشقها

وذكر أنه علق جارية ذات ذِكر وشرف ، وكان منزلها فى مهبّ الشمال من منزله ، وفى ذلك يقول :

أُحب الرِّيح ما هبَّت شمالا ... وأحسُدها إذا هبَّت جَنوبَا

أهابك أن أبوح بذات نفسى ... وأَفْرَق إن سألتُك أن أخيبا

وأهجر صاحبى حُب التَّجنى ... عليه إذا تجنّيت الذُّنوبا

كأنى حين أغضى عن سواكم ... أخاف لكم على عَينى رَقيبا

وكانت له جارية يُرسلها إليها يَبُثُّها سرّه ، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها ،

(*) هذه الترجمة سقطت من أجزاء الأغانى كلها حتى الجزء الحادى والعشرين .

فطال ذلك بينهما حتى أحبَّتْها الجارية التى عَلقها مسلم ومالت إليها ، وكلتاهما فى نهاية الحسن والكمال . وكان مُسلم يُحب جاريته هذه محبَّة شديدة ، ولم يكن يهوى تلك وإنما كان يريد الغَزل والمجون وأن يشيع له حديث هواها . وكان يرى ذلك من الملاحة والظَّرف والأدب . فلما رأى مودة تلك الجارية لجارتها هَجر جاريته مُظهراً لذلك وقَطعها عن الذهاب إلى تلك ، وذلك قوله :

وأهجُر صاحبى حُبَّ التجنِّى   عليـــه إذا تجنّيت الذُّنوبا

شعره الذى الغناء

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وفى ذلك قوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، افتتح به أبو الفرج أخبار مسلم بن الوليد :

تدَّعى الشوق إذ نأتْ   وتجـــنَّى إذا دَنتْ
سرّنى لو صـبرت عنـ   ـها فتُجـزى بما جَنت
إنّ سلمى لو اُتقت   ربَّهـا فىّ أنجـــزت
زَرعت فى الحشا الهوى   وســقَتْه حتى نبت

ذكر شعره للمأمون فا[illegible] به

وذكر أنه اجتمع أصحاب المأمون عنده يوماً ،فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت ياأمير المؤمنين عن مُسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول : وقد رثى رجلاً :

أرادوا ليُخفوا قَبره عن عدوِّه   فطِيبُ تراب القبر نَمّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

تجود بالنفس إن ضَنَّ الجواد بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

وهجا رجل بقُبح الوجه والأخلاق فقال :

قَبُحت مَناظره فحـين خَبرتُه   حسُنت مناظرُه لقُبح المخبرِ

وتغازل فقال :

هوًى يجـــدُّ وحبيب يلعبُ أنت لقًى[1] بينهما مُعـــذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خُضتم اليوم فى ذكره .

أكرمه ابن يزيد بعد أن نبهه إلى ذلك الرشيد

وحكى يزيد بن مَزْيد قال :

أرسل إلىّ الرشيد يوماً فى وقت لا يرسَل فيه إلى مثلى ، فأتيتُه لابساً سلاحى مستعدًّا لأمرٍ إن أراداه . فلما رآنى ضحك إلىّ ثم قال لى : يايزيد . خبرنى من الذى يقول :

تراهُ فى الأمن فى دِرع مُضاعفة لا يأمن الدهرَ أن يُدْعى على عَجَلِ

لله من هاشم فى أرضه جبـــل وأنت وابنُك رُكنا ذلك الجبل

فقال : لا أعرفه يا أمير المؤمنين . فقال : سوءة لك من سيد قوم ، يُمدح بمثل هذا الشعر ولا يَعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم ابن الوليد . فانصرفت فدعوت به ووصلتهُ وولّيته .

وذُكر أنه دخل يزيد بن مَزيد على الرشيد فقال له : يا بن مزيد ، من الذى يقول :

لا يَعبق الطّيب خدَّيه ومَفْرقه ولا يُمسّح عينيه من الــكحلِ

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فهن يَتْبَعنه فى كُل مرتحل

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خجلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد . قال : وكيف حجبته عنى ولم تُعلمنى بمكانه . قال : أخبرته أنك مُضيق وأنه ليس فى يديك شىء تُعطيه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لعا » .

وسألته الإمساك والمقام أيامًا إلى أن تتسع . فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدخله إلىّ . فأدخله ، فأنشد قوله فيه :

أجررتُ ذيل خليع فى الصِّبا غَزِل وشمَّرتْ هِممُ العُذال عن عَذَلِ
ردّ البكاء على العين الطّموح هوًى مفرّق بين توديع ومُرتحل (١)
أما كفَى البين أن أُرمى بأسهمه حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجل
ممّا جَنت لى وإن كانت مُنًى صدقت صبابة خُلس التَّسليم بالمُقَل

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاْقبضها واعذر . وخرج الحاجب. فقال لمسلم : قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم ؛ خمسون ألفاً منها لك ، وخمسون ألفاً لنفقته . فأعطاه إياها . وكتب صاحب الخبر إلى الرشيد بذلك . فأمر له بمائتى ألف درهم . وقال : اُقض الخمسين الألف التى أخذتها للشاعر وزِدْه مثلها . وخُذ مائة ألف درهم لنفقتك . فاُفتكّ ضيعته وأعطى مُسلماً خمسين ألفاً أخرى .

إرسال يزيد بن مزيد فى طلبه

وحكى صريع الغوانى مُسلم بن الوليد قال : كنت جالساً فى دُكان خياط بإزاء منزلى ، إذ رأيت طارقاً ببابى . فقمتُ إليه ، فإذا هو صديق من أهل الكوفة قد قَدم من قُم (٢) . فسُررت به وكأن إنساناً لَطم فى وجهى ، لأنى لم يكن عندى درهم واحد أُنفقه عليه . فقُمت فسلّمت عليه وأدخلته منزلى ، وأخذت خُفين كانا لى أتجمل بهما ، فدفعتُهما إلى جاريتى وكتبتُ معها رُقعة إلى بعض معارفى فى السوق أسأله أن يبيع الخُفين ويشترى لى لحماً وخُبزاً بشىء سمّيته له . فمضت الجارية وعادت إلىّ وقد اشترت لى ما حدّدته ، وقد باع الخُفين بتسعة دراهم ، فكأنما إنما جاءتنى بخُفين جديدين . فقعدت أنا وضيفى نطبخ . وسألت جاراً لى أن يسقينا قارورة نبيذ،

(١) الديوان : « ومحتمل » .
(٢) قم : مدينة بين أصفهان وساوة .

فوجّه بها إلىّ ، وأمرت الجارية أن تُغلق باب الدار . فإنا لجالسان نطبخ حتى طرق الباب طارق ، فقلت للجارية : أنظُرى مَن هذا ؟ فنظرت مِن شق الباب فإذا رجل عليه سَواد وشاشيّة ومنطقة ومعه شاكرى[1] فخبّرتنى بموضعه . فأنكرت أمرى ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : لست بصاحب دعارة ولا للسلطان علىّ سبيل . ففتحت البابَ وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابّته وقال لى : أنت مسلم بن الوليد ؟ فقلت : نعم . فقال : كيف لى بمعرفتك ؟ قلت : الذى دلّك على منزلى يصحح لك معرفتى . فقال لغلامه : امض إلى الخياط فسَله عنه . فمضى فسأله عنى . فقال : نعم هو مسلم بن الوليد . فأخرج إلىّ كتاباً من خُفه وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مَزيد إلىّ يأمرنى ألا أفُضه إلا عند لقائك ، فإذا فيه : إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم التى أنفذتها تكون فى منزله ، وادفع إليه ثلاثة آلاف درهم تكون لنفقته ، ليتحمّل بها إلينا. فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلى والرجل معى ، فأكلنا ذلك الطعام وازددتُ فيه وفى الشراب ، واشتريت فاكهة واتسعت ووهبت لضيفى من الدراهم ما يُهدى به هديّة لعياله ، وأخذت فى الجهاز . ثم ما زلت معه حتى صِرنا إلى الرقّة إلى باب يزيد ، فدخل الرجل فإذا هو أحد حُجابه . فوجده فى الحمام ، فخرج إلىّ فجلس معى قليلاً ، ثم خبّر الحاجب بأنه خرج من الحمام ، فأدخلنى إليه ، فإذا هو على كرسى جالس وعلى رأسه وصيفة بيدها غِلاف مرآة ، وبيده هو مرآة ومشط يسرّح لحيته . فقال يامسلم ، ماالذى بطأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير ، قلة ذات اليد . قال : فأنشدنى . فأنشدته قصيدتى التى جئته بها :

أجررتُ ذيل خليع فى الصّبا غزل　　وشُمرت هِمم العُذال عن عَذَلِى

فلما صرت إلى قولى :

(١) شاكرى . من الشاكرية ، وهى فرقة من الجند ظهرت فى عهد العباسيين .

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسّح عينيه من الكحل

وضع المرآة فى غلافها وقال للجارية : انصرفى . فقد حرّم مسلم علينا الطيب . فلما فرغت من القصيدة قال لى : يا مسلم ، أتدرى ماالذى حدا بى على أن وجهتُ إليك ؟ فقلت : لا والله ما أدرى . فقال : كنت عند الرشيد منذ ليال أغمز رجليه . إذ قال لى : يا يزيد ، من القائل فيك :

سلّ الخليفةُ سيفاً من بنى مَطر يمضى فيَخترم الأجساد والهامَا

كالدَّهر لا ينثنى عمّــا يهمّ به قد أوسع الناسَ إنعاماً و إرغامَا

فقلت : والله ما أدرى ! فقال الرشيد : يا سبحان الله ، إنك مقيم على أعرابيّتك ، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدرى من قائله ؟ فسألت عن قائله ، فأُخبرت أنك أنت هو . فقُم حتى أُدخلَك على أمير المؤمنين . ثم قام فدخل على الرشيد . فما علمت حتى خرج علىّ الآذن فأذن لى . فدخلت على الرشيد فأنشدتُه ما لى فيه من الشعر . فأمر لى بمائتى ألف درهم . فلما انصرفت إلى يزيد أمر لى بمائة ألف درهم وتسعين ألف درهم وقال : لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأقطعنى إقطاعات تبلغ غلّتها مائتى ألف درهم . قال مسلم : ثم أفضتْ بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى . فهجرتُه ، فشكانى إلى الرشيد . فدعانى وقال لى : أتبيعنى عرض يزيد ؟ فقلت : نعم ياأمير المؤمنين . فقال : بكم ؟ فقلت : برغيف خبز . حتى خِفته على نفسى . فقال : قد كنت على أن أشتريه منك بمال جسيم ، فلست أفعل ولا كرامة ، فقد علمت إحسانه إليك ، وأنا نفىّ عن أبى . ثم والله والله لئن بلغنى أنك هجوته لأنزعنّ لسانك من بين فكّيك . فأمسكت عنه بعد ذلك وما ذكرتُه بخير ولا بشر .

وذُكر أنه أُهدى إلى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل ، فلما رُفع الطعام من رثاؤه يزيد ابن مزيد

بين يديه وطئها ، فلم ينزل عنها إلا ميتاً . وذلك ببردعة [1] من أذربيجان . ودُفن بمقبرة من مقابر بَردعة . وكان مسلم بن الوليد فى صُحبته ، فقال يرثيه :

قــبر ببَردعة استسرّ ضريحه خطراً تقاصر دونه الأخطارُ
أبقى الزمان على ربيعةَ بعده حُزناً كعُمر الدهر ليس يُعار
نَفضت بك الأحلاس آمال الغنى واُسترجعت رُوّادها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غَوادى مُزْنة أثنى عليها السهل والأوعار

السبب فى قلة ما يروى له

وذُكر أن راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره . فغافله مسلم ثم أخذ منه الدفـتر الذى فى يده فقذف به فى البحر . فلهذا قَلّ شعره فليس فى أيدى الناس منه إلا ما كان بالعراق . وما كان فى أيدى الممدوحين من مَدائحه .

ما كان بينه وبين دعبل دخل خراسان

وذُكر أن مسلم بن الوليد خَرج إلى خُراسان فحصلت له عند الفضل بن سهل بها حُظوة ، فخرج دعبل لما بلغه ذلك إلى خراسان . وكتب إلى الفضل بن سهل :

لا تعبأنْ باُبن الوليـد فإنه يَرميك بعـد ثلاثة بمَـلالِ
إن الملول وإن تقـادم عهده كانت مودّته كفَىْء ظِـلال

فدفع الفضل إلى مُسلم الرقعة وقال : اُنظر يا أبا الوليد إلى رقعـة دعبل فيك . فلما قرأها قال له : هل عرفت لقب دعبل وهو غـلام أمرد يُفسق به ؟ قال : لا . قال : كان يلقب بمَيّاس : ثم كتب إليه :

مياس قُل لى أين أنت من الورى لا أنت مَعقول ولا مجهولْ
أما الهجاء فدَقّ عِرضُك دونه والمدح عنك كما علمتَ جَليل
فاذهب فأنت طليق عِرضك إنه عِرض عَززت به وأنت ذَليل

بينه وبين دعبل فى جارية

وحكى دعبل الخزاعى قال : بينما أنا جالس بباب الـكرخ إذ مرت بى

(١) بردعة . بالدال المهملة و بالذال المعجمة أيضاً . بلد فى أقصى أذربيجان .

جارية لم أر أحسن منها وجهاً ولا قدًّا، تتثنى فى مشيتها وتنظر فى أعطافها . فقلت متعرِّضاً لها :

دُموع عينى بهـا أنبساط ونومُ عينى به أنقبـاضُ

فأجابت مسرعة، وقالت :

وذا قليلُ لمن دهتْه بلحظها الأعينُ المِراض

فأدهشتنى وعجبت منها، فقلت :

فهل لمولاى عَطف قلب أو للذى فى الحشا انقراض[١]

فأجابتنى غيرَ متوقِّفة :

إن كنتَ تهوى الوداد منّا فالوُدُّ فى ديننـا قِراضُ

فما دخل أُذنى كلام قط أحلَى من كلامها ، ولا رأيت أنضر وجهاً منهـا . فعدلت عن ذلك الشعر وقلت :

أترى الزمان يسرُّنا بتلاقِى ويضم مشتاقاً إلى مُشتاقِ

فأجابتنى مسرعة وقالت :

ما للزمان وللتحـكم بيننا أنتَ الزمان فسُرَّنا بتلاقِى

قال : فمضيت أمامها أؤُم بها منزل مسلم بن الوليد ، وهى تتبعنى. فصرت إلى منزله . فصادفت عنده عُسرة . فدفع إلىّ منديلا وقال : أذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُد . فمضيت مسرعاً ، فلما رجعت وجدتُ مسلماً قد خلا بهـا فى سِرداب . فلما أحسّ بى وثب إلىّ وقال : عرّفك الله يا أبا على جميل ما فعلت ، ولقّاك ثوابه . وجعله أحسن حَسنة لك ! فغاظنى قولُه وطَنزه[٢]، وجعلت أفـكّر أى شىء أعمل به : فقال لى : بحياتى يا أبا على ، من الذى يقول :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إعراض » .

(٢) الطنز : الكلام باستهزاء .

بتُّ فى دِرعها وبات رَفيقى جُنُبَ القَلب طاهرَ الأطرافِ

فقلت :

من له فى حِرِ أمِّهِ ألفَ قَرن قد أنافت على عُلوّ منافِ

وجعلت أشتُمه وأثبُ عليه . فقال لى : يا أحمق ، منزلى دخلت ، ومنديلى بِعتَ ، ودراهمى أنفقت ، على من تَحرَد[1] أنت ، وأى شيء سبب حَرْدك يا قراد؟ فقلت له : مهما كذبتَ على فيه من شيء فما كذبت فى الُحمق والقِيادة !

وحكى الأصمعى قال :

قصة سعيد بن سلم فى امرأة نغصها عليه مسلم

قال سعيد بن سَلم : قدمتْ علىّ امرأة من باهلة من اليمامة ، فمدحتنى بأبيات ، فما تمّ سرورى بها حتى نغَّصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغنى أنه هجانى به ، فقلت ماالأبيات التى مُدحت بها ؟ فأنشدنى :

قبيلة قيس ساد قيساً وسَلْمها فلما تولى ساد قَيساً سعيدُها

وسيّد قيس سيد النـاس كلهم و إن مات من رغم وذَلّ حَسودها

هُم رفعوا كفّيك بالمجد والعُلى ومن يرفع الأبناء إلا جُدودها

إذا مدّ للعَلْيا سعيدٌ يمينـه نفت كفُّه عنها أكفًّا يُريدها

فقلت له : فبأى شيء نغّصها عليك مسلم ؟ فضحك وقال : كلفنى شططا ، ثم أنشدنى :

وأحببت من حبهـا الباخلين حتى ومقت ابنَ سلم سعيدا

إذا سِيل عُرفا كسا وجهه ثياباً من اللُّؤم صُفراً وسُودا

يغار على المـال فعلَ الجـواد وتأبى خلائقه أن يجُودا

---

(١) تحرد : تغضب .

هو ودعبل

وحكى أن مسلم بن الوليد كان أستاذ دعبل ، وعنه أخذ دعبل ، ومن بحره استقى ، ثم تهاجرا وماتا متهاجرين .

حفظ ابن سعيد لشعر مسلم وأبى نواس

وحكى أحمد بن سعيد ، أن أبا تمام حلف ألّا يصلّى حتى يحفظ شعر مسلم وأبى نُواس . فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شِعريهما . قال : فدخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال اللات والعزى أعبدهما من دون الله .

إكرام ذى الرياستين له

وحكى مُسلم بن الوليد قال : وجه إلىّ ذو الرياستين ، فحُملت إليه ، فقال : أنشدنى قولك :

بالغَمْر من زينب أطلالُ ... مرّت بها بعدك أحوالُ

فأنشدته إياها حتى انتهيت إلى قولى :

وقائل : ليست له همّة ... كلاّ ، ولكن ليس لى مال (1)

وهمة المُقْتِرِ (2) أمنية ... عون على (3) الدهر وأشغال

لا جِدَةٌ (4) أُنهض عزمى بها (5) ... والناس سُؤَّالٌ وبُخَّال

فاقعد (6) مع الدّهر إلى دولة ... ترفع (7) فيها حالك الحال

فلما أنشدته هذا البيت قال : هذه والله الدولة التى ترفع حالك . وأمر لى بمال عظيم ، وقلّدنى كُوَرَ جُرجان .

وذكر أنه كان لمسلم زوجة من أهله ، وكان يحبها ، فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً ، وتنسك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعضُ إخوانه

(1) الديوان : « ولكن ماله مال » .
(2) فى بعض أصول الأغانى : « المعتر » .
(3) « « « : « هم من » .
(4) الجدة : « الميسرة » .
(5) الديوان : « لا جدة تنهض فى عزمها » .
(6) الديوان : « فاصبر » .
(7) « : « تحمل » .

ذات يوم أن يزوره ، ففعل ، فأكلوا وقدّموا الشراب ، فامتنع منه وأباه وأنشأ يقول :

بُكاء وكأس كيف يجتمعان ... سبيلاهما فى القلب مُختلفانِ

دعانى وإفراط البكاء فإننى ... أرى اليوم فيه غيرَ ما تَريان

غدت والثّرى أولى بها من وليّها ... إلى منزل ناء لعينك دانى

فلا حُزن حتى تنزف العينُ ماءها ... وتعترفَ الأحشاء بالخفقان

وكيف بدفع اليأس والوَجد بعدها ... وهمّاهُما فى القلب يَعتلجان

أخبار محمد بن وهيب

هو محمد بن وُهيب الحِميرى صليبةً . شاعر بغدادىّ من شعراء الدولة العباسية . وأصله من البصرة . نسبه وأصله وعصره

وكان يَستميح بشعره ويتكسّب بالمديح ، مَدح الحسنَ بن رجاء بن أبى الضحاك فوَصله ، وأوصله بالمأمون حتى مدحه . وكان يتشيّع . وله مراثٍ فى أهل البيت . وهو متوسط من شعراء طبقته . وفى شعره أشياء نادرة فاضلة وأشياء مكلّفة . شعره وصلته بالمأمون

وذُكر أن الشعراء اجتمعوا على باب المعتصم فبعَث إليهم الوزيرُ محمد بن عبد الملك الزيات يقول لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يُحسن أن يقول مثل قول النُّميرى فى الرشيد : قصة شعره الذى فيه الغناء

خليفةَ الله إنّ الجُود أوديةٌ ... أحلّك الله منها حيث تَجتمعُ

من لم يكن بأمِين الله مُعتصماً ... فليس بالصّلوات الخمس يَنتفع

إنْ أخلف القَطرُ لم تُخلف مخايلُه ... أو ضَاق أمرٌ ذَكرناه فيتّسع

فَلْيدخل وإلا فلينصرف . فقام محمدبنُ وهيب فقال : فينا من يقول مثلَه .

قال : فأى شىء قلت ؟ فقال :

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتهم ... شمسُ الضّحى وأبو إسحاق والقمَرُ

يَحكى أفاعيلَه فى كل نائبة ... الغيثُ والليثُ والصّمصامة الذّكر

فأمر بإدخاله وأحسن جائزته .

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء افتتح به أبو الفرج أخبار محمد بن وهيب .

مما يستحسن من شعره

ومما يستحسن قولُه :

يدُل على أنــنى عاشقٌ   من الدّمع مُستشهد ناطقُ
ولى مالكٌ أنا عبدٌ له   مُقرٌّ بأنّى له وامِق
إذا ما سموتُ إلى وصله   تعرَّض لى دونه عائق
وحاربنى فيه رَيْب الزما   ن كأنّ الزمان له عاشق

من جيد شعره فى مدح ابن سهل

ومن جيد شعره قصيدة مدح بها الحسن بن سهل ، أولها :

ودائع أسرار طوتْها السَّرائر   وباحتْ بمكتوماتهنّ النواظرُ

يقول فى مديحها :

لهـا[1] فلَكٌ فيه الأسـنةُ أنجمٌ   ونَقْع المنـــايا مُستطير وثائر
أجزْت قضاء الموت فى مُهجِ العدا   به فاستباحتْها المَنايا[2] الغَوادر
لك اللَّحظات الكالئات قواصدا   بنُعمى وبالبأساء وهْى شَواذر
فلو لم تكن إلا بنفسك فاخراً   لمـا انتسبت إلا إليك المَفاخر

ولمـا أنشدها محمد بن وُهيب الحسنَ بن سهل طرب حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال : أحسنت والله وأجملت ، ولو لم تقل قط ولا تقول فى باقى الدهر غير هذا لمـا احتجت إلى القول ، وأمر له بخمسة آلاف دينار وأقتطعه إلى نفسه .

اهجى بيت هو له

وقال ابن الأعرابى : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بن وهيب ، وهو من أبيات يهجو بها علىّ بن هشام :

لم تَنَدْ كفُّك[3] من بذل النوال كما   لم يَند سيفُك مذ[4] قُلِّدْتَه بدَمِ

---

(١) الضمير فى « لها » يعود إلى « جنة » فى بيت قبل هذا ، وهو :

وأرعن فيـــه للسوابغ جنـــة   وسقف سماء أنشأته الحوافر

(٢) فى الأصل : « المنون » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لم تند كفاك » .

(٤) فى الأصل « ما » .

من نادر شعره

وذكر أن محمد بن وهيب بلغه أن دعبل بن على قال : أنا ابن قولى[1] :

لا تَعجبى يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحِك المشيبُ برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال : أنا ابن قولى[1] :

نَقِّل فؤادَك حيثُ شِئْتَ من الهوَى ما الُحب إلا للحبيب الأولِ

فقال محمد بن وهيب : وأنا ابن قولى[1] :

ما لمن تَمَّت محاسنُه أن يُعادى طَرف مَن رَمقا

لك أن تُبدى لنا حَسنا ولنا أن نعمِلَ الحَدَقا

وهذا من نادر الشعر وجيده ، وأول هذه الأبيات :

نَمْ فقد وَكَّلت بى الأَرَقا لاهياً بُعدًا لمن عَشقا

إنما أبقيتَ من جسدى شَبحاً غيرَ الذى خَلقا

وفتًى ناداك فى كُرب حُشِيت[2] أحشاؤه حُرَقا

إنما عاقبتَ ناظره أن أعاد اللَّحظ[3] مُسترقا

وبعده البيتان المذكوران أولا ، وبعدهما :

من رأى شيئًا فأعجبه فليقل سُبحان من خلقا

قدحت كفّاك زَند هَوًى فى سَوادِ القَلب فاُحترقا

مدحه لابن هشام على غلام أعطاه إياه

وذكر أنه دخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوماً ، وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلماناً صِباح الوجوه ، فدَهش لمّا رأى ذلك وبقى مُتبلِّدًا لاينطق حرفاً . فضحك أحمد منه وقال له : مالك ويحك تكلم بما تريد ! فقال :

---

(١) فى غير التجريد : « أين قولى » .

(٢) فى غير التحريد : « أسعرت » .

(٣) فى غير التجريد : « إذ أعاد الطرف » .

قد كانت الأصنامُ وهْىَ قديمة كُسرت وجدَّعهن إبراهيمُ
ولديك أصنام سَلِمْنَ من الأذى وصَفَت لهنَّ نضارة[1] ونَعِيم
وبِنـا إلى صنم نـلوذ بركنه فقر وأنت إذا هُززتَ كريم

فقال له : اختر من شئت منهم ، فاختار واحداً منهم . فأعطاه إياه .

فقال يمدحه :

فَضلت مكارمُه على الأقوام وعلا فحاز مكارم الأيامِ
وعلته أبَّهة الجـلال كأنه قمر بدا لك من خلال غَمام
إنّ الأمـير على البريّة كلها بعد الخليفة أحمدُ بن هشام

من مدحه للمأمون

ومن نادر الشعر قصيدة مدح بها محمدُ بن وهيب المأمون ، أولها :

العُذر إن أنصفت يتّضح وشهيدُ حُبك أدمعٌ سُفحُ
فضحتْ ضميرَكَ عن ودائعه إنّ الجفون نواطقٌ فُصح
وإذا تكلمت الجفون[2] على إجمامها فالسرُّ مُفتضح

ومنها :

ما زال يلثمنى مراشفه ويُعلّنى الإبريق والقَدح
حتى استردَّ الليلُ خِلعته ونشا خلالَ سواده وَضح
وبدا الصباح كأنّ غُرته وجهُ الخليفة حين يُمتدح

ومنها :

نشرت بك الدنيا محاسنَها وتزيّنت بصفاتك المِدَح
وإذا سلمتَ فكل حادثة جَللٌ فلا بُؤس ولا تَرح

---

(١) فى غير التجريد : « غضارة » .

(٢) فى غير التجريد : « العيون » .

وذكر [1] أن محمد بن وهيب سأل محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال :

طُبع الكريم على وفائه وعلى التفضُّل فى إخائه

تُغنى عنايتُه الصديـ قَ عن التعرُّض لاقتضائه

حَسْب الكريم حباؤه فكِلِ الكريمَ إلى حِبائه

فقال له : حسبك ، قد حنَّنت فأبلغت ، والحاجة تسبقك إلى منزلك . ووفى له بذلك .

(١) هذا الخبر وما معه من شعر غير موجود فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

أخبار مزاحم العقيلي

نسبه هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث[1] بن مُصرف بن الأعلم بن خُويلد بن عامر بن عَقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وقد تقدم بقية النسب .

زمانه وكان فى زمن جرير بن الخطفى . وكان جرير يصفه ويقرِّظه .

شعره الذى فيه الغناء وإعجاب جرير به وحكى عن جرير أنه قال : ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيلي :

ودِدتُ على ما كان من سرف الهوى وغَىّ الأمانى أنّ ما شئتُ يُفعلُ
فترجعَ أيّام مَضين ولذّة تولّت وهل يُثنى من الدهر[2] أول

وهذان البيتان هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار مزاحم .

وله من جيد الشعر ومن جيد الشعر قول مزاحم العقيلي :

لصفراء فى قلبى من الُحب شُعبة حِمًى لم تُبِحْه الغانياتُ صميم[3]
بها حَلّ بيت الُحب ثم ابتنى[4] بها فبانت بيوت الحىّ وهو مُقيم
بكَت دارهم من نأيهم فتهلّلت دموعى فأىّ الجازعين ألوم
أمستعبراً يَبكى من الُحب[5] والجوى أم آخر يبكى شجوهُ فيَهيم

---

(١) فى غير التجريد : « عمرو بن الحارث » .
(٢) فى غير التجريد : « العيش » .
(٣) فى غير التجريد : « سموم » .
(٤) فى غير التجريد : « ابتنى » .
(٥) فى غير التجريد : « الحزن » .

تضمّنه من حُبِّ صفراء بعدما سلا هيضات[١] الحب فهو كليم
ومن يتهيّض حُبُّهن فؤادَه يَمُت أو يعش ما عاش وهو سقيم
كحرّان صادٍ ذِيد عن بَردِ مَشرب وعن بُللات الرّيق فهو يحوم

تمنى جرير لو أن له بعض شعره

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال لجرير : يا أبا حَزرة ، هل تحب أن يكون لك بشىء من شعرك شىء من شعر غيرك ؟ قال : ما أحب ذلك ، إلا أن غلاماً ينزل الروضات من بلاد بنى عقيل ، يقال له : مزاحم العقيلى ، يقول حسناً[٢] من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله ، كنت أحب أن يكون لى بعض شعره مقايضة ببعض شعرى .

شعره فى ليلى عندما تزوجت

وذُكر أن مزاحماً كان يهوى امرأة من قومه يقال لها : ليلى ، فغاب غيبة عن بلاده ، ثم عاد وقد تزوجت ، فقال فى ذلك :

أتانى بظَهر الغَيب أنْ قد تزوجت فظلّت بىَ الأرضُ الفضاء تدورُ
وزايلنى[٣] لُبى وقد كان حاضراً وكادَ جَنانى عند ذاك يَطير
فقلت وقد أيقنت أنْ ليس بيننا تلاقٍ وعينى بالدّماء تَمُور
أيا سرعة الأخبار[٤] أن قد تزوجت فهل يأتينّى بالطلاق بشير
ولستُ بمُحص حُب ليلى لسائل من الناس إلا أن أقول كثير
لها فى سواد القلب تسعة أسهم وللناسِ طُرًّا من هواى عشير

ومن الناس من يزعم أن ليلى هى التى كان يهواها المجنون ، وأنهما اجتمعا ، هو ومزاحم فى حُبها .

(١) فى غير التجريد : « هضبات » .
(٢) فى غير التجريد : « حوشيا » .
(٣) فى غير التجريد : « وقد زايلت » .
(٤) فى غير التجريد : « الأحباب حين » .

أخبار بكر بن النطاح الحنفي

كنيته والعلم عنه

ويُكنى : أبا وائل . وقيل : إنه عِجلى ، من بنى سعد بن عِجل . وكان صعلوكا يقطع الطريق ، ثم أقصر عن ذلك . وجعله أبو دُلف العِجلى من الجند ، وجعل له رزقاً سُلطانياً . وكان شجاعاً بطلا فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه .

سبب صلته بأبي دلف

وذكر أن بكر بن النطاح قال قصيدته التى يقول فيها :

هنيئاً لإخوانى ببغداد عيدهم   وعيدى بحُلوان قِراع الكتائبِ

وأنشدها أبا دلف . فقال له : إنك لتكثر وصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت لذلك أثراً عندك قط ، ولا فيك . فقال : أيها الأمير ، وأى غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل ؟ فقال : أعطوه فرساً وسيفاً ورمحاً ودرعاً . فأعطوه ذلك أجمع . فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مال لأبى دلف يُحمل من بعض ضياعه ، فأخذه ، وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه ، فجرحهم جميعاً وقطعهم ، فانهزموا وسار بالمال ، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً . فلما اتصل خبره بأبى دلف قال : ن جنينا على أنفسنا ، وقد كنا أغنياء عن إهاجة بنى وائل . ثم كتب إليه بالأمان وسوّغه المال وكتب إليه : صر إلينا ولا ذنب لك ، نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا . فرجع ، ولم يزل عنده يمدحه حتى مات .

شعره الذى فيه الغناء

ومما يستحسن من شعر بكر بن النطاح قوله فى جارية لبعض الحنفيين كان يهواها ، وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار بكر بن النطاح ، وهو :

أكذّب طَرفى عنك والطرف صادق[1] وأسمع أذنى فيك[2] ما ليس تَسمعُ
ولم أسكن الأرض التى تسكنينها لئلا[3] يقولوا صابرٌ ليس يَجزع
لقيتُ أموراً فيك لم ألقَ مثلها وأعظم منها فيك ما أتوقّع
فلا كَبدى تَبلى ولا لك رحمةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مَطمع

قدم أبا دلف على قتله فارسين فأجازه

وذُكر أن أبا دُلف لحق أكراداً قطعوا الطريق فى عمله ، وقد أردف منهم فارس رفيقاً له خلفه ، فطعنهما جميعاً فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أنفذ بطعنة واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح فأنشده :

قالوا ويَنظم فارسين برُمحه[4] يوم اللقاء ولا يراه جَليلا
لا تعجبوا فلو أن طول قَناته مِيل إذن نَظم الفوارس مِيلا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم . فقال بكر :

له راحة لو أنّ معشار جُودها على البَرِّ كان البَرُّ أندى من البَحرِ
ولو أنّ خلق الله فى جسم فارس وبارزه كان الخلىّ من العمر
أبا دلف بُوركت فى كُل بلدة كما بُورِكتْ فى شهرها ليلةُ القدر

نصرانى يعشقه شعره فى غلام

وذُكر أن بكر بن النطاح كان يتعشّق غلاماً نَصرانياً ويُجن به ، وفيه يقول :

يا من إذا دَرس الإنجيلَ ظَلّ له قلب التَّقِىِّ عن القرآن مُنصرفا
إنى رأيتك فى نَومى تُعانقنى كما تعانق لامُ الكاتب الألفا

(١) فى غير التجريد : « أكذب نفسى عنك كل ما أرى » .
(٢) » » : « منك » .
(٣) » » : « قتيلا » .
(٤) فى غير التجريد : « بطعنة » .

ذكر
مقتل مصعب بن الزبير
ابن العوام بن خويلد
ابن أسد بن عبد العزيز بن قصى (*)

شيء عن مصعب

وكان جواداً شجاعاً، ولّاه أخوه عبد الله بن الزبير العراقين، وجمع بين عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين، أجمل أهل عصرهما. وكانت الشام ومصر لعبد الملك بن مروان يُدعى فيهما له بالخلافة، ويُدعى لابن الزبير بالخلافة فيما سوى ذلك من الأعمال.

مشاورة عبد الملك مروان في حربه

فلما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك بن مروان عبدَ الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق ومناجزة مصعب. فقال: يا أمير المؤمنين، واليتَ بين عامين تغزو فيهما، وقد خسرت خَيلك ورجالك، وعامك هذا عام حار، فأرح نفسك وجهدك، ثم ترى رأيك. فقال: إني أبادر ثلاثة أشياء: أحدها الشام، وهي أرض المال بها قليل، وأخاف أن ينفد ما عندي؛ وأشراف أهل العراق، وقد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم؛ وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا ونفدت أعمارهم، فأنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معي.

ثم مشاورته يحيى بن الحكم

ثم دعا يحيى بن الحكم: وكان يقول: من أراد أمراً فليشاور يحيى ابن الحكم، فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه. فقال: ما ترى في المسير إلى العراق، فقال: أرى أن ترضى بالشام وتدع مصعباً بالعراق، فضحك عبد الملك.

(*) لم يصرد له أبو الفرج ترجمة، وإنما ساق أخباره إثر أخبار بكر بن النطاح.

ثم مشاورته عبدالله بن خالد

ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، غزوت مرة فنصرك الله ، فغزوت ثانية فزادك الله بها عزًّا ، فأقم عامك هذا .

ثم مشاورته محمدبن مروان

فقال لمحمد بن مروان : ماترى ؟ قال أرجو أن ينصرك الله ، أقمت أم غزوت . فشمِّر فإن الله ناصرك .

خروج عبدالملك لحرب مصعب

فأمر الناس فاستعدوا للمسير . ثم توجه بالجنود إلى العراق . وكاتبه أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعونه إلى أنفسهم . فكتب إليهم يعدهم الإحسان إليهم ويمنّيهم ، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً وسألوه ولايات ، وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلا منهم . فقال عبد الملك لمن حضره : ويحكم ! ما أصبهان هذه ؟ تعجباً من كثرة طالبيها ، وكتب إلى إبراهيم الأشتر النَّخعى : لك ما سَقَى الفرات إن تبعتنى ، فجاء إبراهيم بالكتاب إلى مُصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ، ولم يخصنى بهذا دون غيرى من نظرائى فأطعنى فيهم . فقال ، أصنع ماذا ؟ قال : تدعو بهم فتضرب أعناقهم . فقال : أقتلهم على ظَن ظننته ؟ قال : فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أرض المدائن حتى ينقضى الحرب . قال : إذن نفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس : عبث مصعب بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تُمدنى بهم ، فإنهم كالمومسة تريد كل يوم حليلا ، وهم يريدون كل يوم أميراً . وأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونية[1] ، ونزل مصعب بن الزبير بمَسكن[2] إلى أوانا[3] ، وخندق ، ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق[4] وهو بمسكن ، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، وأرسل عبد الملك إلى مُصعب رجلا يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى فى الخلافة . فأبى ذلك مصعب . وقدّم عبد الملك أخاه محمد بن مروان ، وقدّم مصعب إبراهيم بن

---

(١) الأخنونية : من أعمال بغداد .

(٢) مسكن : موضع على نهر دجيل قريب من أوانا .

(٣) أوانا : بلدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

(٤) دير الجاثليق : دير قديم قرب بغداد غربى دجلة .

الأشتر ، فالتقت المقدمتان ، فانهزمت مقدمة مصعب وقُتل إبراهيم بن الأشتر بعد أن قاتل قتالا شديداً وأبلى بلاء حسناً ، وانصرفت مقدمة مصعب منهزمةً إليه . ثم دنا محمد بن مروان من مصعب ، فخَذل بعضُ أصحاب مُصعب مُصعباً وانضموا إلى محمد بن مروان . فدنا محمد من مصعب وناداه : فداكَ أبى وأمى ، إن القوم خاذلوك ولك الأمان . فأبى قبول ذلك . فدعى محمدُ بن مروان عيسى بن مصعب ، فقال له أبوه مصعب بن الزبير : انظر ما ذا يريد محمد . فدنا منه فقال : إنى لكم ناصح ، إن القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان ، وناشده . فرجع إلى أبيه فأخبره. فقال : يا بنى ، إنى أظن أن القوم سيقوك . فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم . فقال : والله لا تتحدّث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك . قال : فتقدم حتى أحتسبك . فتقدم وتقدم ناس فقُتل وقُتلوا ، وفارق أهل العراق مُصعباً حتى بقى فى سبعة أنفس ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى ، فشد عليه مصعب فقتله ، ثم شد على الناس فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مرفقةِ ديباج . ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيرجعون عنه ، ثم يرجع فيقعد على المرفقة ، فعل ذلك مراراً ، فأتاه عُبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة ، فقال : اغرب يا كلب ، وشد عليه مُصعب فضربه على البيضة فهشمها فجرحه ، ورجع عبيد الله فعَصب رأسه ، وجاء ابن أبى فروة كاتب مصعب فقال له : جُعلت فداك ، قد تركك الناس وعندى خيل مُضمّرة فاركبها وانج بنفسك . فضرب فى صدره وقال : ليس أخوك بالعَبد ، ورجع ابن ظبيان فحمل عليه ، وزَرق[1] زائدةُ ابن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار ، فصرعه . وقال عبيدالله لرجل ديلمى : احتز رأسه ـ فنزل فاحتز رأس مصعب بن الزبير ، وحمله إلى عبد الملك . فيقال : إن عبد الملك لما رأى الرأس سَجد . قال ابن ظبيان : فهممت والله أن أقتله

(١) زرق : رمى بالمزراق . وهو رمح قصير .

فأكونَ أفتكَ العرب ، قتلت ملكين من قريش فى يوم واحد ، ووجدت نفسى تنازعنى إلى الحياة فأمسكت .

مصعب وسكينة يوم مقتله

وذُكر أن مصعباً كان يومئذ قد دخل على زوجته سُكينة بنت الحُسين بن على رضى الله عنهم ، فنزع عنه ثيابه وتوشّح بثوب وأخذ سيفه ، فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع ، فصاحت من خلفه : واُحزناه عليك يا مُصعب . فالتفت إليها ، وقد كانت تخفى ما فى قلبها منه ، فقال : أوَ كل هذا لى فى قلبك ؟ فقالت : إى والله . وما كنت أخفى منه أكثر . فقال : لو كنت أعلم أن كل هذا لى عندك لكانت لى ولك حال . ثم خرج فلم يرجع . فقال ابن الرقيات يرثى مصعباً :

لقد أورثَ المصرَين حُزناً وذِلة قتيلٌ بدير الجاثَليق مُقيمُ
فما قاتلت فى الله بكرُ بن وائل ولا صَبرت عند اللقاء تميمُ
ولكنه رام القيام ولم يكن له مُضَرِىٌّ يوم ذاك كريم

بين عبد الملك وجلسائه فى شأن مصعب

وذُكر أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : من أشجع الناس ؟ فأكثروا فى هذا المعنى . فقال : أشجع الناس مُصعب ، جمع بين عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين ، وأَمة الحميد بنت عبد الله بن عاصم ، وولى العراقين ، ثم زحف إلى الحرب فبذلتُ له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خَلص فى يده . فأبى قبول ذلك — واُطرح ما كان مشغولا به من ماله وأهله وراء ظهره ، وأقبل بسيفه قُدماً فقاتل ، وما بقى معه إلا سبعة ، حتى قُتل كريما .

مقتل عبد الله ابن الزبير

ثم دخل عبدُ الملك الكوفة واستولى على العراق وتجرّد لمحاربة عبد الله بن الزبير ، وسيّر الحجّاج بن يوسف الثقفى لقتاله ، فقتله وانتظمت الأمور لعبد الملك .

عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب أخيه

وذُكر أنه لما أتى عبدَ الله بن الزبير قتلُ أخيه مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدّثت به إماء مكة فى الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليًّا لا يتكلم .

والكآبة على وجهه ، وجبينُه يرشح عرقاً . قال الراوى : فقلت لآخر إلى جنبى : ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ، فوالله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ؟ فقال : أراه يريد أن يذكر قتل مصعب ، سيد العرب ، فهو يتقطع لذكره ، وغير ملوم هو ، فقام فقال : الحمد لله الذى له الخلق والأمر ، مالك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ألا إنه لم يُذل الله من كان الحق معه ، وإن كان مفرداً ، ولم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان فى العدة والعدد والكثرة . ثم قال : إنه قد أتانا خبرٌ من العراق بلد الغدر والشقاق ، فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعباً قتل ، رحمة الله عليه ومغفرته . فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذعة يجدها حميمه عند المُصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذلك ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر . وأما الذى سرنا فإننا علمنا أن قَتله شهادة ، وأن الله جل وعز جاعل لنا وله ذلك خيرة إن شاء الله . إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره ، أسلموه إسلام النَّعم المُحطم فقُتل ، ولئن قتل لقد قُتل أبوه وعمه وأخوه ، وكانوا الخيار الصالحين ؛ والله ما نموت كما يموت بنو مروان حتف أنوفنا ، ما نموت إلا قَتلاً قَتلا قَعْصًا قَعْصا[1] بين قَصد الرماح وتحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتل رجل منهم فى جاهلية ولا إسلام قط ، وإنما الدنيا عارية من المَلك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبل الدنيا علىّ لا آخذها أخذ الأشِر البطر ، وإن تُدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الخَرق المتر[2] ، ثم نزل .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج خبر مصعب ، قولُ ابن قيس الرقيات فيه يمدحه لما ولى العراق :

(١) يقال : مات قعصا قعصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

(٢) فى غير التجريد : « الخوف المهتر » .

ليت شعرى أأول الهرج هـذا ... أم زمان من فتنة غير هَرَج
إن يعش مُصعب فنحن بخير ... قد أتانا من عيشنا ما نُرَجّى
مَلِكٌ يُطعم الطعـام ويسقى ... لبن البُخْت فى عساس[1] الخَلنج
جلب الخيل من تهامة حتى ... بلغت خيـلُه قُصور زَرَنج[2]
حيث لم تأت قبله خيل ذى الأكـ ... ـتاف يُوجفن بين قُفٍّ[3] ومَرج

(١) العساس : الأقداح العظام ، الواحد : عس . والخلنج : نوع من الشجر
(٢) زرنج : قصبة سجستان .
(٣) القف : الأرض ذات الحجارة .

أخبار أشعب الطامع

اسمه وكنيته وأمه هو أشعب بن جُبير . واسمه شُعيب . وكنيته أبو العلاء . وكان يقال لأمه : أم الجلندح[1] . وقيل : بل أم حُميد[2] ، مولاة أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه . واسمها : حميدة .

مقتل أبيه وكان أبوه خرج مع المختار بن أبى عُبيدة ، فأسرع مُصعب بن الزبير فضرب عنقه صَبرا وقال : تخرج علىّ وأنت مولاى ؟

نشأته ونشأ أشعب بالمدينة فى دُور آل أبى طالب ، وتولّت تربيته عائشةُ بنت عثمان بن عفان — رضى الله عنه .

وحُكى عن أشعب عن أمه أنها كانت تُغرى بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها زنت فحُلقت وطيف بها . وكانت تنادى على نفسها ، من رآنى فلا يزنينّ . فقالت لها امرأة ، كانت تطلع عليها : نهانا الله عنه فعصيناه ، أنطيعك وأنت محاوقة مجاودة راكبة على جمل !

شىء عن أمه وحَكى بعض ولد أشعب أن أشعب وأباه كانا موليا عثمان رضى الله عنه ، وأن أمه كانت مولاة أبى سفيان بن حرب ، وأن ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها أخذتْها معها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تدخل إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَسْتَظْرِفْنَهَا . ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغرى بينهن ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم عليها فماتت .

---

(١) فى غير التجريد : « الخلندج » .
(٢) فى غير التجريد : « أم جميل » .

وقيل : إن أشعب كان مولى الزبير بن العوام . ولاؤه

وذُكر أن أشعب كان مع عثمان ــ رضى الله عنه ــ يوم الدار ، فلما حُصِر جرّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان رضى الله عنه : من أغمد سيفه فهو حُر . فقال أشعب : فلما وقعت الكلمة فى أذنى كنت أول من أغمد سيفه ، فأعتقت . سبب إعتاقه

وحُكى عن أشعب أنه قال : كُنت حين حُصر عثمان بن عفان أسعى فى الدار ألقط السهام . دوره عند مقتل عثمان

وحكى عنه أنه قال : سمعت الناس يموجون فى أمر عثمان . وهذا يدل على أنه كان صغير السن يومئذ . وأدرك خلافة المهدى بن المنصور ، من بنى العباس . شيء عن سنه

قلت : كان مقتل عثمان ــ رضى الله عنه ــ فى ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين للهجرة ، وكانت خلافة المهدى فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فبين الوقتين مائة وثلاث وعشرون سنة . فعلى الرواية الأولى كان أشعب يوم الدار ابن خمس عشر سنة على الأقل ، لأنه كان ممن يحمل السيف ويقاتل ، فيكون عمره مائة ونيفا وأربعين سنة . وعلى الرواية الأخيرة جاز أن يكون ابن خمس سنين يومئذ ، فيكون عمره مائة وثمانيا وعشرين سنة ، وهو أقل ما يمكن . تعقيب للمؤلف

وحكى محمد النوفلى قال : حديث النوفلى عنه وقد رآه يدخل على المهدى

رأيت أشعب وقد أرسل إليه المهدى . فقُدم به عليه . قال : فرأيته قد دخل بعضُه فى بعض كأنه فرخ ، وعليه جُبة وشى وقَلَنْسية وَشْى ، وقد لبس على الجبة قميصاً سملا[1] لترى الجبة تحته . فقال له رجل : يا أشعب ، هب لى قلنسيتك هذه . فقال له : يا بارد ، أنت لم تُرد القلنسية وإنما أردت أن يقال : هو أطمع من أشعيب !

(١) السمل : الثوب الخلق البالى .

نوادر من طمعه

وحكى أن أشعب كان يقول : ما زُفت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتى ورفعت سترى طَمعاً أن تُهدى إلىّ .

من علمه

وذكر أن أشعب كان يقرأ القرآن ، وكان حسن الصوت ، وروى شيئاً من الحديث .

قصته مع أمه وقد وهب له غلام

وحكى أن أشعب قال : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عنى الحرص والطلب إلى الناس . فمررت بالقُرشيين وغيرهم فلم يُعطنى أحد شيئاً ، فجئت إلى أمى فقالت : مالك جئت خائباً ؟ فأخبرتها . فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقبل ربك . فرجعت فقلت : أقلنى . ثم رجعت فلم أمرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطانى .

ووُهب لى غلام فخفت أن أخبرها فتموت فرحاً ، فقلت : وهبونى غين . فقالت : أى شىء غين ؟ قلت : لام . فقالت : أى شىء لام ؟ فقلت : ميم . فقالت : أى شىء ميم ؟ فقلت : غـلام . فغشى عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

هو مع الواقدى فى دينار وجده

وحكى الواقدى قال : كنت مع أشعب نريد المصلى ، فوجد ديناراً فقال : يا بن واقد . فقلت : ما تشاء؟ فقال : وجدت ديناراً فما أصنع به ؟ فقلت: عرِّفه . فقال : أمُّ العلاء إذن طالق . قلت : فتصنع به ماذا ؟ فقال : أشترى به قطيفة فأعرِّفها .

الأصمعى عن صوته

وحكى الأصمعى قال : رأيت أشعب يغنى ، وكأن صوتَه بلبل .

نادرة له مع زياد ابن عبيد الله

وذكر أنه تغدّى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثى ، وكان والياً على المدينة ومكة من قبل المنصور ، وكان بخيلا على الطعام ، فأتى بمضيرة ، فقال أشعب للخباز : ضَعها بين يدىّ . فوضعها بين يديه . فقال زياد: من يصلى بأهل السجن ،

فقال : ليس لهم إمام . فقال : أدخلوا أشعب يصلِّى بهم . فقال : أو غير هذا أصلح الله الأمير ! أحلف ألّا آكُلَ مضيرة أبداً ! .

إخراجه يده من خرق بابه

وذُكر أن أشعب كان له خَرق فى بابه ، وكان ينام فيخرج يده من الخرق يطمع أن يجىء إنسان فيطرح فى يده شيئاً ! .

هو ومروان ابن أبان بن عثمان بن عفان

وذُكر أن أشعب صلّى يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان بن عفّان ، وكان مروان عظيمَ العجيزة فأفلتت منه ضَرطة عند نهوضه ، فانصرف أشعب من الصلاة ، فوهَم الناسُ أنه هو الذى خرجت منه الضرطة . فلمّا انصرف مروانُ إلى منزله جاءه أشعب فقال له : ألدية ؟ قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التى تحمّلتها ، وإلا والله شهرتها عنك ! فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

هو وإسماعيل بن جعفر فى جدى أهداه إليه

وذُكر أنه غذّى جدياً بلَبَن أُمه وغيرها ، حتى بلغ غاية ، ومن مبالغته فى ذلك أنه قال لزوجته : تُرضعينه بلَبنك . ففعلت ؛ ثم جاء به إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علىّ بن الحسين بن على رضى الله عنهم فقال : تالله إنه لابنى ، قد رَضِع بلبن زوجتى ، وقد حبوتُك به ، ولم أر أحداً يستحقه سواك . فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن فأمر به فذُبح وسُمِّط ، فأقبل عليه أشعب فقال : المكافأة ؟ فقال : ما عندى والله اليوم شىء ، ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك ، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد رضى الله عنه ، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه . ثم قال : أخلنى . قال : ما معنا أحد يسمع ولا عليك عين . فقال : وثب إسماعيل ابنك على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ! ويلك ! وفيمَ ؟ وتريد ماذا ؟ قال : أما ما أريد فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ، ولا يسمع هذا سامع بعدك أبداً . فجزاه خيراً وأدخله منزله ، وأخرج له مائتى دينار وقال : خذ هذه ولك عندنا ما تُحب . وخرج إلى إسماعيل ، وهو لا يُبصر ما يطأ عليه ، فإذا هو مسترسل فى مجلسه ، فلما رأى وجه أبيه نَكِره وقام

إليه . فقال : يا إسماعيل ، فعلتها بأشعب وقتلت ولده ، فاستضحك وقال : جاءنى بجَدْى من صفته كذا ، وخبّره الخبر ، فأخبره أبوه بما كان منه وصار إليه . فكان جعفر رضى الله عنه يقول لأشعب : رُعتنى راعك الله . فيقول : روعة أبنك فى الجَدى أكبر من روعتك أنت فى المائتى الدينار .

طلبه إلى امرأة أن تكبر طبق خوص

وذُكر أن أشعب وقف على امرأة تعمل طبق خوص . فقال : كبّريه . فقالت : لم ، أتريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريه إنسانٌ فيهدى إلىّ فيه هدية فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً .

بخله على صديقه

وذُكر أن صديقة أشعب قالت له : هب لى خاتمك أذكرك به . قال : أذكرينى أنى منعتُك إياه فهو أحبُّ إلىّ !

هو وصبيان أمرهم بالذهاب إلى بيوت ابن عثمان

وذُكر أن أشعب قال مرة للصبيان : هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا . فمضوا فلما أبطأوا عنه أتبّعهم يحسب أن الأمر قد سار حقاً كما قال .

مابلغ من طمعه

وذُكر أنه قيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت أثنين يتسارّان قط إلا قدّرت أنهما يأمران لى بشىء .

بينه وبين أمه فى رؤيا رآها

وذُكر أن أشعب قال لأمه : رأيتك فى النوم مطليّة بعسل وأنا مطلىّ بعذرة ! فقالت : يا فاسق ! هذا عملك القبيح أراكه الله عز وجل . قال : إن فى الرؤيا شيئاً آخر . قالت : وما هو ؟ قال : رأيتنى ألطعك[1] وأنت تلطعيننى . فقالت : لعنك الله يا فاسق !

هو وامرأة سألته أن يهدى إليها

وذُكر أن أشعب كان يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عُرف ذلك ، فقالت لها جاراتها : لو سألته شيئاً فإنه مُوسر . فلما جاء قالت له : إن جاراتى يقلن لى : مايصلك بشىء . فخرج نافراً من منزلها ، فلم يقربها شهرين . ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماء ، فقالت : أشرب هذا من الفزع فقال : أشربيه أنت من الطمع !.

(١) اللطع : اللحس ، لطع الشىء بلسانه : لحسه .

وذُكر أنه دخل أشعب يوماً على الحسين بن على — رضى الله عنهما — وعنده أعرابى مختلف الخلقة قبيح المنظر ، فسبّح أشعب حين رآه ، وقال للحسين : بأبى أنت وأمى ، أتأذن لى أن أسلح عليه ؟ فقال الأعرابى : أفعل ما شئت . ومع الأعرابى قوس وكنانة ، ففوّق نحوه سهماً وقال : والله لئن فعلت لتكوننّ آخر سلحة سلحتَها ، فقال: أشعب للحسين : جُعلت فداك ، قد أخذنى القُولنج . هو وأعرابى بين يدى الحسين

وذُكر أن أشعب كان يغنّى ، وله أصوات قد حُكيت عنه ، وكان أبنه عبيدة يغنيها ، فمن أصواته : من أصواته

أرونى من يقوم لكم مقامى إذا ما الأمر جلّ عن الخطابِ
إلى من تفزعون إذا حَثوْتم بأيدكم علىّ من التراب

وذُكر أن أشعب قيل له : أرأيت أحداً أطمع منك ؟ قال : نعم كلب تبعنا أربعة أيام على مَضغ العلك . أطمع من أشعب

وحَكى أشعب قال : بلغنى أن عبد الله بن عمر ، فى مال له يتصدق بثمرته ، فركبت إليه ناضحاً[1] ووافيته فى ماله ، فقلت : يا أبن أمير المؤمنين ، ويا أبن الفاروق ، أوقر لى هذا تمراً . فقال : أمِن المهاجرين أنت ؟ فقلت : اللهم لا ، قال : أفمِن التابعين بإحسان؟ فقلت : أرجو ، فقال: إلى أن يحق رجاؤك. قال : أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا. قال : فعلام أُوقر لك بعيرك تمراً ؟ قلت : لأنى سائل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أتاك سائل على فرس فلا تردّه . قال : لو شئت أن أقول لك : إنه قال لو أتاك على فرس ولم يقل أتاك على بعير لفعلنا[2] ، ولكنى أمسك عن ذلك لاستغنائى عنه ، لأنى قد قلت لأبى عمر أبن الخطّاب : إن أتانى سائل على فرس يسألنى أن أعطيه . فقال : إنى سألت هو وابن عمر فى مال الصدقة

(١) الناضح : البعير يستقى عليه .
(٢) فى التجريد والأغانى (لقلنا) ولعل ما أثبتناه أولى .

رسول الله صلى الله عليه وسلّم عما سألتنى عنه ، فقال : لى . نعم : إذا لم تصب راجلا ، ونحن أيها الرجل نُصيب رجّالة ، فعلام أُعطيك وأنت على بعير ! فقلت له : بحق أبيك الفاروق ، وبحق الله عز وجل ، وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما أوقرته لى تمراً ، فقال لى عبد الله : أنا مُوقره لك تمراً ، ووحق الله وحق رسوله صلّى الله عليه وسلّم لئن عاودت أستحلافى لا بررت لك قسَمك،ولو أنك أقتصرت على استحلافى[1] بحق أبى علىّ فى تمرة أُعطيكها لما أنفذت قسمك ، لأنى سمعت أبى يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدى بيثرب ولا يبر أحد قسم مستحلفه إلا أن يَستحلفه بحق الله وحق رسوله . ثم قال للسودان فى ذلك المال[2] : أوقروا بعيره تمراً ، ولما أخذ السودان فى حشو الغَرائر قلت : إن السودان أهل طرب و إن أطربتهم أجادوا حشو غرائرى . فقلت : يا ابن الفاروق ، أتأذن لى فى الغناء فأُغنّيك ؟ فقال لى : أنت ورأيك[3] . فاندفعت فى النّصب ، فقال لى : هذا الغناء الذى لم نزل نعرفه ، ثم غنّيته لطويس المغنى صوتاً آخر وهو :

خليلى ما أخفى من الحب ناطق ودمعى بما قلت الغداة شهيد[4]

قال لى عبد الله : ياهناه ، لقد حدث فى هذا الغناء[5] مالم نكن نعرفه . قال: ثم غنّيته لابن سريج بقوله :

يا عين جودى بالدّموع السفاح وأبكى على قَتلَى قُرَيش البِطاح

---

(١) فى التجريد (على إحلافك) وهذه رواية الأغانى .

(٢) فى التجريد (فى تلك الحال) وهذه عن الأغانى .

(٣) فى الأغانى (أنت وذاك) وهذه رواية التجريد .

(٤) رواية الأغانى :

خليلى ما أخفى من الحب باطل ودمعى بما قلت الغداة شهير

(٥) رواية الأغانى : (فى هذا المعنى) .

تسوره على سالم بن عبد الله طمعاً فى طعامه

فقال : ويحك يا أشعب ، هذا يَحْيِقُ الفؤاد — أراد يحرق الفؤاد — ، لأنه كان ألثغ لا يبين الراء ولا اللام . قال أشعب : فكان بعد ذلك لا يرانى إلا أستعادنى هذا الصوت .

وذُكر أنه قيل لأشعب : إن سالم بن عبدالله بن عمر قد مَضى إلى بُستان فلان ومعه طعام كثير . فبادرَ حتى يلحقه، فأغلق الغلامُ البـاب دونه ، فتسوَّر عليه ، فصاح به سالم ، و يلك ! بناتى . فناداه أشعب : لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق و إنك لتعلم ما نريد . فأمر بالطعام فأُخرج إليه منه ما كفاه .

قصته مع السيدة سكينة والحجام

وذكر أن سكينة بنت الحسين غضبت على أشعب فى شىء خالفها فيه ، فحلفت لتحلقنَّ لحيته ، ودعت الحجّام وقالت له : أحلق لحيته ، فقال له الحجّام : أنفخ شدقيك حتى أتمكن منك . فقال يا ابن البظراء ، أمرتْك أن تحلق لحيتى أو تُعلمنى الزَّمر ! أخبرنى عن امرأتك إذا أرادت أن تحلق حِرها تنفخ أشداقه ! فغضب الحجّام وحلف لا يحلق لحيته ، وانصرف . فبلغ سكينةَ الخبر وما جرى بينهما ، فضحكت وعفت عنه .

تعقيبه على وليمة زياد بن عبد الله

وذُكر أن زياد بن عبد الله الحارثى كان من أبخل خلق الله ، فأولم وليمة ليطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون شيئاً إلا تعللاً لعلمهم به ، فقُدِّم فيما قُدِّم جَدى مشوى فلم يعرض له أحد ، وجعل يردِّده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه ، إلى أن انفضت الوليمة . فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك ، فقال : امرأته طالق إن لم يكن هذا الجَدى بعد أن ذُبح وشُوى أطول حياة وأكثر عمراً منه قبل الذبح ! فضحك الرجل ، وسمعها زياد فتغافل .

من نوادر زياد فى البخل

وذكر أن كاتباً لزياد بن عبد الله هذا أهدى إليه طعاماً ، فأتى به وقد

تغدّى ، فغضب وقال : ما أصنع به . وقد أكلت ، ادعوا أهل الصُّفة ، يأكلونه فبعث إليهم . وسأل كاتبه فيم دعا أهل الصفة ؟ فعرّف . فقال الكاتب : عرفوه أن فى السلال أخبصة وحلوى ودجاجاً وفراخاً . فأخبر بذلك . فأمر بكشفها ، فلما رآها أمر برفعها ، فرفعت وجاء أهل الصفة فأعلم بهم . قال : أضربوهم عشرين عشرين درة ، واحبسوهم فإنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذون المصلين[1] ، فـكُلِّمَ فيهم . فقال : أحلفوهم ألّا يعاودوا وأطلقوهم .

هو وأبان وأعرابى

وذُكر أن أبان بن عثمان بن عفان كان من أهزل الناس ، فبينا هو ذات يوم وعنده أشعب إذ أقبل أعرابى ومعه جمل له . والأعرابى أزرق أشقر أزعر غضوب يتلظّى كأنه أفعى ، ويبين الشرُّ فى وجهه ، مايدنو منه أحد إلا شتمه ونهره . فقال أبان : هذا والله من البادية[2] ، ادعوه لى . فدُعى له وقيل له : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ، فأتاه وسلّم عليه ، وسأله أبان عن اسمه ونسبه ، فانتسب له . فقال : حيّاك الله يا خالى ، حبيب ازداد حُبّا . فجلس فقال له : إنى فى طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة ، وهذه الهامة واللون والصولة والورك والأفخاذ[3] ، فالحمد لله الذى جعل ظفرى به من عند من أحبه ، أتبيعه ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال : فإنى قد بذلت لك فيه مائة دينار . وكان الجمل يساوى عشرة دنانير ، فطمع الأعرابى وسُرّ وانتفخ وبان السرور والطمع فى وجهه ، وأقبل أبان على أشعب وقال له ويلك : إن خالى هذا من أهلك وأقاربك يعنى الطمع ، فأوسع له مما عندك ، فقال نعم بأبى أنت وأمى وزيادة ، فقال له أبان يا خال : إنما زدتك فى الثمن على بصيرة . على أن[4] الجمل يساوى ستين ديناراً ، ولكن بذلتُ

(١) فى التجريد (المسلمين) وهذه رواية الأغانى .

(٢) فى التجريد . (البابة) والتصويب عن الأغانى .

(٣) رواية الأغانى (القامة) واللون والصدر والورك والأخفاف .

(٤) رواية الأغانى : (وإنما الجمل) .

لك مائة دينار لقلة النقْد عندنا ، وإنى أعطيك به عروضاً تساوى مائة . فزاد طمع الأعرابى وقال : قبلت ذلك أيهـا الأمير ، فأسرَّ إلى أشعب فأخرج شيئاً مغطًّى ، فقال له : أخرج ما جئت به . فأخرج جَرد عمامة خزٍّ خَلِقة تساوى أربعة دراهم . فقال له : قوّمها يا أشعب ، فقال : عمـامة الأمير تعرف به ، ويَشهد فيها الأعياد والجُمع ، ويَلقى فيها الخلفاء ، خمسون ديناراً . فقال : ضعها بين يديه . وقال لابن ربيح[1] : أثبت قيمتها ، فكتب ذلك . ووضعت العمامة بين يدى الأعرابى ، فكاد يدخل بعضه فى بعض غيْظاً ولم يقدر على الكلام ، ثم قال له : هاتِ قلنسوتى ، فأخرج قلنسوة طويلة خَلِقة قد علاها الوسخ والدُّهن وتخرّقت ، تساوى نصف درهم . فقال : قوّم ، فقال : قلنسوة الأمير تعلو هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ، ثلاثون ديناراً ، فأثبت ذلك ووُضعت القَلنسوة بين يدى الأعرابى فتربَّد وجهه وجحظت عينـاه وهَمَّ بالوثوب ثم تماسك ، وهو مُتقلقل . ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خُفَّين خَلِقين قد نقبا وتقشرا . فقال : خُفَّا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبى صلى الله عليه وسلم ، أربعون ديناراً ، فقال : ضعهما بين يديه ، فوضعهما ثم قال للأعرابى : أُضمم إليك متاعك . وقال لبعض الأعوان اُذهبْ فخُذ الجمل . وقال لآخر : اُمض مع الأعرابى فاقبض ما بقى من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً ، فوثب الأعرابى وأخذ القماش وضرب به وجوه القوم ثم قال له : أتدرى أصلحك الله من أى شىء أموت ؟ قال : لا . قال : إذ لم أدرك أباك عثمان فأشترك[2] والله فى دمه ، إذ قد وَلد مثلك ! ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان حتى سقط ، وضَحك كل من كان معه . وكان الأعرابى بعد ذلك إذا لقى أشعب يقول له : هلم إلىّ يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على قيمة المتاع يوم قُوّم ! فيموت أشعب منه .

---

(١) رواية الأغانى : (زبنج) . (٢) رواية التجريد : « فأشرك » .

هو وعجوز عند موته

وذُكر أنه كان بالمدينة عجوز شديدة العين ، لا تنظُر إلى شيء تستحسنه إلا عانته[١] ، فدخلت على أشعب وهو فى الموت وهو يقول لبُنيَّته : يابنيّة : إذا متُّ فلا تندبينى والناس يسمعونك فتقولين : يا أبتاه أندبك للصوم والصلاة ، يا أبتاه أندبك للفقه والقراءة ، فيكذبك الناس و يلعنوننى ! والتفت أشعب فرأى المرأة فغطَّى وجهه بكمِّه وقال لها : بالله يا فلانة إن كنتِ استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلِّ على محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تهلكيني . فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ، وفى أى شيء أنت مما يستحسن ؟ أأنت فى آخر الرمق ، قال : قد علمت ولكن قلت : لا يكون قد استحسنت خفة الموت علىّ وسهولة النزع فيشتدُّ ما أنا فيه . فخرجت المرأة من عنده وهى تشتمه ، وضحك كل من حضر من كلامه ثم مات .

(١) رواية التجريد « عانت » .

أخبار عويف القوافى

نسبه وسبب تلقيبه

هو عُويف بن معاوية بن عُقبة بن حِصن بن حُذيفة بن بَدر بن عمرو ابن جُؤية بن لَوْذان بن ثَعلبة بن عدىّ بن فَزَارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث ابن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. وهو شاعر مُقِلٌّ من شُعراء الدولة الأُموية من ساكنى الكوفة، وإنما قيل له: عويف القوافى، ببيت قاله، وهو:

سأَكذِب من قدكان يزعم أننى ... إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيَا

فوقف على جرير بن عبد الله، فقال:

أصبُّ على بَجيلة من شَقاها ... هجائى حين أدركنى المَشيبُ

فقال له جرير: ألا نشترى منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى. قال: بكَم؟ قال: بألف درهم وبرذون. فأمر له بما طلب، فقال:

لولا جرير هلكت بجيلة ... نِعم الفتى وبئست القبيلة

فقال له جرير: ما أراهم نجَوا منك بعد.

هو والوليد بن عبد الملك

وذُكر أنه لم يكن رجل من خلفاء بنى أمية أنفس على قومه ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك بن مروان، فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه، وأذن للشعراء وكان أول من برز من بين يديه عُويف القوافى الفزارى فاُستأذنه فى الإنشاد، فقال: ما أبقيتَ لى بعد ما قلت لأخى بنى زهرة؟ قال: وما قلتُ له بعد[1]

---

(١) فى غير التجريد: «مع».

ما قلتُ لأمير المؤمنين . قال : ألست الذى تقول له ؟

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه إن الندى من بعد طلحةَ ماتا
إن الفَعال إليك أطلق رَحــله فبحيث بِتَّ من المنـازل باتا

أولست الذى تقول له :

إذا ما جاء يومك يا ابن عوف فلا مَطرت على الأرض السماء
ولا ســار العزيز[1] بغُنم جيش ولا حَمَلت على الطُّهر النســاء
تساقَى النـاس بعدك ياابن عوف ذَريع الموت ليس له شــفاء

ألم تقُم عليك الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك بنافعة أبداً ، أخرجوه عنى . فلما أُخرج ، قال له القرشيون والشّاميون : وما الذى أعطاك طلحة حين أُستخرج هذا منك؟ فقال : أما والله لقد أعطانى غيرُه أكثر من عطيّته ، ولـكن لا والله ما أعطانى أحدٌ قطُّ أحلى فى قلبى ولا أبقى شُـكْراً ولا أجدر إلّا أنساها ـ ما عرفتُ الصلات ـ من عطيته . قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدمت المدينة ومعى بضيْعة لى لا تبلغ عشرة دنانير أريد أن أبتاع بها قَعوداً من قِعدان الصدقة ، فإذا برجل بصحن السوق على طِنفسة قد طُرحت له والناس حوله ، و إذا بين يديه إبل مَعلوفة[2] فظننت أنه عامل السوق فسـلمت عليه فأثبتنى وجهلتُه ، فقلت: إى رحمك الله ، هل أنت مُعينى ببصرك على قَعود من هذه القِعدان تبتاعه لى ؟ فقال : نعم ، أو معك ثمنه ؟ فقلت : نعم . فأهوى بيده إلىّ فأعطيته بضيْعتى ، فرفع طنفسته وألقاها تحتهـا ومكث طويلا ، فقمت إليه فقلت : إى رحمك الله ، انظر فى حاجتى . فقال : ما منعنى منك إلا النسيان ،

(١) فى غير التجريد : « البشير » .
(٢) فى غير التجريد : « مقعودة » .

أمعك حبل ؟ قلت : نعم . قال : هاكَ ذى أفرجوا ، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبل التى بين يديه ، وقال : اقترن هذه وهذه وهذه ، فما برحت حتى أمر لى بثلاثين بكرة ، أدنى بكرة فيها ، ولا دنية فيها خير من بضاعتى . ثم رفع طنفسته فقال : شأنك ببضاعتك فاُستعن بها على قرض[1] ترجع إليه . فقلت : أى رحمك الله أتدرى ماتقول؟ فما بقى عنده إلا من نهرنى وشتمنى ، ثم بعث معى نفراً فأطردوها حتى أطلعوها فى رأس القنينة ، فوالله لا أنساه ما دمت حيًّا أبداً .

تعرضه لعمر ابن عبد العزيز

وحكى أبو بُردة بن أبى موسى الأشعرى قال: حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفت معه وعليه عمامة قد سَدلها من خلفه ، فما علمت به حتى اُعترضه رجل على بعير فصاح به :

أجبنى أبا حفص لقيت محمداً ... على حوضه يَسقيك منه دِراكا

فقال له عمر : لبَّيْك ووقف ، فوقف الناس معه ، ثم قال له : فمه ؟ فقال :

وأنت اُمرؤ كلْتَا يديك مفيدة ... شمالك خيرٌ من يمين سِواكا

فقال : ثم مه ؟ فقال :

بلغت مدى اُلمجرين قبلك إذ جروا ... ولن يُدرك المُجرون بعدُ مداكا

فجدّاك لا جدّان أكرم منهما ... هناك تناهى[2] المجد ثم هناكا

فقال له عمر : ألا أراك شاعراً ، مالك من حق عندى ، قال : لا ، ولكنى سائل وابن سبيل وذو مهمة . فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال : أَعطه فَضل نفقتى ، فإذا هو عُويف القوافى .

---

(١) فى غير التجريد : « من » .

(٢) التجريد : « تباهى » .

شعره فى عيينة بن أسماء

وذكر أن عويف القوافى كانت أخته عند عُيينة بن أسماء بن خارجة فطلّقها ، وكان عويف مراغِماً لعيينة . وقال : الُحرة لا تطلّق لغير ما بأس . فلما حَبس الحجاجُ بن يوسف عيينةَ وقيّده ، وقال عويف :

مُنــــع الرقاد فما يُحسُّ رقادُ ... مما شجاك[1] ونامت العُــوَّادُ

خبر أتانى عن عُيينة مُــــوجع ... ولمثــــله تتصدّع الأكباد

بلغ النفــــوس بلاؤها فكأننا ... موتى وفينــا الروح والأجساد

لمّا أتانى عن عُيينــــة أنه ... عانٍ تظاهر فوقه الأقيــاد

نَحلت له نفسى النصــيحة إنه ... عنـد الحفائظ تَذهب الأحقاد

وذكرت أى فتى يسـد مكانه ... بالرِّفد حــينَ تقاصر الأرفاد

أم من يُهين لنــا كرائم ماله ... ولنــــا إذا عدنا إليه معاد

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفَرج أخبار عويف قوله :

ألَمّت خنــــاس وإلمـــامها ... أحاديثُ نفس وأحــــلامها

---

(١) فى غير التجريد : « خبر أتاك » .

أخبار عبد الله بن جحش

ثم ذكر أبو الفرج عبدَ الله بن جحش فاُخترت من أخباره حكاية أوردها ، زواجه من صهباء
وهى أنه كان بالمدينة جارية يقال لها : صهباء ، من أحسن الناس وجهاً ، وكانت من هذيل ، فتزوجها اُبن عم لها ، فمكثت معه حيناً لا يقدر على وطئها من شدة ارتتاقها ، فأبغضته فطالبته بالطلاق فطلّقها ، ثم أصاب الناس مطر شديد فى الخريف فسال منه العقيق سيلا عظيما ، وخرج أهل المدينة وخرجت صَهباء معهم ، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابه فى نُزهة ، فرآها واُفترقا ، ثم مضت إلى أقصى الوادى واُستنقعت فى الماء ، وقد تفرق الناس وخفُّوا ، فاُجتاز بها عبد الله بن جحش فرآها ، فتهالك عليها وهام بها ، وكان بالمدينة اُمرأة تدُل على النساء يقال لها قطنة ، وكانت تداخل القرشيات وغيرهن ، فلقيها عبد الله اُبن جحش فقال لها : اُخطبى لى على صهباء . فقالت : قد خطبها عيسى بن طلحة اُبن عبيد الله . فأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه . فشتمها اُبن جحش وقال لها : كل مملوك لى حر ، لئن لم تحتالى فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضربة بالسيف ، وكان مقداماً جسوراً . ففرقت منه . فدخلت على صهباء وأهلها فتحدثت معهم ، ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء : ما باله فارقها ؟ فأخبرتها خبرها ، وقالت : لم يقدر عليها وعجز عنها . فقالت لها : ولأخت صهباء ، إن هذا ليعترى كثيراً من الرجال ، فلا ينبغى أن تقدموا فى أمرها إلا على من تختبرونه ، وأما والله لو كان اُبن جحش لصهباء لثقَبها ثَقب اللؤلؤ ولو رُتقت بحجر . ثم خرجت من عندهم . فأرسلت صهباء إلى عمتها : مُرِى اُبن جحش فليخطبنى . فمَضى فخطبها فأنعمت له

وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة ، وأبت هى إلا ابن جحش ، فتزوّجته ودخل بها وافتضّها . فأحب كل واحد منهما صاحبه ، فقال فيها الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن جحش وهو :

نعم الضجيع إذا النجوم تغوّرت   بالغور أولاها على أخراها
عذب مقبّلها وثيرٌ ردفها   عبلٌ[1] شواها طيِّب مجناها
صهباء[2] يطويها الضجيع لحسنها[3]
طى الحمالة ليِّن متناها
لو يستطيع ضجيعها لأجنّها فى الجوف
حبَّ نسيمها[4] وجناها
يا دار صهباء التى لا أنتهى   عن ذكرها أبداً ولا أنساها !

---

(١) التجريد : « عدب » .
(٢) غير التجريد : « صفراء » .
(٣) « « : « لصلبها » .
(٤) « « : « وفشاها » .

أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، والربيـــع — على ما يدّعيه أهلُه — ، ابن يونس بن أبى فروة ، وآل أبى فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط وُجد منبوذاً وكفله يونس بن أبى فروة ورباه ، فلما خدم أبا جعفر المنصور أدعى إليه . نسبه وشىء عنه

ويكنى عبد الله : أبا العباس ، وكان شـــاعراً مطبوعاً مُحسناً ، جيد الصنعة فى الغناء نادرها ، حسن الرواية ، حــلو الشعر ظريفه ، ليس من الشعر الجزل ولا المرذول ، ولـكنه حسن مطبوع من أشعار المُترفين وأرباب النعم . منزلته فى الشعر

وذُكر أنه كان كثير المُلازمة للاصطباح لا يفوتُ ذلك إلا يوم جمعة وصوم شهر رمضان ، ومن قوله فيه :

ومُســتطيل على الصَّهباء باكرها فى فتيةٍ باُصطباح الرّاح حُذّاقِ
فـكل شىء رآه ظنـــــه قدحًا وكلُّ شىء رآه ظنّه الســاقِي

وحكى عبد الله بن العباس الربيعى قال : كنت جالساً على دِجلة فى ليلة من الليالى ، فأخذت دواة وقرطاساً وكتبت شعراً حضرنى وقلته فى ذلك الوقت : هو فى شعر أعيا عليه

مـــــــلّ وكـنت منتظراً فاُصبر فهذا جرائر القَـــدرِ[1]
لعلنـــا أن نديل من زمن فرّقنـــا والزمان ذو غِـيرَ

---

(١) هكذا البيت فى التجريد وصدر غير مستقيم وزناً وعجزه فى الأغانى غير مستقيم ، ورواية الأغانى هى :

أخلفك الدهــر ما تنظـــره فاصبر فذا جــل أمر القدر

ثم أرتج عليّ فلم أدر ما أقول ، حتى يئست من أن يجيئني ، فالتفتُّ فرأيت القمر وكانت ليلة تمامه ، فقلت :

فانظر إلى البـــدر فهو يشبهه إن كان قد ضنّ عنــك بالنظر

ثم صنعت فيه لحناً

شعره فى يوم دجن الواثق

وحكى خالد بن حمــدون قال :

كنّا عند الواثق فى يوم دَجن فلاحَ برق فٱستطار ، فقال : قولوا فى هذا شيئاً . فبَدرهم عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع فقال :

أعِــنّى على بارقٍ لامــــع خفىٍّ كلَمْحك بالحــاجبِ

كأنّ تألّقــــه فى السماء يدَا كاتب أو يدا حاســـبِ

وصنع فيه لحناً شَرِب عليه الواثق بقيّة يومه ، وٱستحسن شـعرَه ومعناه وصنعته ، ووصل عبد الله صلةً سنيّة .

شعره للمتوكل حين غضبت عليه قبيحة

وذُكر أنّ قَبيحة أم المعتز غضبت على سـيدها المتوكل وهاجرته ، فدخل الجلساء والمغنّون ، وفيهم عبدُ ٱلله بن العبّاس الرّبيعى ، وكان قد عَرف الخبر ، فقال هذا الشعرَ وغنّى فيه :

لستَ منّى ولستُ منــك فدَعى وٱمض عنّى مُصاحباً بســلامِ

لم تجد عـــلّة تجَنَّى بها الذنـــبَ فصارتْ تعتـلّ بالأحـلام

وإذا ما شــكوتُ ما بىَ قالت قد رأينا خِلاف ذا فى المنـام

فطرب المتوكّل وأمر له بعشرين ألف درهم ، وقال له : إنّ فى حيـاتك يا عبد الله لأُنْساً وجمالا وبقاء للمروءة والظَّرف .

هو وجلة من المغنين والشعراء عند أبى عيسى

وحكى محمد بن حسن قال :

كنا عند أبى عيسى بن الرشيد فى زمن الربيع ، ومعنا مخارق وعَلُّويه وعبد الله ابن العباس . ومحمد بن الحارث بن بُسْخَنَّر ، ونحن مُصطبحون فى طارمة مضروبة

على بُستانه ، وقد تفتّح فيه وُرود وياسمين وشقائق ، والسماء مُغيمة غَيْماً مُطبِقاً ، وقد بدأت ترش رشًّا ساكناً ، فنحن فى أكمل نشاط وأحسن يوم إذ خرجت قيّمة دار أبى عيسى فقالت : ياسيدى ، قد جاءت عَساليج . فقال : تخرج إلينا ، فليس بحَضرتنا مَن نَحتشمه ، فخرجت إلينا جارية مُشكلة حُلوة حَسنة العقل والهيئة والأدب ، وفى يدها عود ، فسلمت ، فأمرها أبو عيسى بالجلوس ، فجلست ، وغنّى القوم حتى انتهى الدور إليها ، فظننا أنها لا تَصنع شيئاً ، وخِفنا أن تهابنا فتحصر . فغنّت غناء حسناً مُطرباً ولم تدع أحداً ممن حَضر إلا غنت صوتاً مِن صنعته وأدّته على غاية الإحكام . وطربنا وأستحسنا غناءها ، وخاطبناها بالأستحسان ، وألحّ عبدُ الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمِزاح معها ، فقال له أبو عيسى عَشقتها وحياتى يا عبد الله . فقال : لا والله ياسيدى وحياتك ماعشقتها . ولكنى استملحت غناءها ، وكل ما شاهدت منها من منظر ومن شكل وعقل وعشرة . فقال أبو عيسى : ويلك ، فهذا والله هو العشق وسببه ، ورُب جِد جَرّه اللعب . وشربنا ، فلما غلب النبيذ على عبد الله غنّى أهزاجاً قديمة وحديثة وغنّى هزجاً فى شعر قاله فيها لوقته ، فما فَطِنَ له إلا أبو عيسى وهو :

نطق السُّكر بسرِّى فبدا ... كم ترى المكتومَ يُخفى لا يَصِح
سحر عينيك إذا ما رنتا ... لم يَدَعْ ذا صَبوة أو يفْتَضِح
ملكت قلبى فأمسى علقاً ... عندها صبًّا بها لم يسْتَرِح
بجَمال وغناء حسن ... جلّ عَن أن ينْتقِيهِ المقترح
أورث القلب هموماً ولقد ... كنت مسروراً بمرآهُ فرح
ولكم مُغتبق همًّا وقد ... باكر اللهو بكُوز المُصْطبح

فقال له أبو عيسى : فعلتها والله ياعبد الله ، ونعر[1] طرباً وشرب على الصوت .

---

(١) فى غير التجريد : « وطار » .

قال له : صح والله قولى لك فى عَساليج ، وأنت تكابرنى حتى فَضحَك السُّكرُ ! فجحد وقال : هذا غناء كنت أرويه ، فحلف أبو عيسى أنه ما غناه ولا قاله إلا فى يومه ، وقال له : أحلف بحياتى أن الأمر ليس هو كذلك ، فلم يفعل . فقال له أبو عيسى : والله والله لو كانت لى لوهبتها لك ، ولكنها لآل يحيى بن مُعاذ ، و والله لئن باعوها لأملكنّك إياها ولو بكل ما أملك ، و وحياتى لتنصرفن قبلك إلى منزلك . ثم دعا بحافظتها وخادم من خدمه و وجّه بها معهما إلى منزله . والتوى عبد الله قليلاً وتجلّد وجاحد[1] أمره ، ثم انصرف واتصل الأمر بينهما بعد ذلك واشترتها عمّته رُقية بنت الفَضيل[2] بن الربيع ، من آل يحيى بن معاذ ، وكانت عندهم حتى ماتت .

وحكى عبد الله بن العباس قال :

دعانى الواثق فى يوم نَيْرُوز ، فلما دخلت عليه غنيتُه فى شعر قلته ، وصنعت فيه لحناً ، وهو :

هى للنـــيروز جاما ومُـــداماً ونَدامى
تحمدون[3] الله والوا ثق هارونــ الإماما
ما رأى كِسرى أنو شر وان مثــــل العام عاما
نَرجساً غضًّــــا ووردا وبهـــاراً وخُـزامى

فطرب واستحسن الغناء وشرب عليه حتى سكر ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

وحكى حمدون بن إسماعيل قال :

---

(١) فى غير التجريد : « وجاحدنا » .
(٢) « « : « الفضل » .
(٣) « « : « يحمدون »

دخلت على عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وخادم له يَسقيه ، و بيده عُود وهو يغنى :

إذا اصطبحتُ ثلاثا وكان عُودى نديمى
والكأس تَضحك[١] ضحكا من كف ظَبْىٍ رَخيم
فما علىّ طريق لطارقات الهُموم

فما رأيت أحسن ما حكى[٢] حاله فى غنائه ، ولا سمعت أحسن ما غنى[٣]

وحكى عبد الله بن العباس قال :

لقينى سوار بن عبد الله القاضى ، وهو سوار الأصغر ، فأصغى إلى ، وقال : إن لى إليك حاجة : فأتنى فى خَفِىّ . فجئته فقال : لى إليك حاجة قد أنست بك بها[٤] ، لأنك لى كالولد ، فإن شرطت لى كِتمانها أفضيت إليك بها . قلت : ذاك للقاضى علىّ شرط واجب . فقال لى : إنى قلت أبياتا فى جارية لى أميل إليها وقد قلتنى وهجرتنى وأحببت أن تصنع فيها لحنا وتُسمعنيه ، و إن غنيته وأظهرته بعد ألا يعلم أحد أنه شعرى فلست أبالى ، أفتفعل ذلك ؟ قلت : حبا و كرامة للقاضى . قال : فأنشدنى سوّار لنفسه .

سَلَبَتْ عِظامى لَحمَها فتركْتها عوارى فى أَجْلادِها تتكسّر
وأخليتُ منها مُخَّها فتركْتُها أنابيبَ فى أجوافها الريح تَصْفر
إذا سمعت ذكر[٥] الفراق تَقعقعت
مفاصلُها من هَول ما تتنظر[٦]

(١) فى غير التجريد : « تغرب » .
(٢) » » : « مما حكى » .
(٣) » » : « مما غنى » .
(٤) » » : « فيها » .
(٥) » » : « باسم » .
(٦) » » : « ما تتحذر » .

خُذِى بِيَدِى ثم اُكشِفى الثوب فانظرى
ضنى[1] جسدى لكنّنى أتستّرُ

وليس الذى يَجرى من العين ماؤها
ولكنها نفسى تذوب فتقطر

قال . فصنعت فيه لحناً ثم عرفته خبره فى رقعة كتبتها إليه ، وسألته وعداً يعِدنى المصير إليه ، فكتب إلىّ : نظرت فى القصة فوجدت هذا الأمر لا يصلُح ولا ينكتم على حضورك وسماعى إياك ، وأسأل الله أن يسرك ويبقيك ، فغنيت الصوت وظَهر حتى تغنى به الناس ، فلقينى سوار يوماً فقال لى : يا أبن أخى ، قد شاع أمرك فى ذلك الباب حتى سمعناه من بَعد ، كأنا لم نعرف القصة ، وجعلنا جميعاً نضحك .

وحكى عبد الله بن العباس قال : جمعنا الواثق يوماً بعقب علة غليظة كان فيها فعوفى وصح جسمه ، فدخلت عليه وهو مع المغنين ، وعودى فى يدى ، فلما وقعت عينى عليه من بعيد وجهرت بحيث يسمع صوتى ، ثم ضربت بالعود وغنيته فى شعر قلته من طريقتى ، وصنعت فيه لحناً ، وهو :

اُسلم وعمّرك الإله لأمة بك أصحبت قهرت[2] ذوى الإلحاد
لو تَستطيع وقتْك كلَّ أذية بالنفس والأموال والأولاد

فضحك وسُرّ وقال : أحسنت يا عبد الله وسَررتنى بابتدائك ، اُدْنُ منى . فدنوت حتى كنت أقرب المغنين إليه . ثم استعادنى الصوت ، فأعدته ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أقداح ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه .

---

(١) فى غير التجريد : « بلى » .

(٢) هذه رواية الأغانى ؛ ورواية التجريد « مهرق » .

وذُكر أن عبد الله بن العباس كان يهوى جارية نصرانية . فجاءته يوماً تودعه ، فأعلمته أن أباها يُريد الأنحدار إلى بغداد والمضى بها معه ، فقال فى ذلك :

أفــــدى التى قلت لها والبـــين منـا قد دَنا
فقـــدك قد أنحل جسـ مى وأذاب البَـــدَنَا
قالت : فماذا حيلـــتى كذاك قـــد ذُبت أنا
إذن بغيرى[1] فاقتنـــع قلت إذن طال[2] العنـا

وذُكر أن عبد الله بن العباس دخل على المتوكل فى آخر شعبان فغنّاه :

عَلِّلَانى نَعِمْــتما بمـــدام وأُسقيانى من قبل شهر الصيام
حرَّم الله فى الصيام التصـابى فـــتركناه طاعة لـلإمام
أظهر العدل وأُستبان[3] به الديـ ن وأحيـــا شرائع الإسلام

فأمر المتوكل بالطعام فأحضر ، وبالنبيذ والجلساء فأُتى بذلك ، واصطبح . وأقبل عبد الله يغنيه فى هذه الأبيات يومه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

والشعر الذى فيه الغناء : افتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله ، هو للعرجى ، وهو أبيات أولها :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلا
من اللاء لم يَحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

وقد تقدمت أخبار العرجى .

---

(١) فى غير التجريد : « باليأس » .
(٢) » » : « قل » .
(٣) » » : « ستنار » .

أخبار سلم الخاسر (*)

هو سلم بن عمرو : مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . شاعر بَصرى مطبوع مُتصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، راوية بشار بن بُرد ، وتلميذه وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه .

قال الشعر ، ولُقب الخاسر ، لأنه ورث عن أبيه مُصحفاً فباعه واشترى بثمنه طُنبورا .

وقيل : خلّف أبوه مالاً فأنفقه على الأدب والشعر . فقال له بعض أهله : إنك لخاسر الصّفقة ، فلقب بذلك .

وقيل : لما مات أبوه واقتسموا ماله وقع فى نصيب سَلم مُصحف فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت لأبيه ، فلُقِّب الخاسر لذلك .

وذُكر أنه مدح المهدى أو الرشيد ، وكان قد بلغه أن سَلْماً لُقب الخاسر لإخراجه ماله ، وكان مائة ألف درهم فى الأدب والشعر ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : كَذِّبْ بهذا جيرانك . فجاءهم بها ، فقال لهم : هذه المائة الألف التى أنفقتها وربحتُ الأدب ، فأنا سلم الرابح لا الخاسر .

وذُكر أنه لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر :

يا صالحَ الُجود الذى مجدُه ... أفسدَ مجدَ الناس بالُجودِ

بنيتَ قصرًا مُشرفاً عالياً ... بطائرى سَعد ومَسعود

(*) ممن جاءت تراجمهم فى الجزء الحادى والعشرين .

كأنما ترفع بنيانه جنٌّ سليمان بن داود
لا زلت مسروراً به سالماً على اختلاف البِيض والسُّود

يعنى بالبيض والسود : الأيام والليالى . فأمر له صالح بألف دينار .

وذُكر أن عاصم بن عُتبة الغسّانى كان صديقاً لسَلم الخاسر كثير البرّ به والمُلاطفة له ، وفيه يقول سلم :

لعاصم سَماء عارضها تهتان
أمطارها اللُّجين والدُّرّ[1] والعِقيان
وناره تنادى إذ خَبت النيران
الجود فى قحطان ما بقيت غسّان
أسلم وما أبالى ما فعل الإخوان
صلت له المعالى والسّيف والسِّنان
ما ضر مرتجيه من عثرة الزمان
من غاله مخوف فعاصم أمان

فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم ، وكان مبلغ ما وصل إلى سَلم من عاصم خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصماً ، فقال له : إنى ميت ولا ورثة لى وإن مالى مأخوذ وأنت أحق به . فدفع إليه خمسمائة ألف درهم ، ولم يكن لسَلم وارث ، وكان عاصم هذا جواداً .

وذُكر أن أبا الشَّمقمق طالب سَلما الخاسر أن يهب له شيئاً ، وقد خرجت لسلم جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشَّمقمق يهجوه :

(١) فى التجريد : « والإبريز » .

يا أمَّ سَلمٍ هداكِ الله زُورينا حتى يَنيكَكِ فرداً أو تنيكينا
ما إن ذكرتك إلا هاج لى شَبَق ومثل ذكراك أم السَّلم يَشْجينا

فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحب أن تعفينى استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتُنفقها.

وكان أبو عُبيد الله الأشعرىّ وزير المهدى، وغالباً على أمره كله: وكان بينه وبين الربيع سباق على تغيير قلب المهدى عليه، فدخل الربيع على المهدي يوماً وأبو عبيد الله وزيره جالس يعرض عليه كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مُر هذا أن يتنحى، يعنى الربيع. فقال المهدى: تنحَّ! فقال الربيع: لا أفعل فقال له المهدى: كأنك ترانى بالعين الأولى، قال: لا بل أراك بالعين التى أنت بها. قال: فلم لا تتنح إذ أمرتك؟ فقال له: أنت ركن الإسلام، وقد قتلت ابن هذا، فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها، فقام المهدى مذعوراً، وفتش أبو عبيد الله فوجد بين جوربه وخفه سكين، فسقطت مرتبة أبى عبيد الله، ورُدت الأمور كلها للربيع من الوزارة، ووليها يعقوب بن داود. وكان أبو عبيد الله أدخله إلى المهدى، فقال سلم الخاسر فيه:

أدخلته فعلا عليك كذاك شُؤم الناصيه[1]
يعقوب ينظر فى الأمور وأنت تنظر ناحيه

وكان سبب قتل المهدى بن أبى عبيد الله وزيره أنه بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زِنديق، فقال له المهدى: هذا حسد منك، فقال: افحص عن هذا، فإن كنت مبطلا بلغت فيك الذى يلزم من كذبك. فأتى ابن أبى عبيد الله فقرره تقريراً خفيّا، فأقر بذلك، فاستتابه فلم يتب فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسى بذلك، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله.

(١) ورد هذا البيت فى الأغانى بعد الذى يليه.

وذُكر أنه دخل سَلم الخاسر على الفصل بن يحيى فى يوم نَيروز والهدايا بين يديه ، فأنشده :

أَمن رَبْع تســائله ... وقد أقوَتْ منــازله
بقلبى من هوى الأطلا ... ل حُبٌّ ما يزايـله
رويدكم عن المشغو ... ف إنّ الحب قاتله
بلابل صدره تَسرى ... وقد نامت عــواذله
أَحق النــاس بالتفضيـ ... ـل من ترعى فواضله
رأَيت مكارم الأخلا ... ق ما ضَمت حمائله
فلست أرى فتى فى النا ... س إلا الفضل فاضـله
يقول لســانه خيراً ... فتفعـله أنامــله
ومهما تَرْجُ من خـير ... فإن الفضــل فاعله

وكان إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق حاضرين ، فقال الفضل لإبراهيم : كيف ما ترى ؟ فقال : أحسن مرأى ومسمع ، وفضل الأمير أكثر منه . فقال : خذوا ما أهدى إلىَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثـال ، فإنى أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير . ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار . يُقوّم ثم يدفع إليهم ثمنه ثم تهديه . فقُوِّم بألفى دينـار فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

وذُكر أنه قيل لمَعن بن زائدة : ما أحسن ما مُدحت به من الشعر عندك ؟ قال : قول سلم الخاسر :

أَبلغْ الفِتيــان مألـكةً ... إنّ خـير الوُد ما نفعـا
إن قوماً من بنى مطــر ... أتلفت كفّاه ما جَمعــا

كلمـــا عُدنا لنائله عاد فى مَعروفه جَذَعا

وذُكر أنه حدث فى أيام الرشيد أمر فاحتيج فيه إلى الرأى ، فأشكل . وكان الفضل غائباً فورد فى ذلك الوقت ، فأخبره بالقصة فأشار بالرأى فى وقته ، فدخل عليه سَلم الخاسر فأنشده :

بديهته وفكرته ســـواء إذا ما نابه خطب كبـــير
فأحـزم ما يكون الدهر رأياً إذا أعيا المشـاور والُمشـير

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وذُكر أنه لمـا تُوفى المهـدى وأَتى خـبرُ وفاته إلى ابنه موسى الهادى ، وهو بجرجان ، فبويع له هناك ، فدخل عليه سَلم الخاسر فأنشده بعد أن هنأه مع المهنئين :

لمّا أتت خـيرَ بني هاشم خـــلافةُ اللهِ بجُرجان
شمر للحرب سرابيـــلَه برأى لا غَمـــر ولا وانى
لم تَدخل الشُّـورى على رأيه والحزم لا يُمضـيه رأيان

والشعر الذى فيـه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سلم الخاسر ، هو :

حَضر الرحيلُ وشُدت الأحداج وغـــدا بهن مُشمِّرٌ مزعاج
للشوق نـــيران قَدَحْنَ بقلبه حتى استمرّ به الهوى المِلْجَاجُ
أزعج هـــواكِ إلى الذين تُحبهم إن المحب يَشُـــوقُه الإزعاج
لن يُدْنِينَّكَ للحبيب ووصـــله إلا السُّرى والبـــازل الهَجْهَاج

وهذا الشعر من قصيدة مدح بها سَلم الخاسر الرشيد .

وذُكر أنه لمـا انتهى منها إلى قوله :

إن المنايا فى السيوف كوامن حتى يهيِّجها فتًى هيَّاج

قال الرشيد : كان ذاك معن بن زائدة ، فلما انتهى قوله إلى :

ومدجَّج يغشى المضيق بسيفه حتى يكون بسيفه الإفراج

قال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد . فقال : صدق أمير المؤمنين . فاغتاظ جعفر ابن يحيى ، وكان يزيد بن مزيد عدوًّا للبرامكة مُصافياً للفضل بن الربيع . فلما انتهى إلى قوله :

نزلت نجومُ الليل فوق رءوسهم فلكل رأس كوكبٌ وهَّاج

قال له جعفر : من قلّة الشعر حتى يُمدح أمير المؤمنين بشعر قيل فى غيره هذا لبشار فى فلان التميمى . فقال الرشيد : ما تقول ياسلم ؟ قال : صدق يا سيدى ، وهل أنا إلا جزء من محاسن بشار ، أم هل أنطق إلا بفضل منطقه ، وحياتك يا سيدى إنى لأرى له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيرى شيئاً منها ، فضحك الرشيد وقال : ما أحسن الصدق ، أمض فى شعرك . فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال للفضل بن الربيع : هل قال أحد غير سَلم فى طيِّنا للمنازل شيئاً ؟ وكان الرشيد قد انصرف من الحج وطوى المناهل ، فوصف ذلك سلم فقال : يا أمير المؤمنين ، النَّمرى فأمر النَّمرى بالإنشاد فأنشده قوله :

تخرَّق سربال الشباب مع البرد وحالت لنا أم الوليد عن العَهْدِ

فقال الرشيد للعباس بن محمد : أيهما أشعر عندك يا عم ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان الشعرُ يُستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النَّمرى ، فأمر له بمائة ألف درهم .

أخبار أبي صدقة (*)

هو مسكين بن صَدقة ، من أهل المدينة ، مولى لقريش ، وكان مليحَ الغناء طيب الصوت ، كثير الرواية ، صالح الصنعة ؛ من أكثر الناس نادرة ، وأخفهم روحاً ، وأشدهم طمعاً ، وألحّهم فى مسألة .

وكان له ابن يقال له : صدقة ، يُغنى ، وليس من المعدودين .

وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبورى أحد المُحسنين من الطُّنبوريين . وله صنعة جيدة ، وكان أشبه الناس بجدِّه فى المَرَح والنوادر .

وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز فى أيامه .

وذُكر أن الرشيد قال له يوماً : ويلك ما أكثر سؤالك ؟ فقال : وما يمنعنى من ذلك ، واسمى مسكين ، وكنيتى أبو صدقة ، واسم ابنى صدقة ، فمن أحق بهذا منى ؟ .

وكان الرشيد يَعبث به كثيراً ، فقال يومًا لمسرور : قل لابن جامع ولإبراهيم الموصلى والزبير بن دحمان وزلزل وبرصوما وابن أبى مريم المدينى : إذا رأيتمونى قد طابت نفسى فليَسأَل كل واحد منكم حاجة مقدار صلته ، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك ، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبى صدقة ، فقال لهم مسرور ما قال له ، ثم أذن لأبى صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له يا أبا صدقة : قد أضجرتنى بكثرة مسألتك لنا ، وأنا فى هذا اليوم ضجر ، وقد أحببت أن أتفرج

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

وأفرح ، ولست آمن أن تنغص على مجلسى بمسألتك ؛ فإما أن أعفيتنى من أن تسألنى اليوم حاجة و إلا فانصرف . فقال له : لست أسألك فى يومى هذا ، ولا إلى شهر حاجة . فقال له الرشيد : أما إذا اشترطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار ، وها هى ذى فخذها طيّبة مُعجلة ، فإن سألتنى شيئاً بعد هذا اليوم فلا لوم علىّ إن لم أصلك سنة بشىء . فقال له : نعم ، وسنتين . فقال له الرشيد : زِدْنِى فى الوثيقة ، قال : قد جعلت أمر امرأتى أم صدقة فى يدك فطلّقها متى شئت ، إن شئت واحدة و إن شئت ألفاً إن سألتك فى يومى هذا حاجة ، وأشهدتُ الله ومن حضر على ذلك ، ودفع إليه المال . ثم أذن للجلساء والمُغنين فدخلوا وشرب القوم ، فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نِلت منك ما لم تبلغه أمنيتى وكثُرَ إحسانك إلىّ حتى كبتُّ أعدائى وقتلتهم ، وليس لى بمكة دار تشبه حالى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمال أبني به داراً وأفرشها بباقيه لأَفْقأ عيون أعدائى وأزهق نفوسهم فعل . قال : وكم قدرت لذلك ؟ قال : أربعة آلاف درهم . فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصلى فقال له : قد ظهرت نعمتك علىّ وعلى أكابر ولدى ، وفى أصاغرهم من أحتاج إلى أن أطهره ، ومنهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدماً ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحسن معْونتى على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول من الثناء ما يحضره ، ويسأل حاجته على قدر جائزته ، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرّق يميناً وشمالا . فوثب على رجليه قائماً ، ورمى بالدنانير من كُمّه وقال للرشيد : أقلني أقالك الله عثرتك . فقال له الرشيد : لا أفعل . فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ ، والرشيد يضحك ويقول : ما إلى ذلك سبيل : الشرط أملك . فلما عِيل صبره أخَذ الدنانير فرمى بها بين يدى الرشيد وقال : ها كها قد رددتها عليك وزدْتك فرج أم صدقة ، فطلّقها إن شئت واحدة و إن شئت ألفاً ،

وإن لم تلحقنى بجوائز القوم فألحقنى بجائزة هذا البارد بن الباردة عمرو الغزال . وكانت ثلاثة آلاف دينار ، فضحك الرشيد حتى أستلقى ، ثم رد عليه الخمسمائة الدينار وأمر له بألف دينار أخرى معها ، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ يوم خدمه إلى أن مات ، وانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار .

أخبار فضل الشاعرة (*)

هى جارية مولّدة من مولدات البصرة ، وكانت أمها من مولّدات اليمامة ، بها وُلدت ، ونشأت فى دار رجل من بنى عبد القيس ، وباعها بعد أن أدّبها وخرجها ، فاشْتُرِيَتْ وأُهْدِيَتْ إلى المتوكل . وكانت تزعم أن الذى باعها أخوها ، وأن أباها كان معترفاً بها وأدّبها وخرّجها ، وأن بنيه من غير أُمّها تواطئوا على بيعها وجحدها ، ولم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية الشاعرة .

وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة فى قول الشعر ، ولم يكن فى نساء زمانها أشعر منها .

وقيل : إنها كانت لرجل من النخّاسين بالكرخ — يقال له : حسنويه — فاشتراها محمد بن الفرج أخو عمر بْن الفرج الرُّخجى ، وأهداها إلى المتوكل ، وكانت تجلس للرجال ويأتيها الشعراء .

وذُكر : أن أبا دلف العجلى ألقى عليها :

قالوا عَشِقْتَ صغيرةً فأجبتُهم ... أشهى المطىِّ إلىّ ما لم يركبِ
كم بين حَبّة لُؤلُؤ مَثْقُوبة ... نُظمت وحبة لؤلؤ لم تُثقب

فقالت فضل مُجيبة له :

إن المطية لا يَلَذ ركوبُها ... ما لم تذلَّلْ بالزّمام وتُركبِ
والدُّر ليس بنافع أربابه [1] ... إن لم يؤلّف للنظام ويُثقب

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : « أصحابه » .

وذُكر أنه عرضت على المعتمد جارية تباع فى خلافة أبيه المتوكل، وهو يومئذ حديث السن، فاشتط مولاها فى السَّوم، فلم يشترها وخرج بها إلى ابن الأغلب صاحب إفريقية، فبيعت هناك. فلما أُفضت الخلافة إلى المعتمد سأل عن خبرها وقد ذَكرها، فذُكر أنها بيعت وأولدها مولاها، فقال المعتمد لفضل الشاعرة: قولى فيها شيئاً. فقالت:

عَلِم الجمال تركتنى ... فى الحب أشهر من علم
ونصبتنى يا مُنْيَتِى ... غرضَ المظنّة والتُّهَم
فارقتنى بعد الدنو ... فصرت عندى كالحلم
فلو أن روحى فارقت ... جسمى لفقدك لم تُلَم
ما كان ضرك لو وصلت ... فخفّ عن قلبى الألم
برسالة تهدينها ... أو زورة تحت الظلم
أو لا فطيف فى المنام ... فلا أقلّ من اللّمم

وحكى محمد بن العباس اليزيدى قال:

كتب بعض أهلنا إلى فَضل الشاعرة:

أصبحت صَبّاً(1) هائم العقل ... إلى غزال حسن الشكل
أضنى فؤادى طول عهدى به ... وبُعْده عنّى ومن وَصْلى
مُنية نفسى فى هوًى فضل ... أن يجمع الله بها شملى
أهواك يا فضل هوًى خالصاً ... فما لقلبى عنك من شُغل

فأجابته:

الصبر ينقُصُ والسقام يزيد ... والدار دانية وأنت بعيد

(1) فى غير التجريد: «فرداً».

فقالت فضل :

تَصُــد وأدنو بالمودّة جاهدا   وتبعُد عنّى بالوصال وأقرُبُ

فقلت أنا :

وعندى لها العُتبَى على كل حالة   فما منه لى بُدٌّ ولا عنه مَذهب

بينها وبين أديب ألقى عليها بيتاً

وحكى أحمد بن أبى طاهر قال :

ألقى بعضُ أصحابنا من أهل الأدب على فضل الشاعرة :

ومُستفتح بابَ البــلاء بنَظرة   تزوّد منها قلبُــه حسرةَ الدّهْرِ

فقالت :

فوالله ما يدرى أتدرى بما جَنَتْ   على قلبه أم أهلــكَتْه وما تدرى

شعرها إلى الباخرزى والضرير تعتذر عن حجبهما ورد الباخرزى

وذُكر أنّ أبا منصور البَاخرزى أتى هو وأبو يوسف الدّقّاق الضرير منزل فضل الشــاعرة فَحُجِبَا عنها ، وما علمتْ بهما ، ثم بَلَغها مجيئُهما وانصرافهما ، فــكرِهَت ذلك وغمّها ، فــكتبَتْ إليهما تعتذر :

وما كنتُ أخشى أن تَرَوْا لىَ زَلّةً   ولــكنّ أمرَ اللهِ ما عنه مَذْهَبُ

أعوذُ بحُسْنِ الصّفح منكم وقبلنا   بصَــفح وعَفوٍ ما تعوّذَ مُذنب

فــكتب إليها أبو المنصور :

لئن أُهديتْ عُتباك لى ولإخوتى   فمثلُك يافَضَــل الفضائل يُعْتِبُ

إذا اعتذر الجانى محا العذرُ ذنبَه   وكُل امرئ لا يَقبل العذرَ مُذنب

رقعتها إلى المتوكل بعد سكر لم يفق منه

وحكى علىّ المُنجِّم قال :

قال لى المتوكل يوماً ، وفضل الشــاعرة واقفة بين يديه : يا علىّ ، كان بينى وبين فضل مَوعد ، فشربتُ شراباً فيه فَضل فسكرتُ ونمْت ، وجاءتنى للموعد

فحرّكتنى بكل ما ينبَّه به النائم من قَرْصٍ وتحريك وتَغميز وكلام، فلم أتنبّه، فلما علمَتْ أنه لا حيلة لها فىّ كتبَتْ رُقعة ووضعَتها على فخذى وانْصرفت، فلما انتبهْت رأيتُها فأخذْتُها وقرأْتُها، فإذا فيها:

قد بدا شِبْهُكَ يا مَوْ لاىَ يَحْدُو بالظلامْ
قُمْ بنا نقْضِ لُبانا تِ الْتزام والتثامْ
قبل أن تفضحنا عو دَةُ أرواح النِّيام

شعر لها فى كأس أهدتها قبيحة إلى المتوكل

وذُكر أنه خرجت قبيحة ـ أم المعتز ـ إلى المتوكل يوم نَيروز، وفى يديها كأس من بِلّور، فيها شراب صافٍ، فقال لها: ماهذه فديتُكِ؟ قالت: هديّتى لك فى هذا اليوم، عرّفك الله بركته. فأخذها من يدها. وإذا على خدّها مكتوب بالمسك: جعفر. وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه، فقالت:

وكاتبةٍ بالمسك فى الخدّ جعفرَا
بنفسى سوادُ المسك من حيثُ أثّرا
لئن أثّرت بالمسك سطراً[1] بخدّها
لقد أودعتْ قلبى من الحبّ أسطُرا
فيا مَن مُناها فى السَّريرة جعفر
سقا الله من سُقيا ثَناياكِ جعفرا

فأمر المتوكل عَريب فغنّت فيه. وقالت فضل فى ذلك:

سُلافة كالقمر الباهرِ فى قدحٍ كالكوكب الزاهرِ
يُديرها خِشْفٌ[2] كبَدر الدُّجى فوق قضيب أهيف ناضرِ
إلى فتًى أروعَ من هاشم مثلِ الحسام المُرهَف الباترِ

(١) فى غير التجريد: «سكرا»
(٢) الخشف، مثلثة: ولد الظبى أول ما يولد.

هي وابن الجهم وقد أمرها المتوكل أن تجيزه

وذُكر أن المتوكل قال يوماً لعليّ بن الجهم : قُل بيتاً ، وطالب فضلَ الشاعرة أن تُجيزه ، فقال عليّ : أجيزى يا فضل :

لاذَ بهـــا يشتكى إليها ... فلم يَجِدْ عنـــدها مَلاذَا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

ولم يزل ضـــارعاً إليها ... تَهْطِل أجـــفانُه رَذاذاً

فعـاتبوه فزاد عِشـــقاً ... فمـات وَجْداً فكان ما ذا

شعرها الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار فضل الشاعرة ، هو :

إنّ من يَملك رِقّى ... مالكٌ رِقّ الرِّقابِ

لم يكن يا أحسنَ العا ... لَم هذا فى حسابى

أخبار ابن الخياط

نسبه وولاؤه

هو: عبد الله بن سالم[1] بن يونس بن سالم، مولى قُريش. وقيل: مولى هُذيل.

طبقته

شاعر ظريف، ماجن خليع، مُخضرم، من شعراء الدولة الأموية والعباسية.

انقطاعه إلى آل الزبير

وكان مُنقطعاً إلى آل الزبير بن العوام، رضى الله عنه، مدَّاحاً لهم.

قدومه على المهدى

وقَدِم على المهدىّ مع عَبد الله بن مُصعب، فأوصله إليه ومدحه، وأحسن المهدىّ صلته.

مدح المهدى بعد مدح فأضعف له الجائزة

وذُكر أنه دخل ابن الخياط على المهدىّ فمدحه، وأمر له بخمسين ألف درهم، ففرّقها كلَّها على الحواشى، وقال يمدحه:

لمستُ[2] بكفِّى كفَّه أبتغى الغِنى ... ولم أدْرِ أنَّ الجود من كفّهِ يُعدِى

فلا أنا ممَّا قد أفاد ذوو الغِنى ... أفدتُ وأعدانى فأتلفتُ ما عِندى

فبلغ المهدىَّ هذا الشعرُ، فأضعف له الجائزة، وأمر بحملها إلى منزله، فحُملت.

كان عاقا بأبيه كان ابنه عاقا به

وذُكر أنَّ عبد الله بن سالم، المعروف بابن الخيَّاط، كان عاقًّا بأبيه، وكان ابنه يونس عاقًّا به، فرأى يونس وهو يعصُر حَلْق أبيه، فقال له رجل: أتفعل هذا بأبيك! وخلَّصه من يده، ثم أقبل على الأب يُعزِّيه ويسكِّن منه. فقال له الأب: يا أخى، لا تَلُمه واعلم أنه ابنى حقًّا، والله لقد خنقت أبى فى هذا

---

(١) فى غير التجريد: «عبد الله بن محمد بن سالم».

(٢) فى غير التجريد: «أخذت».

الموضع الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك .

من شعر ابنه له

وذُكر أنه قال يونس لأبيه :

ما زال بى ما زال بى طَعنُ أبى فى النسبِ
حتى تريَّبتُ وحتّى ساء ظنِّى بأبى

ومن شعر ابنه لابنه

ونشأ ليونس ابنٌ يقال له : دُحَيم ، فكان أعقَّ الناس به ، فقال يونس فيه :

جلا دُحَيم عَماية الرِّيَبِ والشَّكَّ منى والطعن فى نَسبى
ما زال بى الظنُّ والتشكّكُ حتى عقّنى مثلَ ما عققتُ أبى

من نوادر ابنه معه

وحكى يونس بن عبد الله بن الخياط قال :

جئت يوماً إلى أبى وهو جالس عنـده أصحاب له ، فوقفت عليه لأغيظه ، وقلت : ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم :

يا سائلى مَن أنا أو مَن يُناسبنى أنا الذى ماله أصلٌ ولا حَسَبُ
الكلب يَختال فخراً حين يُبصرنى والكلبُ أكرمُ منى حين يَنتسب (١)
لو قال لى الناس طُرًّا أنت ألأمُنا ما وَهِم الناسُ فى ذاكم ولا كذبوا

فوثب أبى ليضربنى . فعدوتُ بين يديه ، فجعل يشتمنى والناس يضحكون .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن الخياط ، هو :

أُمامةُ لا أراكِ اللهُ ذُلَّ معيشةٍ أبدَا
ألا تستصلحين فتًى وقاكِ السوء قد فَسدا
غلام كان أهلُك مرّة يدعونه ولدا

(١) فى غير التجريد : « بسب » .

أخبار علىّ بن جبلة

نسبه ونشأته

هو : علىّ بن جَبَلة بن عبد الرحمن[1] الأنبارى . ويكنى : أبا الحسن . ويلقب بالعكوّك ، من أبناء الشيعة الخُراسانية ، من أهل بغداد ، وبها نشأ .

شىء عن عماه

وكان ضريراً . ويقال . إنه كان أكمه ، وهو الذى يُولد ضريراً . وقيل : عَمِى بعد أن نشأ .

منزلته فى الشعر

وهو شاعر مطبوع ، عذب اللفظ جَزْله ، لطيف المعانى ، مدّاح حسن التصرف .

غضب المأمون عليه وسبب ذلك

واستنفد شعره فى مدح أبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجلى ، وأبى غانم حُمَيد ابن عبد الحميد الطوسى ، وزاد فى تفضيلهما وتفضيل أبى دُلف خاصة ، حتى فضل من أجله ربيعة على مُضر ، وجاوز الحدَّ فى ذلك ، فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به فسَلّ لسانه من قَفاه . ويقال : بل هرب حتى مات فى تواريه ولم يقدر عليه .

قال أبو الفرج : وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ .

شعره فى مدح أبى دلف

ومن جيد المدح وفاخره قصيدتُه التى مدح بها أبا دلف ، التى أولها :

ذادَ وِرْدَ الغَىّ عن صَدَرِه ... وأرعوى واللهوُ من وَطَرِه
وأبتْ إلا البُكاء له ... ضحكاتُ الشَّيبِ فى شَعَرِه
نَدمِى أن الشباب مَضى ... لم أُبلِّغْهُ مَدَى أَشَره

ومنها :

دَعْ جَدَا قَحطان أو مُضر ... فى يَمانيه وفى مُضره
وامتدح من وائل رجلًا ... عُصر الأيام من[2] عُصره

(١) فى غير التجريد : « عبد الله » .
(٢) فى غير التجريد : « عصر الآفاق فى » .

المَنـايا فى مَقـانبه(١) والعَطـايا فى ذُرى حُجره
ملكٌ تنـــدَى أنامله كانبلاج النَّوْء عن مَطره
مُستهلٌّ عن مَواهبــه كابتسام الرَّوض عن زَهره
جَبل عزّت منـاكبه أمنت عَـدنان فى ثُغره
إنما الدُّنيـا أبو دُلف بين باديه ومُحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّتْ الدُّنيـا على أثره
لسـتُ أدرى ما أقول له غيرَ أن الأرض فى خَفره
كلُّ مَن فى الأرض من عَرب بين باديه إلى حَضره
مُستعير منه مَكْرُمة يَكتسيها يومَ مُفتخره

وذُكر أن علىّ بن جَبلة قال هذه القصيدة فى أَبى دلف بعد قَتله الصُّعلوك المعروف بقُرقور، وكان من أعظم الناس بأسًا وأشدهم، وكان يقطع هو وغلمانٌ له على القوافل وعلى القُرى، وأبو دلف يجتهد فى أمره فلا يقدر عليه؛ فبينا أبو دُلف ذات يوم يتصيّد، وقد أمعن فى طلب الصيد وحدَه، إذا بقُرقور قد طلع عليه، وهو راكب فرسًا يشُق الأرض شقًّا، وأيقن أبو دلف بالهلاك وخاف أن يولّى عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يافتيان، يمنة يمنة، يُوهمه أن معه خيلا قد أكمنها له. فخافه قُرْقور وعطفَ على يساره هاربًا، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه، فأخرجه من صدره، ونزل إليه فاحتز رأسه وحمله على رُمحه حتى أدخله الكَرَج.

وذُكر أن رأسه حمله بين يديه عند دخول الكرج أربعةُ نفر على رُمح.

ومن هذه القصيدة فى ذكر قُرقور:

ولقُرقور أدرت رحًى لم تكُن ترتدّ فى فِكَره

(١) المقانب: جمع مقنب، وهو الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين.

قد تأنّيتَ البقـــاء له　　فأبى المحتومُ من قَـدَره

وطغى حـتى رفعتَ له　　خُطّةً شنعاءَ من ذِكره

إعجاب أبى تمام ببيتين له

وحكى عبد الله بن محمد بن جرير قال :

أنشدت أبا تمام الطائى يوماً من الأيام قصيدةَ علىّ بن جَبلة البائية ، فلما بلغتُ إلى قوله :

وردّ البيضَ والبيضَ[1]　　إلى الأغماد والحُجْبِ

كأنّ الناسَ جِسْم وهْـ　　ـو فيهم موضع القَلْبِ

اهتز أبو تمام من قَرنه إلى قدمه ، ثم قال : أحسن والله ! لوددتُ أنّ لى هذا البيت بثلاث قصائد من شعرى مكانَه .

قصيدته فى رثاء حميد التى احتذاها البحترى فى رثاء الثغرى

ومن جيد الشعر ونادره قصيدةُ علىّ بن جَبلة التى يرثى بها حُميداً الطُّوسى ، وأوردها أبو الفرج بطولها وقال : إنما ذكرتها على طولها لجودتها وكثرة نادرها ، وقد أخذ البُحترى معانيها فسلخها وجعلها فى قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثّغرى ، وهما :

* انظرُ إلى العَليـاء كيف تُضامُ *

و

* بأىّ أسًى تُثْنَى الدموعُ الهواملُ *

وقد أخذ أبو تمام الطائى بعض معانيها . قال : ولو لا كراهة الإطالة لشرحت المواضع المـأخوذة منها ، و إذا تأمل ذلك مُنتقد بصير عرفه . وقصيدة علىّ بن جَبلة هى هذه :

أللدّهر تبكى أم على الدهر تجزعُ　　وما صاحبُ الأيام إلّا مُرَوَّعُ[2]

(١) البيض ، الأولى : السيوف ، والثانية : النساء . (٢) فى غير التجريد « مفجع » .

ولو سهّلت عنك الأسى كان فى الأسَى
عَزاء مُعين للبيب ومفزع

تعزَّ بما عزّيت غيرك إنها سِهام المَنايا حائماتٌ ووُقّع (١)

أُصبنا بيوم فى حُمَيد لو أنه
أصاب عُروشَ الدّهر ظلّت تَضَعضع

فأدّبنا ما أدّب الناسَ قبلنا ولكنّه لم يبْقَ للصّبر موضع

وكيف التقى مثوًى من الأرض ضَيق
على جَبَل كانت به الأرضُ تُمنع

ولمّا انقضت أيامُه انقضَّت العُلا وأضحى به أنفُ النّدى وهو أجدع

وراح عدوّ الدِّين جذلانَ يَنتحى أمانىَّ كانت فى حَشاه تقطَّع (٢)

وكان حُميد مَعْقلا رَكعت به قواعدُ ما كانت على الضَّيم تَركع

وكنتُ أراه كالرّزايا رُزِئتها ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع

حِمام رَماه من مواضِع أمنه حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقرع (٣)

لقد أدركت فينا المَنايا بثأرها وحلّت بخَطب وَهْيُه ليس يُرقع

نَعينا حُميداً للسَّرايا إذا غدت تُذاد بأطراف الرِّماح وتُوزَع

وللمُرهق المكروب ضاق بأمره فلم يَدْر فى حَوْماتها كيف يَصنع

وللبيض خلّتها البُعول فلم يدع لها غيره داعى الصباح المفزّع

كأنّ حُميداً لم يقُد جيش عَسكرٍ إلى عسكر أشياعُه لا تُروَّع

---

(١) فى غير التجريد: «معز ... ومقنع»

(٢) فى غير التجريد: «فى حشى منقطع».

(٣) فى غير التجريد: «يقدع».

ولم يَبعث الخيل المُغيرة بالضُّحى مِراحاً ولم يَرجع بها وهى ظُلَّع
رواجع يحملن النِّهاب ولم تَكُن كتائبه إلا على النَّهب تَرْجِع
هوى جَبلُ الدنيا المَنيع وغيثُها الـمَريع وحاميها الكَمِىّ المُشيَّع
وسيف أمير المؤمنين ورُمحه ومفتاح باب الخطب والخطبُ أفظع
فأقنعه من ملكه ورباعه ونائله قَفرٌ من الأرض بَلْقع
على أىِّ شَجوٍ تَشْتكى النفسُ بعده إلى شَجوه أو يَذْخر الدَّمعَ مَدْمع
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها عليه وأضحى لونُها وهو أسفع
وأوحشت الدُّنيا وأودَى بهاؤُها وأجدب مَرعاها الذى كان يُمرع
وقد كانت الدُّنيا به مُطمئنةً فقد جُعلت أوتادها تتقلَّع
بكى فقدَه روحُ الحياةِ كما بكى نداه النَّدى وابنُ السبيل المُدفَّع
وأيقظ أجفاناً وكان لها الكَرى ونامت عيون لم تكن قطُّ تَهجع
وفارقت البِيضُ الخدورَ وأبْرزت عَواطِنَ حَسْرى بَعده لا تقَنَّع
ولكنه مِقدار يومٍ ثَوى به لكُل امرئٍ منه نِهال ومَشْرع
أغرّ على أسيافه ورماحه تقَسَّم أنفال الخميس وتُجمع
حَوى عن أبيه بَذلَ راحته النَّدى وطَعْن الكُلى والزَّاعبيّه[1] شُرَّع

جوابه عن إغراقه فى مدح حميد الطوسى

وذُكر أنه قال رجل لعلىّ بن جبلة : ما بلغتَ من مديح أحد ما بلغت فى مديحك حُميداً الطوسى . فقال : وكيف لا أفعل وأدنى ماوصل إلىّ منه أنى أهديتُ إليه قصيدة فى يوم نَيروز ، فسُرّ يومها وأمر أن يُحمل إلىّ كل ما أهدى إليه ، فحُمل إلى ما قيمته مائتا ألف درهم ، وأهديت إليه قصيدة فى يوم عيد فبعث إلى بمثل ذلك .

(١) الزاعبية : الرماح إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض .

وقصيدته التى أهداها يوم النَّيروز هى التى يقول فيها :

حُميدُ يا قاسمَ الدنيـــا بنائلهِ   وسيفُه بين أهل النُّـكْث والدِّينِ
أَنت الزمانُ الذى يجرى تصرُّفه   على الأنام بتَشْـديد وتَلْيين
لو لم تـكُن كانت الأيام قد فَنِيت   والمَـكرُمات ومات الجد مُذْ حِين
صوّرك الله من مَجـدٍ ومن كرم   وصَوّر الناسَ من ماء ومن طِين

إنشاده أبا دلف وإجازته إياه

وذُكر أنّ علىّ بن جبلة دخل يوماً على أبى دُلف ، فقـال له : هات مامعك يا على . فقال : إنه قليل . قال : هاته ، فـكم من قليل هو أجود من كثير ، فأنشده :

اللهُ أجرى من الأرزاق أكثرَها   على يديك فشُـكراً يا أبا دُلفِ
أُعطى أبو دُلف والريحُ عاصفةٌ   حتى إذا وقفتْ أعطى ولم يقف

فأمر له بعشرة آلاف درهم . فلمـا كان بعد مُدة دخل إليه فقال له : هات ما معك . فأنشده :

مِن مَلَكِ المـــوت إلى قاسم   رسالةٌ فى بَطن قِرْطـاسِ :
يا فارس الفرسان يوم الوَغى   مُرْنى بمن شئت مِن الناس

فأمر له بألفى درهم . وكان قد تطيّر من ابتدائه فى هـذا الشعر ، فقال له : ليست هذه من عطاياك أيها الأمير . فقال : بلغ بها هذا المقدار ارتياعُنا من تحمُّلك رسالة من ملك الموت ، عليه السلام .

استئذانه عبد الله ابن طاهر فى الرجوع إلى أهله

وذُكر أن علىّ بن جبـلة قَدم على عبد الله بن طاهر بخُراسان مادحاً له : فأجزل صلته . ثم استأذنه فى الرجوع ، فسأله أن يُقيم ، وكان بِرّه يتصل عنده . فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله ، فدخل عليه فأنشده :

رَاعه الشَّيبُ إذ نزلْ   وكَفَاه عن العَذَلْ

وأُنقضت مُـدة الصِّبى وأُنقضى اللهوُ والـغَزل
قـد لعمرى دَمَلْتُهُ بخِضاب فمـا أُندمل
فأَبْكِ للشَّيب إذ بدا لا على الرَّبع والطَّلل
وَصَـل الله للأمير عُرَى المُـلْك فأَتَّصل
مَلك عَزْمـه الزمان وأفعالُه الدُّول
كَسرَوىٌّ بمجـده يَضربُ الضاربُ المَثل
وإلى ظِلِّ عِـزّه يَلجأ الخائفُ الوَجل
كُل خَاق سِوى الإمام لإنعامه خَـوَل
ليته حـين جاد لى بالغِنى جاد بالقَفَل

فضحك وقال : أبيت إلا أن تُوحشنا ، وأجزل صلته وأذن له .

إنشاده حميداً فى رمضان

وذُكر أنه دخل علىّ بن جبلة على حُميد الطُّوسى فى أوّل يوم فى شهر رمضان، فأنشده :

جَعل الله مَدخل الصوم نُوراً[1] لحُميد ومُتْعـةً فى البقاء
فهو شهر الرَّبيـع للقُرّاء وفِراقُ النَّدمان والصَّهباء
وكأَنّى أرى النَّدامى على الخسـ ف يَرْجون صُبحهم بالمساء
قد طَوى بعضُهم زيارةَ بعض وأستعاضُوا مَصاحفاً بالغِناء

ومنهـا :

بحُميد وأين مثلُ حُميـد فَخَرَت طَيِّئٌ على الأَحياء
مَلك يأمُل العِبـادُ نَداه مثلَ ما يأمُلون قَطْرَ السَّماء
صاغه الله مُطعِم الناس فى الأرْ ض وصاغ السَّحاب للإِسقاء

(١) فى غير التجريد : « فوزا » .

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال له : أستعن بهذه على نفقة صومك .

نشاده حيداً فى شوال وأجازته إياه

ثم دخل عليه ثانى شوال ، فأنشده :

علِّلانى بصَفْو ما فى الدِّنان ... وأتركا ما يقولُه العاذلان
وأسبِقا فاجعَ المَنيّة بالعَيْـ ... ـش فكُلٌّ على الجديدين فانى
علِّلانى بشَربة تُذهب الهمَّ ... وتَنفِى طَوارق الحِدْثان[1]
وانفُثا[2] فى مَسامِع سدَّها الصو ... مُ رُقَى المَوصِلىّ أو دَحمان
قد أتانا شَوَّال وأقبل العَيْـ ... ـش وأعدى قَسراً على رمضان
نِعْمَ عَون الفَتى على نُوب الدَّهْـ ... ـر سماعُ النايات[3] والعِيدان
وكؤوس تَجرى بماء كُروم ... ومطىُّ الكؤوس أيدى القِيان
من عُقار تُميتُ كُلَّ احتشام ... وتَسُرُّ النَّدْمان بالنَّدمان
وكأن المِزاج يَقدَح فيها ... شَرراً فى سَبائك العِقْيان
فاشرب الراح واعصِ مَن لام فيها ... إنها نعم[4] عُدَّة الفِتْيان

يقول فى مدحها :

خُلقتْ راحتاه للجُود والبأ ... س وأموالُه لشُكر اللِّسان
ملَّكته على العباد مَعدٌّ ... وأقرَّت له بنو قَحطان
أَرْيحىّ النَّدى جميلُ المُحيَّا ... يدُه والسَّماح مُعتقِدان
وجهه مُشرقٌ إلى مُعتفيه ... ويداه بالغَيث تَنفجِران
جَعل الدَّهرُ بين يَوميه قِسْمَيـ ... ـن بعَرْف جَزل وحَرّ طِعان

(١) فى غير التجريد : « الأحزان » .
(٢) فى غير التجريد : « وألقيا » .
(٣) فى غير التجريد : « القيان » .
(٤) التجريد : « بعض » .

ومنها :

قد جعلنــا إليك بعث المطــايا هرباً من زماننــــا الخوّان

وحملنـا الحاجاتِ فوق عِتـاق ضامنـاتٍ حوائجَ الرُّكبان

ليس جُودٌ وراء جُودك يُنْتا ب ولا يَمتفي لغَـيرك عانى

فأمر له بعشرة آلاف درهم . وقال : تلك كانت للصوم فخفّفت فخففنا ، وهذه للفِطر ، وقد زِدتنا وزدناك .

هو ومحبوبة له وحميد الطوسى

وذُكر أن علىّ بن جبلة كان يهوى جاريةً أديبةً شاعرة ، وكانت تُحبه هى أيضاً ، على عماه وقُبح وجهه وما به من الوَضَح ، وأنها زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى اُفتضها . قال علىّ بن جبلة : وذلك عنيتُ بقولى :

ودمٍ أهرقتُ[1] من رشأ لم يُرِد عَقْلاً على هَدره

[وهى القصيدة التى مدح فيها أبو دلف[2]] . قال : ثم قصـــدت حُميدًا الطوسى بقصيدتى التى مدحته بها ، فلما استؤذن لى عليه أبى أن يأذن لى، وقال : قولُوا له : أى شىء بقَّيت لى بعد قولك فى أبى دلف :

إنما الدُّنيا أبو دُلف بين باديه ومُحتضره

فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيـا على أثره

فقال للحاجب : قل له : الذى قلت فيك أحسن من هذا ، فإن وصلتنى سمعتَه . فأَمر بإيصالى إليه . فأَنشدته قولى فيه :

إنما الدنيـــا حُميدٌ وعطاياه[3] العظــــامْ

فإذا ولّى حُميـــد فعلى الدنيـــا السلام

فأمر لى بمائتى دينار ، فنثرتُها فى حِجر عَشيقتى، ثم حيَّيْته بقصيدتى التى أولها :

دِجــلةٌ تَسقى وأبو غانمٍ يُطعم من تَسقى من الناس

(١) فى غير التجريد : « أهدرت » . (٢) تكملة من الأغانى. (٣) فى غير التجريد : « وأياديه ».

فأمر لى بمائتى دينار . ومن هذه القصيدة :

النـاسُ جِسمٌ وإمامُ الهدى رأسٌ وأنت العَـين للراس

شعره فى محبوبته وقد غضبت عليه

ومن جيد الشعر قوله فى محبوبته التى تقدم ذكرها ، وقد غضبت عليه :

تُسيء ولا تَستنـكر السُّوء إنها تُدِلّ بما تَبلوه عندى وتَعرفُ

فمن أين ما استعطفتها لم تَرقّ لى ومن أين ماجرّبتُ صَبرىَ يَضْعف

أقبح هجاء له

وذُكر أن أقبح ما هُجِى به الناس فى ترك الضيافة قولُ علىّ بن جبلة :

أقاموا الدَّيدبان على يَفاع[1] وقالُوا لا تنم للدَّيدَبان

فإن آنست شخصاً من بعيد فصفِّق بالبَنان على البَنان

تراهم خشيةَ الأضياف خُرْسًا يُقيمون[2] الصلاة بلا آذان .

أنشد حميداً فأعطاه صدقة كان أعدها لرمضان

وحُـكى أن حُميدا الطوسى دفع إلى كاتبه فى أول شهر رمضان ألف دينـار للصدقة ، فجاء علىّ بن جبلة فاستأذن عليه ، فأذن له ، فأنشده :

إنَّ أبا غانم حُميـــدًا غيثٌ على المنتفعين هامِى

صوَّره الله سيفَ حَتْف وبابَ رِزْق على الأنام

يا مانعَ الأرض بالعَوالى والنِّعم الجمَّـــة العِظام

ليس من السُّوء فى مُعاذ مَن لم يكن منك فى ذِمام

وما تعمّدتُ فيك وَصفاً إلا تَقَـــدّمته أمامى

فقد تناهتْ بك المَعالى وانقطعت مُدة الـكلام

أجِدَّ شَهراً وأَبْلِ شَهرا وأسلمْ على الدَّهر ألفَ عام

فالتفت حُميد إلى كاتبه وقال : أعطه الألف الدينار حتى نُخرج للصدقـــة غير هذه .

---

(٢) فى غير التجريد : « ويأتون » . (٢) اليقاع : التل .

شفاعة حميد له لدى أبى دلف

وذكر أنه جاء علىّ بن جبلة إلى حُميد الطوسى مُستشفعاً به إلى أبى دُلف ، وكان غَضب عليه وجفاه ، فركب معه إلى أبى دُلف شافعاً له وسأله فى أمره ، فأجابه ، واتصل الحديث بينهما ، وعلىّ بن جبلة محجوب ، فكتب إليه :

لا تتركنّى بباب الدار مُطَّرحا والحُرّ ليس عن الأحرار يُحتجبُ
هَبنا بلا شافع جئنا ولا سَبب ألستَ أنت إلى مَعروفك السَّبب

فأمر بإيصاله إليه ، ورضى عنه ووصله .

غضب المأمون عليه

وذُكر أن المأمون لما أدخل عليه علىّ بن جبلة قال له : إنى لستُ أستحلّ دمك لتفضيلك أبا دُلف على العرب كلها ، وإدخالك فى ذلك قُريشاً ، وهم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وعِترته ، ولكنى أستحللتُه بقولك فى شعرك وكُفرك حيث تقول القول الذى أشركت فيه ، وهو :

أنتَ الذى تُنزل الأيامَ منزلَها وتنقُلَ الدهرَ من حال إلى حالِ
وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحدٍ إلا قَضيتَ بأرزاق وآجال

كذبت يا عاضّ بَظْر أُمه ، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله عزّ وجل الواحد القهار ، سُلوا لسانه من قفاه ، ففُعل به ذلك .

وذُكر أنه لما بلغ المأمونَ قولُ علىّ بن جبلة لأبى دُلف :

كل من فى الأرض من عَرب بين باديــه إلى حَضرهْ
مُستعير منك مَكرُمة يكتسيها يومَ مُفتخَــره

غضب من ذلك وقال : أُطلبوه ، فطُلب فلم يُقدر عليه ، فلمّا اتصل به الخبر هَرب إلى الجزيرة وتوسط الشام ، فظفروا به فأخذوه وحملوه إلى المأمون ، فلما صار إليه قال له : يابن اللّخناء : أنت القائل لابن عيسى :

«البيتين» :

* كل من فى الأرض من عرب *

جعلتنا ممن نَستعير المكارم منـــه . فقال : يا أمـير المؤمنين ، أنتم أهل بيتٍ لا يُقاس بكم أحد ؛ لأن الله عز وجل فضَّلكم على خلقه واُختاركم لنفسه ، وإنما عنيت بقولى أشكالَ القاسم وأقرانَه . فقال : والله ما استثنيت أحداً عن الكل ، سُلُّوا لسانه من قَفاه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء . وافتتح به أبو الفرج أخبار علىّ بن جبـــلة العَكَوَّك ، هو :

بأَبى مالكَ عَـــنِّى مائلَ الطَّرف كليــلا
وأرى بِرّك نَـــزْرا وتحفِّيك قليـــلا
وتُسمينى عـــدوّا وأُسمِّيــك خليــلا
أتعــلَّمتَ سُــلوا أم تبدّلتَ بَديــلا
أحمد الله فمـــا أغْ نى الرّجا فيك فَتيــلا

أخبار أبي محمد التيمي

نسبه وولاؤه

هو: عبد الله بن أيوب. ويُكنى: أبا محمد، مولى بنى تَيم، من أهل الكوفة.

طبقته وشيء عنه

من شعراء الدولة العباسية. أحد الخلعاء المُجّان الوصّافين للخمر.

وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ونديماً لهما. ثم اتصل بالبرامكة ومَدَحهم، واتصل بيزيد بن مَزيد، ولم يزل منقطعاً إليه حتى مات.

أجاز بيتاً لإبراهيم الموصلي من شعر مدح فيه الفضل

وحكى إبراهيم الموصلي قال: قلت:

* وُصفُ الصدُّ لمن تَهوى فصَدّ *

ثم أُرتج عليّ، فمكثتُ عشرة أيام لا يستوى لى تمامُه، فدخل عليّ التّيمى فرآنى مفكراً، فقال: ما قِصتك؟ فأخبرته، فقال:

* وبدا يَمزح بالهجر فجَدّ *

ثم أتممتها فقلت:

ماله تعدل عنّى وجهَه ... وهو لا يعدله عندى أحدْ

وخرجت إلى مَدح الفضل بن الربيع، فقلت:

قد أرادوا غِرّة الفضل وهل ... تُطلب الغرّة من خِيس الأسَدْ

ملك ندفع ما نَخشى به ... وبه يصلُح منّا ما فَسد

يفعل الناس إذا ما وَعدوا ... وإذا ما فعل الفَضلُ وعَد

فضل الرشيد مرثيته على مرثية مروان

وحكى محمد الراوية ـ الذى يقال له: البندق، وكان يقرأ شعر المُحدثين على الرشيد ـ قال: قال لى الرشيد يوماً: أنشدنى مرثية مروان بن أبي حَفصة فى معن التى يقول فيها:

كأنّ الشمسَ يوم أُصيب مَعنٌ … من الإظلام مُلبسة جِلالاَ
هو الجبل الذى كانت معدّ … تَهد من العدوّ به الجبالا
أقمنا باليمامة بعد مَعن … مُقاماً لا نُريد به زِيالا
وقُلنا أين نذهب بعد مَعن … وقد ذَهب النّوال فلا نَوالا

فأنشدته إياها . ثم قال : أنشدنى قصيدة أبى محمد التّيمى فى مرثية يزيد ابن مزيد ، فهى والله أحبّ إلىّ من هذه ، فأنشدته :

أحقٌّ أنّه أودَى يزيدُ … تبيّنْ أيّها الناعى المُشيدُ
أتدرى من نَعيت وكيف فاهت … به شفتاك كان بك الصّعيد
أحامِى المجدِ والإسلام أودى … فما للأرض وَيحك لا تَميد
تأمّل هل ترى الإسلام مالتْ … دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شِيمت سيوفُ بنى نِزار … وهل وُضعت عن الخيل اللّبود
وهل تَسقى البلادَ عِشارُ مُزن … بدِرّتها وهل يَخضرّ عُود
أما هُدّت لمصرعه نِزار … بلى وتقوّض المَجد المَشيد
وحلّ ضَريحَه إذ حلّ فيه … طريفُ المَجد والحَسب التليد
أمَا والله لا تنفكّ عينى … عليك بدَمعها أبدًا تجُود
فإنْ تَجمد دُموعُ لئيم قوم … فليس لدَمع ذى حَسب جُمود
أبعد يزيدَ تختزن البَواكى … دُموعاً أو تُصان لها خُدود
لِتَبْكك قُبة الإسلام لمّا … وَهتْ أطنابُها ووَهى العَمود
ويَبْككَ شاعرٌ لم يُبْق دهرٌ … له نَشباً وقد كَسد القصيد
فمن يدعو الإمامَ لكُلّ خَطب … يَنُوب وكُل مُعضلة تؤُود

ومن يدعو الخميس إذا تعايا بحيلة نفسه البطلُ النَّجيد (١)
فإن يَهلك يزيدُ فكلُّ حَيٍّ فَريسٌ للمنيَّة أو طَريد
ألم تَعجب له أنّ المنايا فَتكْنَ به وهُنّ له جُنود
لقد عزّى ربيعةَ أنّ يوماً عليها مثلَ يومك لا يعود

قال : فبكى هارون الرشيد بُكاء شديداً أتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سُكّرجة لملأها من دُموعه .

أجاز للأمين شعراً أنشده في غلامه

وذُكر أنه لما حاصر طاهرُ بن الحُسين بعساكر المأمون بغدادَ ، وبها محمد الأمين ابن الرشيد محصور ، خرج كوثر غلامه ليشاهد الحرب ، فأصابته رَجمة في وجهه ، فجلس يبكي ، وكان محمد الأمين شديدَ الشغف به ، فوَجِد الأمين لما جيء به ، جعل يمسح الدم عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرّة عَيني ومن أجلي ضَربُوهُ
أخذَ الله لقَلْبي من أُناس رَجموه

وأراد زيادة الأبيات فلم يُواته ، فقال للفضل بن الربيع : مَن ها هنا من الشعراء ؟ فقال : الساعةَ رأيت عبد الله بن أيوب التّيمي . فقال : عليّ به . فلما دَخل أنشده محمدٌ الأمين هذين البيتين ، وقال : أجِزها . فقال :

ما لِمن أهوى شبيهٌ فبه الدُّنيا تتيهْ
وَصْله حُلوٌ ولكنْ هجره مُرٌّ كَريه
مَن رأى الناسُ له الـ فضلَ عليهم حَسدوه
مثل ما قد حسد القا ئمَ بالمُلك أخوه

وقال محمد الأمين : أحسنت والله ! هذا خير مما أردنا ، بحياتي يا عبّاس إلا

(٢) في التجريد : « المجيد » .

نظرتَ : فإن كان جاء على الظهر ملأْت أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء فى زَورق ملأته له . فأُوقرت له ثلاثة أبغل دراهم .

صلته بالمأمون

فلما قُتل محمد الأمين وصفت الدنيا للمأْمون خرج أبو محمد التَّيمى إلى خُراسان قاصداً المأْمون وامتدحه ، فلم يأْذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ذى الرياستين ، وزير المأْمون ، ولجأ إليه وامتدحه ، فأَوصله إلى المأْمون ، فلما سلّم عليه ، قال له المأْمون : إيه يا تَيمى :

مثل ما قد حسد القا ئمَ بالمُلك أخوه

فقال التَّيمى : بل أنا الذى أقول :

نُصر المأمون عبد الله لمّا ظلموه
نُقض العهد الذى كا نُوا قديماً أَخذوه
لم يُعامله أخوه بالذى أَوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة امتدحه بها :

جَزعتَ ابنَ تَيم أنْ علاك[1] مَشيبُ وبانَ شبابٌ والشّباب حَبيبُ

فلما أنشده إياها وفرغ منها ، قال له : قد وهبتُك لله عزّ وجل ولأخى أبى العباس ، يعنى الفضل بن سهل ، ولمرت لك بعشرة آلاف درهم .

شعره الذى فيه الغناء

وحكى أبو محمد التيمى ، قال : أنشدت محمداً الأمين أول ما وَلى الخلافة :

لا بُد من سَكرة على طَرب لعلّ رُوحاً تُدال[2] من كُرَب
تعاطَها[3] صَهباء صافيةً تَضحك عن لؤلؤ وعن ذَهب
خليفةَ الله أنت مُنتخب لخير أم من هاشم وأَب
أَكرمْ بأصلَين أنت فرعُهما من الإمام[4] المنصور فى النَّسب

(١) فى غير التجريد : « أتاك » . (٢) فى غير التجريد : «يديل» .
(٣) غير التجريد : « فعاطنيها » .
(٤) فى غير التجريد : «أكرم بفرعين يجريان به * إلى الإمام» .

فأمر له بمائتى ألف درهم ، فصالحونى على مائة ألف درهم .

وهذه الأبيات البائية هى الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار التيمى .

أخذ معنى للحجاج فضمنه شعره

وذُكر أن الحجّاج بن يوسف كتب إلى قُتيبة بن مُسلم : إنى قد نظرت فى سنّى، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدةُ عام واحد، وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقمِنٌ أن يَرِدَه. والسلام . فأخذ هذا المعنى أبو محمد التَّيمى وقال:

إذا ذهب القَرن الذى أنت فيهمُ وخُلِّفت فى قَرن فأنت غريبُ
وإن امرأً قد سار خَمسين حِجةً إلى مَنهل من وِرْده لقريب

أطعمه إسحاق وسقاه وغناه

وحكى أبو محمد التيمى قال : اجْتزْت بإسحاق الموصلى فقال لى : ادخل حتى أطعمك طعاماً صِرفاً وأسقيك شراباً صرفاً . فدخلت إليه فأطعمنى لحماً مكبّباً وشواء حارًّا وبارداً مبزّراً[1] ، وسقانى شراباً صِرفاً ، وغنّانى وحدَه مرتجلا :

ولو أن أنفاسى أصابت بحرّها حديداً إذن ظلّ[2] الحديدُ يَذُوبُ
ولو أنّ عينى أُطلقت مِن وِكائها[3] لمَا كان فى عام الجُدوب جُدوب
ولو أن سَلْمى تطلُع الشمسُ دونها وأمسى وراء الشمس وهى تَغيب
لحدّثتُ نفسى أن تُريع[4] بها النَّوى وقلت لقلبى إنهـا لقريب

فلم تزل تلك حالى حتى حُملت من بينه سكران .

استعتب ابن مسعدة فأعتبه ووصله

وذُكر أن عمرو بن مَسعدة كان عاتباً على أبى محمد التَّيمى ، فدخل التَّيمى عليه وأنشده :

(١) مبزراً ، أى متبل ، قد ألقيت فيه النوابل لتجود رائحته ويجود طعمه .

(٢) فى غير التجريد : «كاد» .

(٣) الوكاء : رباط القربة ؛ جعل حابس دمعه من هذا .

(٤) أن تريع بها النوى ، أى مخافة أن تفزعها النوى .

يا أبا الفضل كيف تغفل(١) عنى وتخلّى(٢) عند الشدائد منّى
أنسيت الإخاء والعهد والوُ دّ حديثاً ما كان ذلك ظنّى
أنا من قد بلوتَ فى سالف الدّهـ ـر مضتْ شِرّتى ولم تفنَ سنّى
فاصطنعْنى لما ينوب به الدهـ ـر فإنى أجوز فى كل فنّ
أنا ليثٌ على عدوّك سِلْمٌ لك فى الحرب فابتذلنى وصُنّى(٣)
أنا طَبٌّ بالرأى فى موضع الرأ ى مُعين على الخصيم المُعنّى
وأمين على الودائع والسـ ـرّ إذا ما هَوِيتَ أن تأتمنّى
ونديم إذا أردت نديماً ومُغنٍّ إن لم يَزُرْك مُغنِّى
وظريف عند المزاح خفيف فى الملاهى وفى الصِّبى مُتثنّى
لم تخنِّى ولم أَخُنك ولا والـ ـله ربِّى لا خُنتُ من لم يخُنِّى
إن أكن تُبتُ أو هجرتُ الملاهى وسُلافاً يُجنُّها بَطنُ دَنّ
فحديثى كالدُّر فُصّل باليا قوت يجرى فى جيدِ ظَبْىٍ أغنّ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ورضى عنه .

له فى غلام هوية وهوى الغلام جارية

وذكر أن التّيمى كان يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جوارى القيان ، وكان بها مشغولا عنه ، وكانت القينة تهوى الغلام ، فقال التّيمى :

وَيلى على أهيفَ(٤) مَشْكورِ وساحرٍ ليس بمسحورِ
نُؤْثره الحور علينا كما نُؤْثره نحن على الحُور
عُلّق مَن عُلّقه فى هوى مُنتظم الالفة مَغمور
وكل من يهواه فى أمره مُقلَّبٌ صَفقة مَقمور

(١) فى غير التجريد : « تعقل » .
(٢) تخلّى ، أى تتخلى ، فحذف إحدى التاءين . وفى غير التجريد : « أم تخلّى » .
(٣) غير التجريد : « وصلنى » . (٤) غير التجريد : « أغيد » .

مما يروى له

ومما يروى للتَّيمى :

لا تَضْرَعنّ [1] لمَخلوق على طَمع فإنّ ذاكَ مُضِرٌّ منك بالدِّين
وارغب إلى الله ممَّا فى خَزائنه فإنما هو بين الكافِ والنون
أما ترى كُلَّ من ترجو وتسأله [2] من الخلائق مِسكين ابن مِسكين

(١) غير التجريد: « لا تخضعن » .

(٢) غير التجريد : « وتأمله » .

ذكر خبر جنان مع أبي نواس

ولاؤها

كانت جِنان هذه جاريةَ آل عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى المحدِّث ، الذى كان ابن مناذر يَصحب ابنه عبد الحميد، ورثاه بعد وفاته. وقد تقدمت أخبارهما .

هى وأبونواس والشعر الذى فيه الغناء

وكانت حُلوة ، جميلة المنظر ، أديبة عاقلة ، ظريفة تَعرف الأخبار ، وتروى الأشعار ، فرآها أبو نُواس الحسن بن هانئ الحَكَمىّ الشاعر ، فاستحلاها وأحبَّها ، فعزمت سنةً على الحج ، فقال أبو نواس : والله لا يفوتنى المسيرُ معها والحج عامى هذا ، فسبقها إلى الخروج ، بعد أن علم أنها خارجة إلى الحج ، وما كان نوى الحج ، ولا سبّب خروجه إلى الحج إلا عزمُها ، وقال فى ذلك ـ وهو الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج خبر جنان مع أبى نواس :

ألم ترَ أننى أفنيتُ عُمرى ... بمَطلبِها ومطلبُها عسيرُ
فلمّا لم أجِدْ سَبباً إليها ... يُقرِّبنى وأَعيتنى الأُمورُ
حَججتُ وقلتُ قد حَجّت جنانٌ ... فيجمَعُنى وإيّاها المَسيرُ

تلبية أبى نواس بشعر فى الحج

وذُكر أنه لما حجّ لبّى بشعر ورفع به صوته ، فكان يطرَب به كل من سمعه ، وهو :

إلاهَنا ما أعدلك ... مَليكَ كُلِّ مَن مَلَكْ
لبّيك قد لبّيت لك ... لبّيك إنّ الحمد لك
والحمد والنِّعمة لك ... ما خاب عبدٌ سألك[1]
أنت له حيثُ سَلَك ... لولاك ياربّ هلَك
لبّيك إنّ الحمد لك ... والمُلكَ لا شريكَ لك

(١) غير التجريد: « أملك » . وفى الأرجوزة هنا خلاف فى مساق أشطارها .

والليل لمّا أنْ حلك والسابحات فى الفَلَك
على مَجَـارى المُنْسلك لكل نبىّ ومَلَك
وكل من أهلّ لك سبّح أو لبىّ فلك
يا مُخطئاً ما أغفلك عجّل وبادرْ أجلك
وأختم بخـير عملك

ويقال : إن أبا نواس لم يَصدُق فى حُب امرأة غير جنان .

اعتذاره إليها

وذكر أنها غضبت من كلام كلّمها به أبو نواس ، فأرسل يعتذر إليها ، فقالت للرسول : قُل له : لا بَرِح الهجران رَبعك ، ولا بلغت أملك من أحبّتك . فرجع الرسول إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره ، فقال :

فديتُكِ فِيمَ عَتْبك من كلامٍ نطقتِ به على وجهٍ جميلِ
وقولُك للرسول :عليك غيرى فليس إلى التواصل مِن سَبيل
فقد جاء الرسولُ له انكسار وحالٍ ما عليهـا من قَبول
ولو رَدّت جِنان مَردّ خـير تبيّن ذاك فى وجه الرسول

ومما قاله فيها :

جَنان إنْ جُدتِ يا مُناىَ بما آمُل لم تَقْطُر السماء دَمَا
وإن تمـادَىْ ولا تماديتِ فى مَنْعك أُصْبحْ بقَفرة رِممـا
عُلّقت مَن لو أتى على أنفُس الـ ماضين والغـابرين ما نَدما
لو نظرتْ عينُـه إلى حَجر ولّد فيـه فُتورُها سَـقما

سعره فيها بعد أن نقلت إليـه امرأة خبرها

وحكى الجمّاز قال :

كنت عند أبى نواس جالساً، إذ مرّت بنا امرأة ممن تُداخل الثَّقفيين، فسألها

عن جنان، وألحّ فى المسألة واستقصى، فأخبرْته خبرها ،وقالت : قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع : ويحك ، قد آذانى هذا الفتى وأبرمنى وضيّق علىّ الطرق بحدة نظره وتهتكه ، وقد لَهِج قلبى بذكره والفكرة فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمتُه . ثم التفتتْ فرأتنى ، فأمسكت . فسُر أبو نواس بذلك سروراً شديداً ، فلما قامت المرأة أنشد يقول

يا ذا الذى عن جَنانٍ ظلّ يُخبرنى ... بالله قُل وأعِد يا طيّب الخبرِ
قال اُشتكتك وقالت ما ابتُليت[1] به ... أراه من حيثُ ما أقبلتُ فى أثرى
ويُعمل الطَّرفَ نحوى إنْ مررتُ به ... حتى ليُخجلنى من حِدَّة النَّظر
وإنْ وقفت له كيما يكلّمنى ... فى الموضع الخلْو لم ينطق من الحصر
ما زال يفعل بى هذا ويُدْمنه ... حتى لقد صار من همّى ومن وَطَرى

شعره إلى قاض عاب عليه وقوفه مع امرأة

وذُكر أن محمد بن حفص ، قاضى البصرة ، مرّ بأبى نواس ، وهو يكلم امرأة فى الطريق ، فقال له : اتق الله . فقال : إنها حُرمتى أيها القاضى . قال : فصُنْها عن هذا الموضع وانصرف عنها . فكتب إليه أبو نواس :

إنّ التى أبصرتَها[2] ... سَحَراً أكلِّمها رَسُولْ
أدّت إلىَّ رسالةً ... كادت لها نفسى تَسيل
مِن ساحر العينين يَجْـ ... ـذب خَصْرَه ردْفٌ ثقيل
مُتقلّد قوسَ الصبا ... يَرمى وليس له[3] رَسيل
فلو أنَّ أُذْنك عندنا[4] ... حتى تَسمَّع ما نقول
لسمعتَ ما استقبحتَه ... من أمرنا وهو الجميل

(١) فى التجريد : « ما بليت ».
(٢) التجريد: « أبصرتنى » .
(٣) رسيل : ند ومقابل .
(٤) غير التجريد : « بيننا » .

ثم وَجَّه بها ، فألقيت الرُّقعة فى الرِّقاع بين يدى القاضى ، فلما قرأها ضحك وقال : إن كانت رسولا فلا بأس .

شعره فى جنان فى مأتم

وذُكر أنأبا نواس أشرف من دار على منزل عبدالوهاب الثقفى ، وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجِنان واقفة مع النساء تَلْطِم وجهها ، وفى يدها خِضاب ، فقال :

يا قَمَراً أبرزه مَــــأتمُ ... يندُب شجواً بين أتراب
يَبكى فيُذْرى الدُّرّ من عَينه ... ويَلْطِم الوَرد بعُنَّــاب
لا تبْكِ مَيْتاً حَلّ فى حُفرةٍ ... وابْكِ قتيلاً لك بالباب
أبرزه المــأتمُ لى كارهاً ... برَغم دايات وحُجّاب
لا زال موتاً دأبُ أحبابه ... ودأب أن أبصره[1] دابى

وحَكى حُسين بن الضحاك قال :

أنشدنا سُفيان بن عُيينة قولَ أبى نواس :

يبكى فيُذْرى الدر من عينه ... ويَلطم الورد بعُنَّـــــاب

فعجب[2] منه ، وقال : آمنت بالذى خلقه .

وذُكر أن جِنان هَجرت أبا نواس مرة ، فأطالت هجره ، فرآها ليلة فى منامه ، وأنها قد صالحته ، فقال :

إذا التقى فى النَّوم طَيْفــانا ... عاد لنا الوصــلُ كما كانَا
يا قُرة العَين فما بالُنــا ... نَشقى ويلتذّ خَيـــالانا
لو شئتِ إذ أحسنتِ بى فى الكرى ... أتممتِ إحسانَك يَقظــانا
وعاشقَيْن اصطلحا فى الكَرى ... وأصبحــا غَضْبى وغَضبانا
كذلك الأحــلامُ غدّارة ... وربما تَصدُق أحيــانا

---

(١) فى غير التجريد : « ولا تزال رؤيته دابى » . (٢) فى غير التجريد : « فعجبت » .

وذكر أنه رآها يوماً فى ديار ثقيف، فجَبهتْه بما كره ، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولاً أتصالحه ، فرده ولم يصالحها، ورآها فى النوم تطلب صُلحه، فقال:

دسّتْ له طيفَها كيما تُصالحه ... فى النّوم حين تأبّى الصُّلحَ يقظانا

فلم يجد عند طيفى طيفُها فرجاً ... ولا رَثى لتَشكّيه ولا لانا

خشيتُ أنّ خيالى لا يكون لما ... أكونُ من أجله غَضبانا غَضبانا

جِنانُ لا تسأليني الصُّلحَ سُرعةَ ذا[1] ... فلم يكن هيّناً منك الذى كانا

(١) المسموع : سرع ذا ، بالفتح والضم ، وسرعان ذا .

أخبار ابن أبى عيينة

نسبه — أبو عُيينة : أسمه ، وكُنيته : أبو المنهال . وهو أبن محمد — وقيل . المنجاب — أبن أبى عُيينة بن المُهلّب بن أبى صُفرة . وأسم أبن أبى صُفرة : ظالم بن سُراق بن صُبح بن كِندىّ بن عَمرو بن عدىّ بن وائل بن الحارث بن العَتيك بن الأسد أبن عِمران ابن الوضّاح بن عمرو مُزيقياء بن حارثة بن الغِطريف بن أمرئ القيس البِطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد .

منزلته فى الشعر — وهو شاعر مَطبوع ظريف غَزِل هجّاء .

هجاؤه ابن عمه — وأنفذ شعره فى هجاء أبن عمّه : خالد .

هو وأخوه شاعران — وكان له أخ يُقال له : عبد الله ، شاعر ، وهو أشعر من أخيه : عبد الله .

وقيل لعبد الله : أنت أشعر أم أخيك ؟ فقال : لو كان له عِلمى لكان أشعر منّى .

شعره الذى فيه الغناء وقصته — وذُكر أن أبن أبى عُيينة كان يتعشّق فاطمةَ بنت عمر بن حَفص — الملقّب : هزار مَرْد — وكانت أمرأة جليلة نبيلة سُرّية من النساء . وكان أبوها من الشُّجعان . وتزوجها عيسى بن سليمان . فكان أبن أبى عُيينة خوفاً من أبيها وزوجها يُسِرّ عشقها ويلقّبها : دنيا ، كتماناً لأمرها . وقيل : إن دنيا كانت جارية لها .

فمما قاله فيها من الشعر، الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخباره، وهو :

تجنّى علينا آلُ مكتومةَ الذّنبا ... وكانوا لنا سَلْماً فأضحَوْا لنا حَرْبَا

يقولون : عَزَّ القلبَ عِند[1] ذهابه ... فقلتُ ألا طُوبایَ لو أنّ لى قَلْبا

---

(١) فى غير التجريد : « بعد » .

وهذا الشعر من قصيدة جيّدة من مشهور شعره ، ومنها :

وقالوا تجنَّيْنا فقلتُ أبعــدَ ما ... غلبتُم على قلبى بسُلطانكم غَصْبا
غِضاب وقــد ملّوا وُقوفى ببابهم ... ولسكنّ دُنيا لا مَلُولا ولا غَضْبى
وقد أرســلتْ فى السرِّ : إنّى بريّة ... ولم تَرَ لى فيما ترى منهم ذَنْبــا
وقالت لك العُتْبى وعندى لك الرِّضى ... وما إنْ لهم عندى رضاء ولا عُتْبَى
ونُبِّئتُها تَلْهو إذا اشتد شــوقُها ... بشِعْرى كما تُلْهِى المغنِّيةُ الشَّرْبا
فأَحببتُها حُبًّــا يَقَرُّ بعَينهــا ... وحُبِّى إذا أحببت لا يُشبه الحُبّا
فيا حسرتَى نُغِّصتُ قُربَ ديارها ... فلا زُلفــةً منها أُرجِّى ولا قُرْبا
لقد شَمِتَ الأعداءُ أن حِيل بينها ... و بينى ألا لَلشَّامتين بنــا العُقْبى

من شعره فى محبوبته

ومن جيده شعره فيها :

ضيَّعتِ عهد فتًى لعهدِك حافظٌ ... فى حِفظه عَجب وفى تَضْييعكِ
ونأَيْتِ عنه فمــا له من حِيلة ... إلاّ الوُقوف إلى أوانِ رُجوعك
متخَشِّعاً يُذْرِى عليك دموعَه ... أسفاً ويَعجب من جُمود دُموعك
إن تَقْتُليــه وتذهبى بفؤاده ... فبحُسنِ وجهك لا بحُسن صَنيعك

شعر له فيها أخذ البحترى معناه

ومن شعره فيها :

جئتُ قالتْ دُنيا علامَ نهارا ... زُرتُ هلاّ انتظرت وقتَ المساء
إن تكن مُعجباً برأيك لاتَفْ ... رَقْ فاستَحْى ياقليلَ الحياء
ذاك إذ رُوحها ورُوحى مِزا ... جان كأصفَى خَمْرٍ بأعذبِ ماء

فأخذ هذا المعنى البُحترىّ فقال :

يهتزّ مثل اهتزاز الغُصن حرّكه ... مُرور غَيْث من الوَسْمىّ سَحّاحِ

جعلتُ حُبَّكَ من قَلبى بمنزلة ... هى المُصفاةُ(١) بين الماء والرّاحِ

ما يروى له من شعر

ومما يُروى لابن أبى عُيينة :

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدًا وما هو كائنٌ سيكونُ

سيكون ما هو كائنٌ فى وقته ... وأخو الجهالة مُتْعَبٌ مَحْزون

يَسعى القوىُّ ولا ينال بسَعيه ... حظًّا ويَحظى عاجزٌ ومَهين

شعر له فى محبوبته وقد بلغه أنها تزوجت

وذُكر أن أبى عُيينة بلغه أن محبوبته التى كان يُشبِّب بها قد زُوجت ، ثم بلغه أنها تُهْدَى إلى زوجها ، فقال ـ وهو من جيد الشعر :

أرى عهدَها كالورد ليس بدائم ... ولا خَيْرَ فيمن لا يدُوم له عَهْدُ

وعهدى لها كالآس حُسْنًا وبَهجة ... له نُضرة تبقى إذا ما انقضى الوَرْد

فما وَجِد العُذرىّ إذ طال وجْدُه ... بعَفْراء حتى سَلّ مُهجتَه الوَجْد

كوَجدِى غداة البين عند الْتقاتها ... وقد شفّ عنها دون أترابها(٢) البُرْد

وقلت لأصحابى هى الشمسُ ضوؤها ... قريب ولكن فى تَناولها بُعْد

وإنى لمن تُهدَى إليه لحاسدٌ ... جرى طائرى نَحْسًا وطائرُه سَعْد

شعره فى محبوبته

ومن شِعره فى مَحبوبته ، التى كان يُسَمِّيها دنيا :

يا حُسنها يوم قالت لى مُوَدِّعة ... لا تَنْسَ ما قلتَ مِن فيها إلى أُذنى

كأنّنى لم أَصِل دُنْيا عَلانيةً ... ولم أَزُر أهل دُنيا زَوْرةَ الخَتَن(٣)

جِسْمى مَعى غير أنّ الرُّوح عندكُمُ ... فالرُّوح فى وطَن والجِسم فى وطَن

فَلْيعجب الناسُ منِّى أنّ لى جسدا ... لا رُوح فيه ولا رُوحٌ بلا بَدَن

(١) فى غير التجريد : « المصافاة » . (٢) فى التجريد : « أثوابها » .
(٣) الختن : زوج فتاة القوم . ومن كان من قبله من رجل أو امرأة .

من جيد شعره

ومن جيد الشعر قولُ ابن أبى عُيينة ، رواه عنه إسحاق الموصلى :

لا يكُن منك ما بدا لى بعينيـ ـك من الحب حيلةً[1] وخِداعا
إن يكن فى الفؤاد شىء وإلّا فدعينى لا تقتُلينى ضَياعا
فلعلّى إذا اقتربْتِ تباعد تُ وأظهرت جفوةً وامتناعا
حين نفسى لا تستطيع لما قد وقعتْ فيه من هواها ارتجاعا

شعره فى مدح داود وهجاء قبيصة

وذُكر أن ابن أبى عُيينة قصد قَبيصة بن روح بن حاتم المهلّبى ، واستماحه فلم يجد عنده ما قدّر فيه ، فخرج مُغاضباً . فوجه إليه ابنُ عمّه داود بن يزيد بن حاتم المهلّبى ، فترضّاه وأرضاه ، وبلغ ما أحبه من بِره ومعونته ، فقال يمدحه ويهجو قَبيصة :

أقبيصَ لستَ وإن جَهدْت بمُدرك سَعْى ابن عمّك ذى العُلى داوُدِ
شتّان بَينك يا قَبيص وبينه إنّ المُذمَّمَ ليس بالمحمُود
اختار داوُد بناءَ محامد واخترتَ أكْل شَبارق[2] وثَريد
قد كان مجد أبيك لو أحْيَيْته[3] رَوحٍ أبا خلف كمجد يَزيد
لكنْ جرى داوُد جَرْى مبرِّز يحْوِى المَدى وجريْتَ جَرْى بَليد
داوُد محمودٌ وأنت مُذمّم عجباً لذاك وأنتما من عُود
ولربّ عُود قد يُشَق لمسجد نصفٌ وسائره لحُشّ يهود
فالحُشّ أنت له وذاك لمسجدٍ كم بين مَوْضع مَسْلح وسُجود
هـذا جزاؤك يا قَبيص لأنه جادت يَداه وأنت قُفْل حَديد

(١) فى غير التجريد : « اللحظ ... واختداعا » .
(٢) الشبارق : جمع شبرق ، بالكسر ، وهو نبات غض يؤكل ، ثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم ، منبتها السباخ والقيعان .
(٣) فى غير التجريد : « لو أحببته » .

هجاؤه خالد بن يزيد وقصة ذلك

وذُكر أن خالد بن يزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلب ولى جُرجان، فسأل ابنَ عمه ابنَ أبى عيينة أن يصحبه ويخرج معه، ووعده الإحسان والولاية وأوسع له المواعيد. وكان ابن أبى عُيينة جُنديًّا، فجرد اسمه فى جريدته وأخرج رزقه معه، فلما حصل بجُرجان أعطاه رزقه لشهر واقتصر به على ذلك، وتشاغل عنه وجفاه. فبلغ خالداً أن ابن أبى عيينة قد هجاه وطعن عليه و بسط لسانه فيه، وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووُجوه رعيته، فلم يقدر على معاقبته لقرابته منه، فدعا به وقال: بلغنى أنك تريد أن تهرُب، فإما أن أقمت لى كفيلاً برزقك أو رددتَه. فأتاه بكفيل، فأعْنته ولم يقبله، ولم يزل يردّه حتى ضجر، فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه، فلجَّ ابنُ أبى عُيينة فى هجاء خالد وأكثر فيه حتى فضحه. فمما هجاه به من أبيات:

له مَنظر يَعمى العيونَ سَماجةً ... وإن يُختبر يوماً فيا قُبحَ مُختبرِ(١)

أبوك لنا غَيث يُعاش بوَبله ... وأنت جَرادٌ ليس يُبقى ولا يَذَر

له أثر فى المَكرمات يَسُرنا ... وأنت تُعفِّى دائماً ذلك الأثر

لقد قنعت قَحطان خِزْياً بخالد ... فهل لكِ فيه بعدها اليوم يامُضر(٢)

وذكر أنه لم يجتمع لأحــد من المُحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه، كما اجتمع لأبى عُيينة فى البيت الثانى من هذه الأبيات.

ذكر الفضل للرشيد أهجى بيت له

وذُكر أن الفضل بن الربيع قال له الرشيد، من أهجى المحدثين فى عصرنا؟ قال: الذى يقول فى ابن عمه:

(١) فى غير التجريد: «فيا سوء».

(٢) فى غير التجريد: «فهل لك فيه يخزك الله يا مضر».

لو كما ينقص يزدا　　د إذن نال السماء
خالد لولا أبـــوه　　كان والكلب سواء
أنا ما عشت عليــه　　أسوأ النـاس ثناء
إنّ من كان مُسيئاً　　لحقيقٌ أن يُســـاء

فقال الرشيد : هذا ابن أبى عيينة ، ولعمرى لقد صدقت .

أخبار دعبل الخزاعي

نسبه وكنيته

هو : دِعبل بن عليّ بن رَزِين بن سُليمان بن تَميم بن نَهشل بن خِراش بن خالد ابن عبد الله بن دِعبل بن أنس بن خُزيمة بن سَلامان بن أَسْلم بن أَفْصى بن حارثة ابن عَمرو بن عامر بن مُزيقياء . وقد تقدم بقية النسب . ويكنى : أبا علي .

شاعر هجاء

شاعر متقدم مَطبوع هجّاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم، ولا ذو نباهة ، أحسن إليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير .

تشيعه وقصيدته التائية

وكان شديد التعصب للقحطانية على النِّزارية ، وكان شيعيًّا . وله القصيدة التائية المشهورة في مدح أهل البيت عليهم السلام ، التي أولها :

مدارس آيات خَلَتْ من تلاوة ومنزل وَحْي مُقفر العَرَصاتِ
أُناس عليٌّ الخيْر منهم وجعفر وحمزة والسجّاد ذو الثفِنات (1)
إذا فَخروا يوماً أتوا بمحمد وجبريل والقرآن (2) والسُّورات

يقول فيها :

ألم تر أنّي من ثلاثين حِجةً أروحُ وأغدو دائمَ الحَسرات
أرى فَيْئَهم في غيرهم مُتقسَّما وأيديهمُ مِن فَيْئهم صَفِرات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ تقطّع قلبي إثرهم حَسَرات

بينه وبين الرضى وقد أنشده هذه القصيدة

وقصد بهذه القصيدة الرضى أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، رضى الله عنهم ، بخُراسان ، وكان المأمون قد أخذ بيعة الناس له بولاية العهد ، وأنه الخليفة بعده ، وأمر بنزع السواد ولباس الخُضرة .

---

(1) الثفنات : جمع ثفنة ، وهي الركبة ، يعني أن طول السجود أثر في ثفناته .

(2) غير التجريد : « والفرقان » .

قال دعبل : فلما دخلت على علىّ بن موسى الرضى ، قال لى : أنشدنى شيئاً مما أحدثت بعدنا ، فأنشدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مُقفر العَرصات

حتى انتهيتُ منها إلى قولى :

إذا وُتِروا مدُّوا إلى واتِريهمُ أكُفًّا من الأوتار مُنقَبِضَات

قال : فبكى حتى أغمى عليه ، وأومأ إلىّ خادم على رأسه : أن اسكت . فسكت ، فمكث ساعة ، ثم قال لى : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا الموضع أيضاً ، فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الأولى . وأومأ الخادم إلىّ : أن اسكت . فسكت . ثم مكث ساعة أخرى ، ثم قال لى : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها . فقال لى: أحسنت ، ثلاث مرات. ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضُرب باسمه . ولم تكن وقعتْ إلى أحد بعدُ . وأمر لى مَن فى منزله بحَلى كثير ، أخرجه إلىّ الخادم . قال : فقدمت العراق فبعتُ كل درهم منها بعشرة دراهم ، اشترتها منى الشيعة . فحصل لى مائة ألف درهم . فكان أول مال اعتقدته .

استوهب على الرضى ثوبا

وذُكر أنّ دعبلا استوهب علىّ الرّضى ثوباً قد لَبسه ليجعله فى أكفانه ، فخلع جُبة كانت عليه وأعطاه إياها . وبلغ أهل قُم[1] خبرُها ، فسألوا دعبلا أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم ، فلم يفعل . وخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصباً وقالوا : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم . فقال : إنى والله لا أعطيكم إياها طوعاً ولا تنفعكم غصبا . وأشكوكم إلى الرضى عليه السلام . فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين الألف الدرهم وفَرْد كُمٍّ من بطانتها . فرضى بذلك ، فكانت فى أكفانه . وكتب القصيدة التى أولها « مدارس آيات» فى ثوب ، وأحرم فيه لما حج ، وأمر بأن يكون فى أكفانه .

(١) قم : مدينة إسلامية مستحدثة ، تذكر مع قاشان .

بقى عمره هارباً

ولم يزل دعبل مرهوب اللسان، وخائفاً من هجائه الخلفاء، فهو دهرَه كله هارب متوارٍ، وكان يقول: أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة، ولستُ أجد أحداً يصلبُنى عليها.

ما بين ابراهيم بن المهدى والمأمون فى هجائه

وذُكر أن إبراهيم بن المهدى قال يوماً للمأمون قولاً فى دعبل يحرِّضه عليه. فضحك المأمون وقال: إنما تحرّضنى عليه لقوله فيك:

يا مَعشر الأجناد لا تَقنطوا — وارضَوْا بما كان ولا تَسْخَطُوا
فسوف تُعطَوْن حُنَينيّةً[1] — يلتذُّها الأَمرد والأشْمط
والمَعبديات[2] لقُوّادكم — تَدخل الكِيس[3] ولا تُرْبط
وهكذا يُرزق قُوّادكم — خليفة مُصحفه البَرْبَط[4]

فقال إبراهيم: قد والله هجاك أنت أيضاً يا أمير المؤمنين. قال: دع هذا عنك، فقد عفوت عنه فى هجائه إياى لقوله هذا، وضحك. ثم دخل أبو عبّاد وزير المأمون، فلما رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم: دعبل يجسُر على أبى عباد بالهجاء ويُحجم عن أحد. فقال له إبراهيم: وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين. قال: لا، ولكنه حديد جاهل لا يؤمن، وأنا أحلم وأصفح، والله ما رأيت أبا عبّاد مُقبلاً إلا أضحكنى قول دعبل فيه:

أَولى الأمور بضَيعة وفساد — أمر يدبِّره أبو عبّادِ
وكأنه من دَير هِزْقَلَ[5] مُفْلتٌ — حَرِدٌ[6] يجُرُّ سَلاسل الأقْياد

حر فى تشطره

وذُكر أن دِعبلاً كان أول أمره يتشطّر ويصحب الشُّطّار، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعَتمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله. فلما طَلع مُقبلاً إليهما وثَبا عليه فجرحاه وأخذا

(١) حنينية: نسبة إلى حنين، رجل يضرب به المثل فى الرجوع عن الحاجة بالخيبة.
(٢) المعبديات: سبعة أصوات تنسب إلى معبد المغنى.
(٣) الرواية فى غير التجريد: « لا تدخل الكيس ». (٤) البربط: العود.
(٥) دير هزقل: بين البصرة وعسكر مكرم. (٦) حرد: منفرد.

ما فى كُمه ، فإذا هى ثلاثُ رمانات فى خرقة ، ولم يكن كيسه معه . ومات الرجل فى مكانه . واُستتر دِعبل وصاحبه . وجدَّ أصحابُ القتيل فى طَلبهما . وجدّ السلطان فى ذلك . فطال على دِعبل الاستتار واضطرُ إلى أن هرب من الكوفة ، فما دخلها حتى كتب أهله إليه : إنه لم يبق من أولياء القتيل أحد .

سرقته من مسلم

وقيل : لما قال مُسلم بن الوليد صريع الغوانى :

مُستعبر يَبكى على دِمنة ورأسه يَضحك فيه المَشِيبْ

سَرقه دعبل فقال :

لا تعجبى يا سَلْمُ من رجل ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبَكَى

فجاء أجودَ من قول مُسلم ، فكان أحقَّ به . وهذا البيت فيه غناء ، وقبله :

أين الشباب وأيةً سلكا لا أين يُطلب ضلّ بل هَلكا

وبعده :

يا ليت شعرى كيف نَوْمكما يا صاحبىّ إذا دَمى سُفِكا

لا تأخُذا بظُلامَتى أحدا قلبى وطَرْفى فى دَمى اُشتركا

رثاؤه ابن عم له

وذُكر أن دعبلا نُعى إليه اُبن عم له من خُزاعة ، فقال يرثيه ـ قال محمد بن يزيد المبرد : ولقد أحسن فيها ما شاء :

كانت خُزاعة ملءَ الأرض ما اتسعت فقصَّ مَرُّ الليالى من حَواشيها

هذا أبو القاسم الثاوى ببَلقعة تسفى الرِّياح عليها من سوافيها

هبّت وقد علمتْ أنْ لا هُبوب به وقد يكون حسيرًا إذ يُباريها

أَضحى قِرًى للمنايا إذ نَزلن به وكان فى سالف الأيام يَقْريها

وذُكر أن هذه الأبيات قالها دعبل فى أبى القاسم المُطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى .

هو وابن المدبر

وحكى إبراهيم بن المدبِّر ، قال : لقيت دعبل بن علىّ ، فقلت : أنت أحسن الناس حيث تقول :

إنى من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرّفتك بمقعدِ
رفعوا محلّك بعد طول خموله ... واستنبطوك من الحضيض الأوهد

فقال : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبنى عليها .

قلت : وهذان البيتان من أبيات يهجو بها دعبلٌ المأمون ، ويعيِّره بأنه لولا طاهر بن الحسين ونصره له لما استتبّ أمره .

هجاؤه المعتصم

وقال دعبل يهجو المعتصم ، وكان بلغه أنه يريد اغتياله فهرب معه إلى الجبل:

بكى لشتات الدِّين(١) مكتئبٌ صبٌّ ... وفاض بفرط الدّمع من عينه غربُ
وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دينٌ وليس له لبّ
وما كانت الأنباء(٢) تأتى بمثله ... يُملَّك يوماً أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السّلف الماضين إذ عظُم الخطب
ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامنٍ منهم(٣) الكتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة ... كرام(٤) إذا عُدُّوا وثامنهم كلب
وإنى لأُعلى كلبَهم عنك رفعةً ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع مُلك الناس إذ ساس مُلكهم ... وصيفٌ وأشناس فقد عظُم الكرب
وفَضْل بنى مروان يُثلم ثلمة ... يظل لها الإسلام ليس له شَعْب

(١) فى التجريد : « البين » . (٢) فى التجريد « الأنباء » .
(٣) فى غير التجريد : « لهم كتب » . (٤) فى غير التجريد : « خيار » .

معارضته ابن الزيات فى رثائه المأمون

ولما مات المعتصم قال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات :

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا   فى خير قبرٍ لخير مدفونِ
أذهب فنعم الحفيظ كنت على الدّ   نيا ونعم المعين فى الدّين
لن يجبر الله أمة فقدت   مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل بن علىّ يعارضه :

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا   فى شرّ قبر لشرّ مدفون
أذهب إلى النار والجحيم[1] فما   خلْتك إلّا من الشّياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من   أضرّ بالمسلمين والدّين

شعره فى موت المعتصم وخلافة الواثق

وقيل ، لما بلغ دعبلًا نعيُ المعتصم وخلافةُ ابنه الواثق قال :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جَلَدُ   ولا رُقاد إذا أهلُ الهوى رقدُوا
خليفةٌ مات لم يحزن له أحد   وآخرٌ قام لم يفرح به أحد
فمرّ هذا ومرّ الشؤم يتبعه   وقام هذا فقام الشُّؤم والنّكد

قلت: روى نِفْطويه[2] فى تاريخه ، وغيره : أن الواثق لما ولى الخلافة جاء دِعبل بهذه الأبيات ، فأعطاها لبعض الحجّاب ، فأوصلها إلى الواثق ، فلما قرأها الواثق غضب وطلب دعبلا ، فهرب ولم يقدر عليه .

خبر إنشاد ابن مهرويه لابن أبى داود شعراً لدعبل فيه

وحكى القاسم بن مَهْرَويه قال :

كنت عند أحمد بن المُدبّر ليلة فأنشدتهُ لدعبل فى القاضى أحمد بن أبى دُواد :

إن هذا الذى دُواد أبوه   وإيادٌ قد أكثر الأنباءَ
ساحقتْ أمه ولاط أبوه   ليت شِعرىَ عنه فمِن أين جاء
جاء من بين صخرتَين صَلودَيْ   ن عقامَيْن يُنبتان الهباء
لا سِفاح ولا نِكاح ولا ما   يُوجب الأمّهات والآباء

(١) غير التجريد : « والعذاب » .

(٢) هو أبو عبد ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدى العتكى ، ومن كتبه : كتاب التاريخ . (الفهرست) .

فاستعادها أربعَ مرات ، فظننتُ أنه يريد أن يحفظها ، ثم قال : جئنى بدِعبل حتى أُوصله إلى المتوكل . فقلت له : دِعبل مَوْسوم بهجاء الُخلفاء والتشيُّع ، وإنما غايته أن يخْمُل ذكره ، فأمسك عنى . ثم لقيت دعبلا ، فحدثته . فقال : لو حضرت أنا أحمد بن المدبّر لما قدرت أن أقول أكثر مما قلت .

شعر له كتب به إلى أبى نهشل

وحكى دِعبل قال :

كتبت إلى أبى نَهشل بن حُميد :

إنما العيش فى مُنادمة الإخـ وان لافى الُجلوس عند الكِعَابِ
و بِصِرْف كأنها ألسُن البَر ق إذا استعرضت رَقيق السّحاب
إن تكونوا تركتمُ لذة العَيـ ش حِذارَ العِقاب يوم العِقاب
فدعُونى وما ألذّ وأهـوى وادفعُوا بى فى نَحر يوم الحساب

بينه وبين مبتدئ فى الشعر

وحكى دعبل قال :

كان لى صديق مُتخلف يقول شعراً فاسداً وأنا أنهاه عنه ، فأنشدنى يوماً :

إن ذا الُحب شديد ليس يُنجيه الفرارُ
ونجا من كان لا يعشق من ذُل الُمخازى

فقلت : هذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء والثانى على الزاى . فقال : لا تنقطه . فقلت : إن الأول مرفوع والثانى مكسور . فقال : أنا أقول له لا تنقطه وهو يَشْكله .

حديثه عن شعره

وذُكر أنّ دعبلا قال :

مكثت ستّين سنة ليس من يومٍ ذَرّ شارقُه إلا وأنا أقول فيه شعرا .

بين المأمون وأبى دلف وابن طاهر فى شأنه

وحكى عمرو بن مَسعدة قال:

حضرت أبا دلف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أى شىء يروى لأخى

خزاعة يا قاسم ؟ قال : وأى إخوة خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ قال : أما مِن أنفسهم فأبو الشِّيص ، ودِعبل ، وداوود بن رَزِين ؛ وأما من مواليهم فطاهر ، وأبنه عبد الله . فقال . ومن عسى من هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دِعبل ! هات أى شىء عندك فيه . قال : وأى شىء عندى فى رجل لم يُسلِّم عليه أهلُ بيته حتى هجاهم ، فقَرَن إحسانهم بالإساءة ، وبَذْلهم بالمَنع ، وجُودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة لهم بإزاء سيئة . قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المُطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق الناس وأقربهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه وولّاه ، فلم يمنعه ذلك من أن قال فيه :

أضربْ ندَى طَلحة الطلحات مبتدئاً(١) بلُؤم مُطَّلب فينا وكُن حَكَما
تُخْرِج خُزاعة من لؤم ومن كرم فلا تُحِسّ لها لُؤماً ولا كَرَما

فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وألطفه وأدهاه ! وجعل يضحك . ثم دخل عبد الله بن طاهر ، فقال : أى شىء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقال : أبياتاً فى أهل بيت أمير المؤمنين . قال : هاتِها . فأنشده قولَ دعبل :

سَقْياً ورَعْياً لأيام الصَّبابات أيامَ أرفُل فى أثواب لذّاتى
أيامَ غُصْنى رطيبٌ من لَيانته أصبُو إلى غير جاراتٍ وكَنّات
دعْ عنك ذِكر زمان فات مَطلبُه وأقذف برَحْلك عن مَتْن الجهالات
وأقْصِد بكل مَديح أنت قائله نحو الهُداة بنى بيت الكَرامات

فقال له المأمون : إنه وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله من غيرهم . ثم قال المأمون : لقد أحسن فى وصف سفر سافَره فطال ذلك السفر عليه ، فقال :

---

(١) فى غير التجريد : « متئدا » .

ألم يَأْنِ للسَّفْر الذين تحمّلوا إلى وطن قبل الممات رجوعُ
فقلتُ ولم أملك سوابقَ عَبرة نطقْن بما ضُمّت عليه ضُلوع
تبيّن فكم دارٍ تفرّق شملُها وشملٍ شتيتٍ عاد وهو جميع
طُوال[1] الليالى صَرْفُهنّ كما ترى لكل أناس جَدْبة ورَبيع

ثم قال: ما سافرت قطّ إلا كانت هذه الأبيات نُصْبَ عينى فى سَفرى وهِجِّيراى، ومُسايتى حتى أعود.

هو والسراج فى حضرة المطلب وقصة ذلك

وحكى دعبل قال:

حججتُ أنا وأخى رَزين، وأخذنا كُتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك الُخزاعى، وهو بمصر يتولاها، وصحِبنا رجلٌ يُعرف بأحمد بن فلان السراج ـ نسى الراوى عن دعبل اسمه ـ فما زال يُحدِّثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خِدْمتنا كما يتولّاها الرفقاء والأتباع، ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً ولم نعلم، وكَتَمَنا نفسه، وقد علم ما قصدْنا له فعَرَضْنا عليه أن نقول قصيدة فى الُمطّلب وننحله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا سُروراً وتقبُّلا له. فعَملنا له قصيدة، وقلنا له تُنْشدها الُمطلب فإنك تَنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصر، فدخلنا على الُمطلب، فأوصلنا إليه كُتباً كانت معنا، وأنشدناه فسُر بموضعنا، ووصفْنا له أحمد السّراج هذا وذكرنا له أمره، فأذن له فدخل عليه ونحن نظن أنه ينشده القصيدة التى نحلناه إياها. فلما مَثَل بين يديه عدل عنها وأنشده:

ما جئتُ[2] مُطَّلباً إلا بمُطَّلب وهمةٍ بلغتْ بى غايةَ الرُّتبِ
أفردتُه برجائى أن تُشاركه فىّ الوسائلُ أو ألقاه بالكُتُب

وأشار إلى كُتبى التى أوصلتها إليه، وهى بين يديه. فكان ذلك أشدَّ شىء مرّ بى منه، ثم أنشده:

---

(١) فى غير التجريد: «كذاك». (٢) غير التجريد: «لم آت».

رحلتُ عَنْسًا[1] إلى البيت الحرام على ... ما كان من وَصَبٍ فيها ومن نَصَبِ
ألقى بها وبوَجهى كلَّ هاجرة ... تكاد تَقْدح بين الجِلْد والعَصَب
حتى إذا ما قَضت نُسْكى ثَنيت لها ... عِطْف الزِّمام فأَمّت سيِّد العَرب
فيمَّمْتك وقد ذابتْ مفاصلُها ... من طول ما سَغَبٍ لاقت ومن تَعب[2]
إنّى أستجرْتُ بأَسْتارين[3] مُسْتلماً ... رُكْنين مُطَّلباً والبيتَ ذا الحُجب
فذاك للأَجَل المَرْجُوّ أَلْمسه ... وأنت للعاجل المأْمول والطَّلب
هذا ثنائى وهذى مِصرُ سانحةٌ ... وأنت أنت وقد ناديتُ من كَثَب

قال : فصاح مُطَّلب : لبيك ، لبيك . ثم قام إليه فأخذ بيده وأجلسه معه ، ثم قال : يا غلام : البِدَر ، فأُحضرت . ثم قال : الخِلع ، فنُشرت . ثم قال : الدواب ، فقِيدت . فأمر له من ذلك بما ملأ عينيه وأعيننا وصُدورنا وحسدناه عليه . وكان حَسدنا بما اتفق له من القَبول وجودة الشعر ، وغَيظنا بكتمانه إيانا نفسه واحتياله علينا ، أكثر وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخَرجنا صفرا .

والقصيدة التى مدح بها دِعبل المُطَّلب ، هى التى يقول فيها :

أبعدَ مصر وبَعد مُطَّلب ... ترجو الغِنى إنّ ذا مِن العَجَبِ
إن كاثرونا جِئنا بأُسرته ... أو واحدونا جِئنا بمُطَّلب

هجاؤه المطلب وعزل المطلب له عن أسوان

ثم إن المُطلب ولَّى دعبلاً أسوان ، وهجا دعبلَ المطلبَ بعد ذلك بما تقدم ذكره ، بقوله :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عيسى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما نعب لاقت ومن نقب » .
(٣) روى أبو الفرج : « قال ابن المرزبان : حدثنى من سأل الرياشى عن قوله : أستارين . قال : يجوز على معنى : أستار كذا ، أو أستار كذا » .

تُعلِّق(١) مِصْرٌ بك المُخزيا ... ت وتبصق فى وجهك المَوصِلُ

وعاديتَ قَوْماً(٢) فما ضَرّهم ... وشرّفت قوماً فلم يَنْبُلُوا

شِعارُك عند الحروب النَّجاء ... وصاحبك الأخْور الأفْشل(٣)

فأنت إذا ما التقَوْا آخــر ... وأنت إذا انهزموا أوّل(٤)

ولما بلغ المُطَّلب هِجاء دِعبل إياه عَزله عن أُسوان ، وأنفذ إليه كتاب عزله مع مولى له ، وقال له : انتظره حتى يَصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل إليه الكتاب وأمنعه من الخطبة ، وأنزله عن المنبر وأصعد مكانه . فلما أن علا المنبر تنحنح ليخطبَ ، فناوله الكتاب . فقال له دِعبل : دعنى حتى أخطب فإذا نزلت قرأته . فقال : لا ، قد أمرنى أن أمنعك الخطبة حتى تَقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر مَعزولا .

من مديحه للمطلب

ومما مدح به دِعبلٌ المطلبَ :

زَمَنى بمُطّلب سُقِيتَ زمانا ... ما كنتَ إلا روضـةً وجنانَا

كل النَّدى إلّا نداكَ تــكلُّف ... لم أرض بعدكَ كائناً من كانا

أصلحتنى بالــبرِّ بل أفسدتنى ... وتركتَنى أتسخَّط الإحسانا

مهاجاته أبا سعد المخزومى

وذُكر أن دعبلا كان يُهاجى أبا سعد المَخزومى ، فقال كل واحد منهما فى صاحبه شعراً كثيراً لم يروه إلا العلماء بالشعر . فلما قال دعبل فى أبى سعد :

يا أبا سعد قَوْصره(٥) ... زانِى الأُخت والمَــره

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تنوط » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وضعت رجالا » .

(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

شعارك فى الحرب يَوْمَ الوغى * إذا انهزموا عجلوا عجلوا

(٤) الرواية فى بعض أصول الأغانى :

فأنت لأولهم آخــر * وأنت لآخرهم أول

(٥) القوصرة ، بتشديد الراء وتخفف : وعاء للتمر ، وكناية عن المرأة .

حفظ ذلك صبيان الكُتّاب ومارّة الطريق والسِّفل فلهجوا به . فما اجتاز المخزومىُّ بعد ذلك بموضع إلا سمع هذا الشعر من السِّفل ، فمنهم من يعرفه فيعيبه به ، ومنهم من لا يعرفه فيَسمعه منه لخفّته على لسانه .

خبره مع أبى سعد عن مصالحته ثم تهاجيهما

وحكى دعبل قال :

جاءنى أبو سعد المخزومى يوماً ببغداد أشدّ ما كان بينى وبينه من الهجاء ، وبين يدى صحيفة ودواة وأنا أهجوه فيها . إذ دخل علىّ غلامى فقال لى : أبو سعد المخزومى على الباب . فقلت له : كذبت . فقال : بلى والله يامولاى ، هو أبو سعد . فأمرته فرفع الدواة والجلد والذى كان بين يدى ، وأذنت له فى الدخول ، وجعلت أحمد الله فى نفسى وأقول : الحمد لله الذى أصلح ما بينى وبينه من هَتك الأعراض وذِكر القبيح ، وكان الابتداء منه ، فقمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأظهرت له مثل ذلك من السرور به ، ثم قلت : أصبحت والله حاسداً لك . قال : على ماذا يا أباعلى؟ فقلت : لسبقك إياى إلى الفضل . فقال : أنا اليوم فى دعوتى[1] عندك . فقلت : ما أحببت . فقال : إن كان عندك ما نأكله وإلا ففى منزلى شىء مُعد . فسألت الغلمان ، فقالوا : ما عندنا إلا قِدر أمسية . فقال : غاية واتفاق جيد ، فهل عندك شىء نشرب به ، وإلا وجهتُ إلى منزلى ففيه شراب مُعد . فقلت له : عندنا ما نشرب . فطرح ثيابه وردّ دابته وقال : أحب ألّا يكون معنا غيرنا . فتغدينا وشربنا ، فلما أخذ الشراب منه قال : مُر غلاميك يُغنيانى . فأمرت الغلامين فغنّياه ، فطرب وفرح واستحسن الغناء ، حتى سرنى وأطربنى معه . ثم قال : حاجتى إليك يا أبا علىّ أن تأمرهما بأن يغنيانى فى هجائك لى . وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه منى فى هجائه قد حفظا منه أشياء ولحّناها . فقلت له : سبحانك الله يا أبا سعد ، قد طفئت النائرة وذهبت العداوة وانقطع الشر ، فما

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى دعوى » .

حاجتك إلى هذا ؟ قال : سـألتك بالله إلا فعلت ، فليس يشُق ذلك علىّ ، ولو كرهته لما سألته . فقلت فى نفسى : تُرى أبا سعد يمّاجن علىّ ؟ يا غلمان ، غنّوه بما يريد . فقال : غنوا :

يا أبا سعـــد قَوصره زانىَ الأخت والمَـره

فغنّوه ، وهو يحرك رأسه وكتفيه ويُصفق ويطرب ، فما زلنا يومنا مسرورين . فلما ثمل ودّعنى وقام وانصرف ، وأمرتُ غِلمانى فخرجوا معه إلى البـاب ، فإذا غلام منهم قد انصرف إلىّ بقطعةِ قرطاس وقال : دَفعها إلىّ أبو سعد وأمرنى أن أدفعها إليك ، فإذا فيها :

لدعبلٍ نعمةٌ يمُتّ[1] بهـــا فلستُ حتى الممات أنساها
أدخلنـــا داره فأطعمنا[2] ودسّ أُمرأتـــه فنِـكْناها

فقلت : ويلى على أبن الفاعلة ، هاتوا جلدةً ودواة. فردُّوهما علىّ ، فعُدت إلى هجائه . ولقيته بعد ذلك بيومين أو ثلاثة ، فما سلّم علىّ ولا سلّمت عليه .

تحريضه الصبيان على أبى سعد

وحكى دعبل قال :

لما هاجيت أبا سعد المخزومى أخذتُ معى جوْزًا ودعوت الصبيان وأعطيتهم وقلت: صيحوا :

يا أبا ســـعد قَوصره زانى الأُخت والمـــره

فصاحوا به ، فغلبتهُ .

بين المأمون والمخزومى فى شأنه

وحكى أبو سعد المَخزومى ـ وهو عيسى بن خالد بن الوليد ـ قال : أنشدت المأمون قصيدتى التى رددتُ فيها على دِعبل قولَه :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سنة يمن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أدخلنا داره فأكرمنا » .

ويَسومنى المأمون خُطة عاجز أوَ ما رأى بالأمس رأسَ مُحَمَّدِ

وأول قصيدتى :

أخذ المشيبُ من الشباب الأغْيَدِ والنائباتُ من الرجالِ بمَرْصَدِ

ثم قلت : يا أمير المؤمنين : إيذن لى فى أن أجيئك برأسه ؟ فقال : لا ، هذا رجل فخر علينا ، فأما قتله فلا حُجة فيه .

قصيدته فى مدح الرضى وهجاء الرشيد وسبب ذلك

وكان المأمون لما أخذ البيعة بولاية العهد لعلىّ الرِّضى أضطربت عليه العراق ، وخرج بها عليه عمُّه إبراهيم بن المهدى . فسار المأمون من خراسان إلى العراق ومعه الرِّضى ، فلما وصل إلى طُوس تُوفى بها الرّضى ـ رحمه الله . فقيل : إن المأمون سَمَّه . ودُفن بطُوس إلى جانب قبر الرشــيد . وأظهر المأمون الجزع عليه . فقال دعبل قصيدةً يمدح بها أهلَ البيت ـ عليهم السلام ـ يذكر دفن الرِّضى عند الرشيد ، ويمدح الرِّضى ويهجو الرشيد ، فمنها :

وليس حىٌّ من الأحياء نَعلمه من ذى يَمان ولا بَكْر ولا مُضَرِ

إلّا وهم شُركاء فى دِمائهمُ كما تشارك أيسار على جُزُر[1]

قَتْل وأسْر وتَحْريق ومَنْهبــة فعلُ الغُزَاة بأرضِ الرُّوم والخزر

أرى أميـــة مَعذورين إن قَتلوا ولا أرى لبنى العبّاس من عُذر

أُربَعْ بطُوس على القبر الزَّكى إذا ما كنتَ ترْبع من دين إلى[2] وطر

قبران فى طُوس : خيرُ الناس كلهمُ وقبرُ شرّهمُ هذا من العِبَر

ما ينفع الرِّجس من قُرب الزَّكى ولا على الزَّكىّ بقُرب الرِّجس من ضَرر

هيهات كل أمرىء رَهْن بما كسبت له يداه فخُذ ما شئت أو فَذَر

(١) الأيسار : جمع ياسر ، وهو الذى يلى قسمة الجزور .

(٢) التجريد : « دين على » .

هو والمأمون وطاهر فى هجاء عم المأمون

ولما بلغ المأمونَ هجاءُ دِعبل لعمّه إبراهيم بن المهدى بقوله :

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن[1] يَرِث الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقِ
إن كان إبراهيم مُضطلعاً بها فلَتَصْلُحَنْ من بعده لُمخارق
ولتصلحنْ من بعد ذلك لزَلْزل ولتصلحنْ من بعده للمارِق

ضحك ، فقال : قد صفحنا عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق المغنى فى الخلافة ، وولّاه عهده ، وكتب إلى طاهر بن الُحسين بالأمان له ، وأمر له بمال . فأجازه طاهر وخلع عليه ، وأشار عليه بقَصد المأمون . فلما دخل عليه قال : أنشدنى قولك :

مَدارس آيات خلتْ من تلاوة ومَنزل وحْى مُقفر العرَصات

فجزع دعبل . فقال : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتُها ولكن أُحب سماعها من فِيك . فأنشده إياها إلى آخرها ، والمأمون يبكى ، حتى اخضلّت لحيته بدُموعه :

إنشاده ابن طاهر وبر ابن طاهر له

وذُكر أنه دخل دِعبل على عبد الله بن طاهر ، فأنشده :

جئتُ بـلا حُرمة ولا سَبب إليك إلّا بحُرمـة الأَدبِ
فاقض ذِمامى فإننى رجـلٌ غيرُ مُلحٍّ عليك فى الطّلب

فانتعل عبدُ الله بن طاهر ودخـل إلى الحُرم ووجّه إليه بألف درهم ، وكتب إليه :

أعجلتَنا فأتاك عاجلُ بِرِّنا ولو انتظرتَ كثيرَه لم يَقْلُلِ
فخُذ القليلَ وكُن كأنك لم تَسل ونـكون نحن كأنّنا لم نَفعل

(١) فى بعض أصول الأغانى : * أنى يكون و ليس ذاك بكائن *

حديث موته

وذُكر أن دعبلا هجا مالك بن طَوق هجاء قبيحاً، فطلبه، فهرب إلى البصرة، وعليها إسحاق بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، وكان قد بلغه هجاء دعبلٍ النِّزارية، فظفر به إسحاق وأمر به فضُرب العصىّ حتى سَلَحَ، ثم أمر به فألقى على قفاه، وفتح فمه ورد السَّلح فيه، والمقارع تأخذ رجليه، وإسحاق يحلف ألاّ يكُف حتى يبلع سَلحه كله أو يقتله. فما رُفعت المقارع حتى بلع سلحه كله. ثم خلاّه فهرب إلى الأهواز. فبعث إليه مالك بن طوق رجلا وأعطاه سُمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وجعل له على ذلك عشرة آلاف درهم. فلم يزل يطلبه حتى وجده قد نزل قرية بنواحى السُّوس، فاغتاله فى وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة. فضرب ظهر قَدمــه بعُكاز له زجّ مسموم. فمات من غَدٍ ودُفن بتلك القرية.

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار دعبل، هو:

أين مَحـلُّ الحىّ يا حادى[1] ... خَبِّر سَـقاك الرَّائحُ الغادِى

مُستصحب للحرب خَيفـانةً ... مثل عُقاب السَّرحة العادى[2]

بين خُـدور الظُّعن مَحجوبة ... حــدا بقلبى مَعها الحـادى

وأسمر فى رأســه أزرق ... مثل لسان الحيَّة الصادِى

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «ياوادى».

(٢) الخيفانة: الفرس السريعة، شبهت بالجرادة لضمورها. والعقاب: طائر من العتاق، يقع على الذكر والأنثى. والسرحة: من كبار الشجر.

أخبار جُعيفران الموسوس

نسبه ومولده ومنشؤه

هو : جَعفر بن علىّ بن أصفر بن السرىّ بن عبد الرحمن الأنبارى، من ساكنى سُرّ مَن رأى . ومولده ومنشؤه ببغداد .

أبوه وتشيعه

وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية، وكان يتشيّع ويُكثر لقاء على بن موسى، رضى الله عنه .

شىء عن حاله

وكان جُعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً ، غلبت عليه المِرّة السوداء فاختلط وبطل فى أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أفاق وثاب إليه عقلُه وطبعه قال الشعر .

أصله

وذُكر أن أصله من العجم .

أبوه وموسى بن جعفر فى شأنه

وذُكر أنه وطئ سُرِّية لأبيه قبل أن يختلط ، فشكاه أبوه إلى موسى بن جعفر – رضى الله عنهما – فقال : إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقلَه ، وإن كنت قد تحققت ذلك من فعله فلا تساكنه فى منزلك ، ولا تُعطه من مالك شيئاً فى حياتك ، وأخرجه من ميراثك بعد وفاتك . فأخرجه أبوه من منزله ، وزَوى ماله عنه . ثم مات أبوه واختلط هو ، كما قال موسى بن جعفر .

صياح الصبيان به وشعره فى ذلك

وذكر بعضُهم قال :

غاب عنا جُعيفران أياماً ثم جاءنا والصّبيان يُنشدون خلفه ، وهو عُريان ، ويصيحون به : يا جُعيفران ، يا خرا فى الدار . فلما بلغ إلىّ وقف وتفرّقوا عنه ، فقال لى : يا أبا عبد الله :

رأيت النـاس يدعونى ... بمجنون على حـــالِ
وما بى اليومَ من جِنّ ... ولا وَســواس بَلْبالِ

ولكنْ قولُهم هـذا لإفلاسى وإقـــلالى
فلو كنتُ أخا وَفْر رخيًّا ناعمَ البـــال
رأونى حسنَ العقـل أحُلّ المنزل العـــالى
وما ذاك على خُــبْر ولـكنْ هَيبة المـــال

قال : فأدخلته منزلى . فأكل ، وسقيته أقداحا ، ثم قلت له : أتقدر على أن تغيّر تلك القافية ؟ فقال : نعم . ثم قال بديهة غيرَ مفكر ولا متوقِّف :

رأيت النـــاس يَرمو نِى أحياناً بوَسْـواسِ
ومَن يضبطُ يا صاح مَقال الناس فى النّاس
فدَعْ ما قاله الناسُ ونازع صَفوة الـكاس
فـتًى حُرًّا صحيح الوُ دّ ذا بِرّ وإينـــاس
فإنّ الخلق مَغرور بأمثـــالى وأجناسى
ولو كنتُ أخا مالٍ أتوْنى بين جُـــلّاسى
يُحـيونى ويَحـــبونى على العينين والراس
ويدعـونى عزيزاً غير أنّ الذّل إفلاسى

ثم قام يبُول ، فقال بعض من حضر : أى شىء معنى عشرتنا هذا المجنون العُريان ، والله ما نأمنه وهو صاحٍ ، فكيف إذا سكر . وفطن للمعنى ، فخرج إلينا وقال :

ونَدامَى أكلـــونى أن[(1)] تغيّبتُ قليــلاَ
زعمـــوا أنّى مَجنـ ون أرى العُرى جَميلا
كيف لا أعرى وما أبصر فى الناس مَثيلا
إن يكن قد ساءكم قُر بى فخلّوا لى السبيلا
وأتِموا يومــــكم سرّ كمُ الله طويـــلا

(١) غير التجريد : « أو » .

فاعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلذ إلا بقُربك ، وأتيناه بثوب فلبسه ، وأتممنا يومنا معه .

دخوله على أبى دلف

وحكى علىّ بن يوسف قال :

كنت عند أبى دُلف يوماً ، فاستأذن عليه حاجبهُ لجعيفران الموسوس ، فقال له : أى شىء أصنع بموسوس ؟ قد قضينا حقوق العُقلاء وبقى علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جُعلت فداء الأمير ، موسوس أفضل من كثير من العقلاء ، وإن له لساناً يُتقى ، وقولاً مأثوراً يبقى ، فالله الله أن تحجُبه ، فليس عليك منه أذى ولا ثِقل . فأذن له . فلما مثل بين يديه قال :

يا أكرمَ العالمَ موجودَا ... ويا أعزَّ النـاس مَفقودَا
لمّا سألتُ الناس عن واحد ... أصبح بين الناس محْمودا
قالوا جميعاً إنه قاسم ... أشبه آباءً له صِيدا
لو عَبَدَ الناسُ سوى ربّهم ... أصبحتَ بين الناس مَعبودا
لا زلت فى نُعمى وفى غبطة ... مُكرَّماً فى الناس محسودا

فأمر له بألف درهم وكسوة . فلما جىء بالدراهم أخذ منها عشرة دراهم ، وقال: تأمر القَهرمان أن يعطينى الباقى مفرّقاً كلما جئت ، لئلا يضيع منى ، فقال للقهرمان: أعطه المال ، وكلما جاءك فأعطه منه ماشاء حتى يفرّق الموت بيننا . فبكى جُعيفران ، ثم قال :

يموت هذا الذى أراه ... وكل شىء له نفادُ
لو غيرَ ذى العرش دام شىء ... لدام ذا المفضل الجواد

ثم خرج . فقال أبو دلف : أنت كنت أعلمَ به منى . ثم غبر مدة ثم لقينى ، فقال : يا أبا الحسن ، ماذا فعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير ، وهو على

غاية الشوق إليك . فقال : أنا والله يا أخى إليه أشوق ، ولكنى أعرف أهل هذا العسكر وشرههم وإلحاحهم عليه بالمسألة ، والله ما أراهم يتركونه حتى يخرج فقيرا . فقلت له : دع هذا عنك وزُرْه ، فإن كثرة السؤال لا تضُر بماله . فقال : وكيف ، أهو أيسر من الخليفة ؟ فقلت : لا . فقال : والله لو تبذَّل لهم الخليفة كما يتبذَّل لهم أبو دلف ، وأطعمهم فى ماله كما يُطعمهم لأفقروه فى يومين ، ولكن أسمع منى ما قلته فى وقتى هذا . فقلت : هات أبا الفضل . فأنشأ يقول :

أبا حسن بلِّغن قاسماً ... بأنِّىَ لم أجفُه عن قِلَى

ولا عن مَلال لإتيانه ... ولا عن صُدود ولا عن عَنا

ولكن تعفّفتُ عن ماله ... وأصفيتُه مِدْحتى والثَّنا

أبو دُلف سيّد ماجد ... سنىّ العطيّة رَحب الفِنا

كريم إذا انتابه المُعتفو ... ن عَمَّهمُ بجَزيل الحِبا

قال : فأبلغتها أبا دلف وحدّثته بالذى جرى . فقال لى : قد لقيته منذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلَّمت عليه ، فقال لى : سِرْ أيها الأمير . ثم قال :

يا مُعدىَ الجود على الأموال ... ويا كريمَ النفس والفَعالِ

قد صُنتنى عن ذِلة السؤال ... بجُودك المُوفى على الآمال

صانك ذو العزّة والجلال ... من غِيَر الأيّام والليالى

ولم يزل يختلف إلى أبى دُلف ويبرّه حتى افترقا .

وذكر أن جُعيفران كان خبيث اللسان هجّاء ، لا يسلم عليه أحد . فاطلع يوماً فى الجب فرأى وجهه وقد تغيّر وعفا شعره[1] ، فقال يهجو نفسه : هجاؤه نفسه

(١) عفا شعره : طال وكثر .

ما جعفر لأَبيـــه ولا له بشَبيـــهِ
أضحى لقوم كثير فكُلهم يدّعيـــه
هـــذا يقول بُنَيِّى وذا يُخـــاصم فيه
والأُم تَضحك منهم لعِلْمها بأبيـــه

أخبار السَّرِىّ

ثم ذكر أبو الفرج :

نسبه

السرىّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُوَيم بن ساعدة الأنصارى ، وجدُّه عُوَيم أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

منزلته فى الشعر

والسرى شاعر من شعراء أهل المدينة ، ليس بمُكثر ولا فَحْل ، وكان أحد الغزلين ، والفتيان ، والمنادمين على الشراب .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج ذكره ، هو :

ولها مَربع ببُرقة خَاخ ... ومَصيف بالقَصْر قَصر قُباء[1]

كفّنونى إن مِتّ فى دِرع أروى ... واْجعلوا لى من بئر عُروة مائى

سُخنة فى الشتاء باردة الصّيـ ... ـف سِراجٌ فى الليلة الظلماء

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وقباء : موضع بين مكة والبصرة .

أخبار مسكين الدّارمىّ

نسبه — هو : رَبيعة بن عامر بن أُنيف بن شُريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدس ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم .

لقبه وسبب ذلك — ومسكين ، لقب له ، وإنما لُقب به لقوله :

أنا مسكينٌ لمن أنكرنى ولمن يَعرفنى جِدٌّ نَطِقْ

لا أَبيع الناسَ عِرضى إننى لو أَبيع الناس عِرضى لنفَق

وقال فيه أيضاً :

سُمِّيتُ مِسْكيناً وكانت لحاجة[1] وإنّى لمسكينٌ إلى الله راغبُ

هو والفرزدق — وهو شاعر شريف من سادات قومه، هاجى الفرزدق ثم كافه ، فكان الفرزدق يَعُد ذلك فى الشدائد التى أفلت منها .

رثاؤه لمسكين الدارمى ومعارضة الفرزدق له — وذُكر أنّ زيادا كان قد أرعى مسكيناً الدارمى حِمًى له بناحية العُذَيب[2] فى عام قَحط ، حتى أخصب الناس وأحيَوا ، ثم كتب له ببُر وتمر وكَساه . فلما مات زياد رثاه مِسكين ، فقال :

رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّتْ جِهارًا حين ودّعَنا زِيادُ

فقال الفرزدق يعارضه ، وكان منحرفاً عن زياد لطلبه إياه وإخافته له :

أمسكينُ أبكَى اللهُ عينَك إنما جَرى فى ضلالٍ دمعُها إذ تحدّرا[3]

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لحاجة » .

(٢) العذيب : ماء بينه وبين القادسيه أربعة أميال .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « فتحدرا » مكان « إذ تحدرا » .

بكيتَ على عِلْجٍ بمَيسانَ(١) كافرٍ ... ككِسْرى على عُدوانه أو كقَيْصرى

أقول له لمَّا أتاني نَعيُّـــــــه ... به لا بظَبْيٍ بالصَّريمـــــة أعْفَرا(٢)

فقال مسكين يُجيبه :

ألا أيها المرء الذى لستُ قاعداً ... ولا قائماً فى القوم إلا انبرى لِيَا

فجئْنى بعمٍّ مثـــــل عمّىَ أو أبٍ ... كمثل أبى أو خالٍ صِدْقٍ كخاليا

كعمرو بن عمرو أو زُرارةَ ذى النَّدى ... أو البِشر من كُلٍّ فرعتُ الرَّوابيا

فأمسك الفرزدق عنه ولم يُجبه وتكافّا .

[illegible]

وذُكر أن الفرزدق قال :

نجوت من ثلاثة أشياء ما أخاف بعدها شيئاً : نجوت من زياد حين طلبنى ، ونجوت من أبنى رُميلة وقد نَذَرا دمى ، وما فاتهما أحد طلباه قط ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى ، لأنه لو هاجانى لأضطرنى إلى أن أهدم شَطر حَسبى وفخرى ، لأنه من بحبوبة نَسبى وأشراف عشيرتى ، وكان جرير يومئذ ينتصف منّى بيدى ولسانى .

[illegible]

وقال أبو عبيدة : أشعر ما قيل فى الغَيرة قولُ مِسكين الدارمى :

ألا أيها الغـــــائر المُستشيـ ... ـط فيما تَغـــــار إذا لم تُغرْ

فما خيرُ عِرْس إذا خِفتَها ... وما خــير عِرس إذا لم تُزَر

وإنى سأُخلى لهــــــا بيتها ... فتَحفظ لى نَفْسها أو تَذر

تَغار على الناس أن ينظُروا ... وهل يَفتن الصالحاتِ النَّظر

إذا الله لم يُعطنى حُبَّهـــا ... فلن يُعْطِىَ الحبَّ سَوْطٌ مُمَرّ

(١) ميسان : كورة واسعة بين البصرة و واسط .

(٢) الصريمة : موضع ، ذكره ياقوت ولم يعرف به .

استشهد بشر فى كتابه إلى عبد العزيز ابن مروان ببيتين له

وذُكر أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى أخيه بِشْر بن مروان كتاباً ، وبِشْر يومئذ على العراق . فورد عليه الكتاب وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بِشْر كاتبه ، فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه عَلِم أنه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مُكاتبته . فكتب إليه بشر : لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله منى الفضل ، ولو احتمل الكتابُ أكثرَ مما ضمّنتهُ[1] لزدت فيه ، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيم الكرام ، ولقد أحسن مسكين الدارمى حيث يقول :

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيجا بغير سِلاحِ
وإن ابن أم المرء[2] فاعلم جَناحه وهل يَنهض البازى بغير جَناحِ

فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه وقال : إن أخى كان منتشياً لمّا جرى منه ما جرى ، فسلوا عمن شهد ذلك المجلس ، فسئل عنهم ، فأُخبر بهم . فكتب إليه بقبوله عذره . وأقسم عليه ألّا يعاشر أحداً من نُدمائه الذين حضروا ذلك ، وأن يعزل كاتبه ، ففعل .

شعره فى تولية يزيد بن معاوية وحديث ذلك

وذكر أن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان كان يؤثر مسكيناً الدارمى ويقوم بحوائجه عند أبيه . فلما أراد معاوية البيعة بولاية العهد ليزيد تهيّب ذلك وخاف ألّا يمالئه عليه الناس لحُسن البقية فيهم ، وكثرة من يترشح للخلافة . وبلغه فى ذلك ذَرْو[3] كلام بلغه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر، فأمر يزيد بن معاوية مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاوية فى مجلسه،إذا كان حافلا وحضره وجوه بنى أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس ، ويزيد ابنه عن يمينه ، وبنو أمية وأشراف الناس فى مجلسه ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ضمنته » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإن ابن عم المرء » .
(٣) ذرو كلام : أى طرف منه .

إنْ أُدْعَ مِسْكيناً فإنّى ابنُ معشر من النـاس أَحمِى عنهمُ وأَذُودُ
إليك أمـيرَ المؤمنين رحلتُها تُثير القَطا ليلاً وهُنّ هُجود
وهاجرة ظلّت كأن ظباءها إذا ما اتّقتْها بالقُرون سُجود
ألا ليت شعرى ما يقول ابنُ عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بَنِى خُلفاء الله مهـلاً فإنما يُبوِّئُهـا الرحمنَ حيثُ يُرِيد
إذا المِنبر الغربىّ خـلاه ربُّه فإن أمـير المؤمنين يَزِيد

فقال معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله . ولم يتـكلم أحد من بنى أُمية إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذى أراده يزيد ليعلم ما عندهم . ثم وصله معاوية ويزيد فأجزلا صلته .

عقيد المغنى والرشيد فى شعر مسكين هذا

وحكى عَقِيد المُغنى قال :

غنيتُ الرشيد ليلة :

* إذا المنـبر الغربىّ خلاه ربُّه *

ثم فَطنت لخطئى ، ورأيت وجهه قد تغير ، فقلت :

* فإن أمير المؤمنين[(١)] عَقِيـد *

فطرب وقال : أحسنت والله ، بحياتى قل : « فإن أمير المؤمنين عقيد » فوالله لأنت أحق بها من يزيد بن معاوية ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف ألاّ أغنيه إلا كما أمر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أرطال ووصلنى صلة سنية .

هو وامرأته فى شعر له

وذُكر أنه كان لمسكين الدارمى امرأة من مِنْقر[(٢)] ، وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمماظّة[(٣)] ، فجازت به يوماً وهو فى نادى قومه يُنْشد قوله :

(١) فى بعض أصول الأغانى: « المحسنين » .
(٢) منقر ، على وزن منبر : بطن من تميم .
(٣) المماظة : المخاصمة والمشاتمة .

إن كنت[١] مسكيناً فما قَصَّرت قِدْرى بيوت الحىّ والجُدُر

فوقفتْ تَسمع منه ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

نارى ونار الجـــار واحدة وإليه قَبلى تُنزَل القِـــدْر

فقالت : صدقت والله ، يجلس جارك بطبخ قدره فتصطلى بناره ، ثم ينزلها فيجلس فيأكل وأنت بحذائه مثل الكلب ، فإذا شبع أطعمك . أجل والله إن القِدر لتنزل إليه قبلك . فأعرض عنها ومرّ فى قصيدته حتى بلغ فيها إلى قوله :

ما ضرّ جـــاراً لى أجاوره ألّا يكون لبـــابه[٢] سِتر

فقالت له : أجل : إن كان له ستر هتكته . فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما .

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدة من جيد شعر مسكين وفاخره .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار مسكين :

سَلب الشباب[٣] رداءه عنّى ويَتبعـــه إزارُهْ
ولقـــد تحلُّ علىّ حُـــلّته ويُعجبنى افتخاره
سائلْ شبابى هل أسأْ ت مِساكه[٤] أو ذلّ جاره
ما إن ملـكت المال إلـــلا كان لى وله خِيـــاره

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « إن أك » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لبيته » .
(٣) فى التجريد : « الزمان » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « سائل شبابى هل مسكت بسوأة » .

أخبار أبي محمد اليزيدي
و بعض أولاده

نسبه

هو: يحيى بن المبارك، أحد بنى عدىّ بن عبدشمس بن زيد بن مناة بن تميم. وقيل: إنه مولاهم.

سبب تلقيبه باليزيدى

وسمى اليزيدى، لأنه كان خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن على - رضى الله عنهم - بالبصرة لما خرج على المنصور. فلما قُتل إبراهيم توارى زماناً، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدى، فوصله بالرشيد، فنُسب إلى يزيد هذا. وجعله الرشيد مؤدب ولده المأمون. فلم يزل هو وأولاده مُنقطعين إلى المأمون وولده.

علمه وشيوخه

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو، راوية للشعر، متصرفاً فى فنونه. وأخذ العلم عن أبى عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوى، وأكابر البصريين. وقرأ القرآن على أبى عمرو بن العلاء، وأخذ عنه قراءة أبى عمر الدّورى[1] والسُّوسى[2]. فقراءة أبى عمرو التى نقرأ بها الآن مأخوذة عن أبى محمد هذا.

وله أولاد وأولاد أولاد شعراء، سنذكر بعضهم إن شاء الله تعالى.

شعره فى ضرب المأمون رؤوس أسرى فى حضرة الرشيد

وحكى أبو محمد اليزيدى قال:

كان الرشيد جالساً فى مجلسه فأُتى بأسير من الروم، فقال لدفافة العبسى: قم فاُضرب عنقه، فضربه فنَبا سيفه. فقال لابن فايح المدنى: قم فاُضرب عنقه:

(١) الدورى: حفص بن عمر أبو عمر. إمام القراء، فى عصره. توفى سنة ٢٤٦ هـ (النشر ١: ١٣٤، وطبقات القراء ١: ٢٥٥).

(٢) السوسى: صالح بن زياد الرقى أبو شعيب، قارئ ضابط. توفى سنة ٢٦١ هـ (النشر ١: ١٣٤، وطبقات القراء ١: ٣٣٣).

فضرب به فنَبا سيفه أيضاً . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين، تقدّمتنى ضربة عبسيّة . فقال الرشيد للمأمون ــ وهو يومئذ غلام ــ :

قُم فِداكَ أبوكَ فاضرب عنقه ، فقام فضرب العلجَ فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأَمره بضرب عنقه ، فضرب به فأَبان رأســـه . ثم دعا بآخر فأَمره بضرب عنقه ، فضرب به فأَبان رأسه . ونظر إلىّ المأمون نظر مُستنطق فقلت :

أبقى دفاقة عاراً عند(١) ضَرْبته عند الإمام لعَبْس آخرَ الأبَدِ
كذاكَ أُسرته تَنبو سيوفهمُ كسيفِ وَرْقاء لم يَقطع ولم يَــكَد
ما بال سيفُك قد خانتك ضربتُه وقد ضربتَ بسيف غيرِ ذى أَوَد
هلّا كضربة عبد الله إذ وقعت ففرّقت بين رأس العِلج والجسد

شعره حين خطب المأمون الناس

ولما بلغ المأمونُ وصار إلى حدّ الرجال أمر الرشيد مُعَلّمه أبا محمد اليزيدى أن يعمل له خطبة يخطب بها يوم الجمعة ، فعمل له خطبة بليغة . فخطب بها المأمون ، وكان جهير الصوت حسن اللهجة ، فرقّت لها قلوب الناس وأبكى من سمعه . فقال أبو محمد اليزيدى قصيدة أولها :

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ عليه بها شــكرُ الإله وُجوبُ
بأن ولىّ العهد مأمون هاشم بدا فضلُه إذْ قام وهْو خَطيب
ولمّا رماه الناس من كُل جانب بأبصارهم والعُود منــه صَلِيب
رَماهم بقول أنصــتوا عجباً له وفى دونه للسامعين عَجيب
ولما وعت آذنهم ما أتى به أنابت ورقّت عند ذاك قُلوب
فأَبكى عُيونَ الناس أبلغُ واعظ أغُرّ بِطاحىّ النِّجـــار نَجيب

ومنها :

شَبيه أمـــير المؤمنين حَزامةً إذا وردت يوماً عليه خُطوب
إذا طاب أصلٌ فى عُروق مُشاجة(٢) فاغصانه من طيبه ستَطيب

(١) فى أصول الأغانى: « بعد » .
(٢) التجريد: « مشاح عروقه » .

فأمر الرشيد لأبى محمد بخمسين ألف درهم ، ولأبنه ابن أبى محمد بمثلها .

وذكر أنه استأذن أبو محمد اليزيدى الرشيد ، وهو بالرقة ، فى الحج ، فأذن له . فلما عاد أنشده : شعره الرشيد بعد حجه

يا فَرْحتا إذ صَرفنا أوجُه الإبل إلى الأَحبَّة بالإزعاج والعَجلِ
نحثُهنّ ولا يُونين من دَأَبٍ لـكنّ للشّوق حثًّا ليس للإبل
يا نائياً قرّبت منـه وساوسُه أمسى قَرِينَ الهوى والشوق والوَجل
إن طال عهدُك بالأحباب مُغترِباً فإنّ عهدك بالتّسهيد لم يَطُل
أمَا اُشتفى الدهرَ من حرّان مُختبلٌ صَبٌّ الفؤاد إلى حَرّان مُختبل
عِشْ بالرجاء وأمّل قُربَ دارهمُ لعلّ نفسكَ أنْ تبقى مع الأمل

والبيتان الأولان من هذه الأبيات ، هما الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى محمد اليزيدى ، رحمه الله . شعره الذى فيه الغناء

أخبار محمد اليزيدى

وكان محمد بن أبى محمد اليزيدى شاعراً فاضلا . شاعر مجيد

وحُكى عنه أنه قال : سرقاته

ما سرقت من الشعر قطُّ إلا معنيين ، قال مُسلم بن الوليد :

ذاكَ ظبىٌ تحيَّر الحسنُ فى الأَر ... كان منه وحَلَّ كُلَّ مكانِ
عرضتْ دونه الحِجالُ فما يَلْ ... قاكَ إلا فى النَّوم أو فى الأمانى

فقلت :

يا بعيدَ الدار موصو ... لاً بقلبى ولِسانِى
ربما باعدكَ الدَّه ... ر فأَدنتْك الأمانى

وقال مُسلم :

متى ما تَسمعى بقَتيل حُبٍّ[1] ... أُصيب فإننى ذاك القَتيلُ

فقلت :

أتيتُكِ عائذاً بك منْ ... كِ لمَّا ضاقت الحِيَلُ
وصيَّرنى هواكِ وبى ... لَحِيْنِى يُضرب المثل
فإن سلمتْ لكم نفسى ... فما لاقيتُه جَلَل
وإنْ قَتل الهوَى رجُلاً ... فإنِّى ذلك الرجل

وحكى عبد الله بن أيوب ، مولى بنى أُمية ، قال : شعره فى قنفذ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أرض » .

بات عندى ليلةً محمدُ بن أبى محمد اليزيدى ، فظهر لنا قُنفذ ، فقلت له : قل فيه شيئاً ، فقال :

وطارق ليــلٍ زارنا بعد هَجعةٍ ... من الليل إلا ما تحدّث سامِرُ
فقلتُ لعبد الله ما طارقٌ أتى ... فقال أمرؤ سِيقت إليه المَقادر
قَرَيْناه صَفْوَ الزّاد حينَ رأينه ... وقد جاء خفّاقَ الحشى وهو سادِر
جَميل المُحيّا فى الرّضَى فإذا أَبَى ... حَمتْه من الضّيم الرِّماحُ الشواجر
ولستَ تراه واضعاً لســلاحه ... يدَ الدهر مَوْتوراً ولا هو واتِر

دخوله إلى المأمون فى حجبة له

وذُكر أنه جاء محمد بن أبى محمد اليزيدى إلى باب المأمون ، فاستأذن ؛ فقال له الحاجب : قد أخذ دواءً وأمرنى ألّا آذن لأحد . قال : أفأمرك ألّا توصل إليه رقعة ؟ قال : لا . فدفع إليه رقعة فيها :

هديّتىَ التحيــةُ للإمام ... إمامِ العَدل والمَلك الهُمام
لأنى لو بذلتُ له حياتى ... وما أهوى لَقَلّا للإمام
أراكَ من الدواء اللهُ نَفعاً ... وعافيةً تــكون إلى تَمام
وأعقبك السلامةَ منه ربٌّ ... يُريك سلامةً فى كُل عام
أتأذن فى السلام بلا كَلام ... سوى تَقبيل كفّك والسلام

فأوصلها إليه ، وخرج فأذن له ، فدخل وسلّم ، وحُملت معه ألف دينار .

شكا إلى المأمون ديناً فوفاه ابن طاهر وقصة ذلك

حكى محمد بن بن أبى محمد اليزيدى قال :

شكوت إلى المأْمون دَيناً . فقال لى : إن عبد الله بن طاهر اليوم عندى وأريد الخلوة معه ، فإذا علمت بذلك فاُستَدْع أن تكون ثالثاً[1] أو أُخرجه إليك ، فإنى

(١) بعض أصول الأغانى: « فاستدع أن يكون دخولك » .

سأحكم لك عليه بمال . فلما علمتَ أنهم قد جلسوا للشرب سِرْتُ إلى البـــاب ، وكتبت بهذين البيتين :

يا خيرَ ساداتٍ وأصحـــابِ هذا الطُّفيلىّ على البــابِ
فصيِّروا لى معــكم مَجلسا أو أخرجوا لى بعضَ أصحابى

وبعثت بهما إليه . فلما قرأها قال : صدق ، اكتبوا إليه وسَلُوه أن يختار : أما دخولك فما إليه ســبيل ، ولــكن من تختار لنُخرجه إليك ؟ فــكُتب إلىّ بذلك . فــكتبت : ما كنت لأختار على أبى العباس أحدا ــ يعنى عبد الله ابن طاهر ــ فقــال المأمون لعبد الله بن طاهر : قُم إلى صديقك . فقال : يا مــير المؤمنين ، إن رأيت أن تُعفينى من ذلك ، أتخرجنى عمّا شرّفتنى به من مُنادمتك وتُبدلنى بها منادمة ابن اليزيدى ؟ فقال : لا بد من ذلك أو تُرضيه . قال : فَلْيحتكم . قال : أخاف أن يشتطّ أو تقصِّر أنت ، ولــكن أحكُم فأَعدل . قال : قد رضيت . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار مُعجَّلة . قال : قد فعلت . فأمر صاحب بيت المال بحملها معى ، وأمر عبد الله بردّ عِوضها إلى بيت المال .

أخبار إبراهيم اليزيدى

كان شاعراً

وكان إبراهيم بن أبى محمد اليزيدى شاعراً .

شعره إلى المأمون بعد سكرة عربد فيها

وذكر أنه دخل على المأمون يوماً وهو يشرب ، فأمره بالجلوس وأمر له بشراب ، فشرب وزاد فى الشرب ، فسكر وعَربد . فأخذ علىُّ بن صالح صاحب المُصلى بيده فأخرجه . فلما أصبح خُبِّر بما صنع ، فجزع من ذلك ، فكتب إلى المأمون :

أنا المذنب الخطّاء والعَفو واسعٌ ... ولو لم يكن ذَنب لما عُرف العَفْوُ
ثَمِلتُ فأبدتْ منِّىَ الكأسُ بعضَ ما ... كرهتُ وما إن يَستوى السُّكر والصَّحو
ولولا حُمَيّا الكأس كان احتمال ما ... بُدهت به لا شكَّ فيه هو السَّرو[1]
ولا سيّما إذ كنتُ عند خليفة ... وفى مجلس ما إن يجوز به اللَّغو
تنصّلت من ذَنب تنصُّلَ ضارع ... إلى من لديه يُغفر العَمد والسَّهو
فإن تَعْفُ عنِّى يُلْفَ خَطْوِىَ واسعاً ... وإلا يكُن عفوٌ فقد قَصُرَ الخَطْو

شعره فى القاضى ابن أكثم

وإبراهيم بن أبى محمد اليزيدى هو الذى يقول فى القاضى يحيى بن أكثم :

وكُنّا نُرَجِّى أن يُرى العَدْلُ ظاهراً ... فأعقبنَا بعد الرّجاء قُنوطُ
متى تَصلحُ الدُّنيا ويَصلُح أهلُها ... وقاضى قُضاة المُسلمين يَلُوط

بين المأمون وابن أكثم فى خادم

وذُكر أن المأمون نَظر إلى يحيى بن أكثم يَلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرَّض له إذ قمتُ ، فإنى سأقوم للوضوء ، وأمره ألّا يبرح ، وعُد إلىَّ بما يقول

(١) السرو : الشرف .

لك . وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلما قام المأمون غمز الخادمُ يحيى بعينيه . فقال له يحيى : (لولا أنتم لكنّا مُؤمنين) . فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره . فقال له : عُد إليه وقل له : (أنحن صَددناكم عن الهُدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مُجرمين) . فخرج الخادم إليه فقال له : ما أمره المأمون ؟ فأطرق يحيى وكاد يموت جَزعاً ، وخرج المأمون ، وهو يقول :

متى يصلُحُ الدُّنيا ويصلُح أهلها ... وقاضى قُضاة المُسلمين يَلُوطُ

قُم فانصرف واتق الله وأصلح نِيَّتك .

أخبار أبي جعفر اليزيدي

كان شاعراً وشيء من شعره

وكان أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدى شاعراً ، وهو الذى يقول:

شَوقى إليك مع الأيام يزدادُ والقلبُ مُذ غِبْتَ للأحزان مُعتادُ
يا لهفَ نفسى على دَهر فُجعت به كأنّ أيامه فى الُحسن أعياد

إنشاده للمأمون

حَكى أبو جعفر هذا قال :

دخلت على المأْمون وهو فى مجلس غاصّ بأَهله ، وأنا يومئذ غلام ، فاستأْذنت فى الإنشاد فأَذن ، فأَنشدته مَديحاً لى مدحتُه به ، وكان يستمع للشاعر ما دام فى تَشبيب أو وصف ضَرب من الضُّروب ، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة ، ثم يقول للمُنشد : حَسبك . فأَنشدته :

يا من شكوت إليــه ما أَلقّاه وبذاتُ من وُدّى له أصفاهُ
فأَجابنى بخِــلاف ما أمّلته وارُبما مَنع الحريصَ مُناه
أتُرى جميلاً أنْ شكا ذا صَبوة فهجرتَه وغضبتَ من شَــكواه
يكفيك صمتٌ أو جواب مُؤنس إن كنت تكره وَصْلَه وهَواه
موت الحبيب سعادةٌ إن كان مَن يهواه يزعُم أنّ ذاك رِضــاه

فلما صِرت إلى المديح قلتُ :

أَبقى لنا اللهُ الإمـــامَ وزاده عِزًّا إلى العزّ الذى أَعطـــاه
والله أَكرمنا بأنّا معشرٌ عُتقاء من نِعَم العِبـــاد سِواه

فسُرّ بذلك المأمون وضحك ، وقال : جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة ويُحسن العمل .

أخبار كعب المخبّل

نسبه

وهو من قيس[1] .

حديث تعشقه أخت زوجه

ذكر أنه كان مزوّجاً بابنة عم له ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، فخلا بها ذاتَ يوم ، فنظر إليها وهى واضعة ثيابها ، فقال لها : يا أم عمرو ، هل ترين أن الله عز وجل خلق أحسنَ منك ؟ فقالت : نعم ؛ أُختى مَيلاء أحسنُ منِّى . قال : فإنى أحب أن أنظر إليها . فقالت : إن علمتُ بك لم تخرج ، ولكن كُن من وراء الستر . ففعلت ، وأرسلت إليها فجاءتها . فلما نظر إليها عَشقها وانتظرها حتى مضت إلى أهلها ، فعارضها وشكا إليها حُبه . فقالت : والله يابن عم ، ما وجدتَ من شىء إلا وقد وقع لك فى قلبى أكثر منه . وعادت مرةً أخرى فخلا معها ، فأتتهما أختها أم عمرو وهما لا يَعلمان ، فرأتهما جالسين ، فمضت إلى إخوتها ـ وكانوا سبعة ـ فقالت: إما أن تزوّجوا ميلاء كعباً وإما أن تَكْفونى أمرها . وبلغه الخبرُ ووقوفُ إخوتها على ذلك ، فرمى بنفسه نحو الشام حياءً منهم . وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ؛ فلم يَدْرِ أهلُه ولا بنو عمه أين ذهب .

شعره الذى فيه الغناء

فقال كعب ـ وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخباره :

أفى كُل يوم أنت مِن لاعج الهوى إلى الشُّم من أعلام ميلاءَ ناظرُ
بعَمشاء من طُول البُكاء كأنما بها خَزَر أو طرفُها مُتخازر
تمنَّى المُنى حتى إذا مَلَّت المُنى جَرى واكفٌ من دَمعها مُتبادر

رجل من الشام يحمل هذا الشعر وغيره إلى أهله وحديث موته

فسمع ذلك منه رجل من أهل الشام ، ثم خرج ذلك الشامىّ يريد مكة ، فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء ، وقد ضل الطريق ، فسلّم عليهما ، ثم سألهما عن

---

(١) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (١٥٩-١٦٤) .

الطريق . فقالت أم عمرو : ياميلاء ، صفي له الطريق . فذكر، لما نادت : يا ميلاء، شعر كعب هذا فتمثّل به . فعرفت أُم عمرو الشعر ، فقالت : يا عبد الله ، من أين أقبلت ؟ فقال : من الشام . فقالت: ممن سمعت هذا الشعر؟ فقال : من رجل من أهل الشام . فقالت: أتدرى ما اسمه ؟ فقال : سمعت أنه كعب .فقالت : فأقسمتُ عليك ألّا تبرح حتى تُسمع إخوتنا قولَك . فنُحسن إليك نحن وهم ، فقد أنعمت . فقال : أفعل، وإنى لأروى له شعراً آخر ، فما أدرى أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألك بالله إلا أَسمعتناه . فقال : سمعتُه يقول :

خليليّ قد رُمتُ الأُمورَ وقِستُها(١) ... بنفسى وبالفِتيان كُلَّ زمانِ
ولم أُخْفِ سرًّا للصديق ولم أجد ... خليًّا ولا ذا البَثِّ يَسْتويان
من الناس إنسانان دَيْنى عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قَضيانى
خليليّ أمّا أم عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأخرى فلا تَسلانى
بُلينا بهجران ولم أرَ مِثْلَنا(٢) ... من الناس إنسانَيْن يَهتجران
أشدَّ مُصافاة وأبعدَ عن قِلًى ... وأعصَى لواشٍ حين يُكتنفان(٣)
يُحدّث طَرْفانا بما فى قلوبنا(٤) ... إذا ما اُستعجمتْ بالمَنطق الشَّفتان
فوالله ما أدرى أكُلُّ ذوى الهوى ... على ما بِنا أم نَحن مُبتليان
ولا تَعجبا ممّا لىَ اليومَ من هَوًى ... فبِى كُلَّ يوم مثلُ ما تَريان
خليليَّ عن أىّ الذى كان بيننا ... مِن الوصل أم ماضى الهوى تَسلان
وكُنا كريمَىْ مَعشر حَطّ(٥) بيننا ... هوًى فحفِظناه بحُسن صِيان

(١) بعض أصول الأغانى: « قد قست الأمور و رمتها » . (٢) التجريد : « مثلهما » .
(٣) « « « : « يكتنفيان » . (٤) بعض أصول الأغانى : « صدورنا » .
(٥) « « « : « حم » .

فما زادنا بُعد المَدى نقضَ مِرَّة ولا رَجعا من عِلْمنـــا ببَيان
خليـــلىَّ لا والله ما لىَ بالذى تُرايدن من هَجر الحبيب يَدان
ولا لىَ بالسِّر[1] اُعتلامٌ إذا نأت كما أنتما بالسرِّ[1] مُعتلمان

فنزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتهما . فأخبرتاهم الخبر ، وكانوا مهتمين بكعب ، لأنه كان اُبن عمهم وأشعرهم وأظرفهم . فأكرموا الرجل وحمـــلوه ودلّوه على الطريق وطلبوا كعبا ، فوجدوه بالشام ، فأقبلوا به ، حتى إذا كانوا فى ناحية ماء[2] لأهلهم إذا الناس قد اُجتمعوا عندالبيوت . وقد كان كعب ترك بُذَيّاً لهصغيراً، فوجّهوه فى ناحية الماء[2]. فقال له كعب : ويحك يا غُليم ! من أبوك ؟ فقال له : رجل يقال له : كعب . قال: وعلى أى شىء قد اجتمع الناس ؟ ــ وأحسّ قلبه بشر ــ قال : قد اجتمعوا على خالتى ميلاء . قال : وما قصتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات فيها مكانه .

(١) بعض أصول الأغانى: « بأابين » . (٢) التجريد : « مال » .

أخبار خالد الكاتب

نسبه وكنيته وبلده

هو خالد بن يزيد . ويُكنى : أبا الهيثم . من أهل بغداد. وأصله من خراسان.

وسوسته

وكان أحدَ كُتَّاب الجيش ، ووُسْوِس فى آخر أمره وغَلبت عليه السَّوداء .

وقيل : كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد ، فلم يقدر عليها . وولاّه محمد ابن عبدالملك الزيات الإعطاء بالثُّغور ، فخرج فسمع فى طريقه مُنشداً يُنشد :

مَن كان ذا شَجن بالشام يطلُبه
فنى سِوى الشام أمسى الأهلُ والشَّجنُ

فبكى حتى سقط على وجهه مَغشيًّا عليه ، ثم أفاق مختلطاً ، واتصل ذلك حتى وُسوس وبَطَل .

إنشاده إبراهيم ابن المهدى

وحكى خالد الكاتب قال :

دخلتُ على إبراهيم بن المهدىّ ، فاستنشدنى . فقلت : أيها الأمير ، أنا غلام أقول فى شُجون نفسى ، لا أكاد أمدح ولا أهجو . قال : ذاك أشدُّ لدواعى البلاء ، فأنشدتُه :

عاتبتُ نفسى فى هَوا ... ك فلم أجِدْها تَقبلُ
وأطعتُ داعيَها إليـ ... ك ولم أُطع من يَعذل
لا والذى جعل الوُجو ... ه لحُسن وجهك تَمثل
لا قلتُ إن الصبر عنـ ... ك من التَّصابى أجمل

فبكى إبراهيم وصاح : وأى عليك يا إبراهيم . ثم أنشدته أبياتى التى أقول فيها:

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٣١–٣٨) .

وبَكى العاذلُ لى مِن رَحمة[1] وأُبكائى لبُـكاء العـاذل

فقال : يا رشيق ، كم معك من العين ؟ قال ستمائة وخمسون ديناراً . قال : أقسمها بينى وبين الفتى ، وأجعل الكسر له صحيحاً . فأعطانى ثلثمائة وخمسين ديناراً، فاشتريتُ بها منزلى بسَاباط الحسن والحُسين ، فوارانى إلى يومى هذا .

شعره الذى فيه الغناء

وهذا البيت الأخير من أبيات الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار خالد ، وهو :

عِشْ فحُبِّيك سريعاً قاتلى والضَّنَى إنْ لم تَصلنى واصلِى
ظَفِر الشوقُ بقلبٍ دَنِف فيك والسُّقم بجِسْم ناحل
فهما بين اُكتئاب وضَـنًى تركانى كالقَضيب الذَّابل

هو وأبو تمام فى هوى غلام

وذُكر أن خالد كان مُغرماً بالغلمان المُرد يُنفق عليهم كل مايفيد، فهوى غلاماً يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمام يهواه ، فقال فيه خالد :

قَضيب بانٍ جناه وَرْدٌ تحمله وجنةٌ وخَـــدُّ
لم أثْن طَرفى إليــه إلّا مات عزاءٌ وعاش وَجْد
مَلِّكَ طَوْعَ النفوس حتى علّمه الزَّهوَ حين يَبدو
واجتمع الصدّ فيه حتى ليس لخلقٍ سواه صــدّ

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه :

شِعرُكَ هذا كُله مُفرط فى بَرْده ياخالدُ البارِدُ

فَعَلِقها الصبيان ، فلم يزالوا يَصيحون به : يا خالد يا بارد ، حتى وُسوس .

هو وغلام فى دار قمار

وحكى أبو الفضل الكاتب أنه دعى خالداً ذات يوم ، فأقام عنده ، وخلع عليه . فما استقر به المجلس حتى خرج . قال : فأتبعته رسولا ليتعرّف خبره ، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يُحبه ، فسأل عنه ، فوجده فى دار القمار ، فمضى إليه حتى

(١) بعض أصول الأغانى : « و بكى العاذل لى من رحمتى » .

خلع عليه تلك الثياب وعانقه وقبّله وعاد إلينا . فلما جاز خالد أعطاه الغلامُ الذى وجّهنا به إليه دنانير ودعاه ، فجاء به إلينا . وأمرناه بإخفائه ففعل . وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم . فغمزنا الرسول فأخرجه إلينا . فلما رآه خالد بكى ودَهِش . فقُلنا : لا تُرع ، فإن القصة كيت وكيت ، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك ، فطابت نفسه ، وأجلسه إلى جنبه ، وقال : قد بُليت بحُبه وبالخوف عليه مما قد بُلى به من القمار . وأنشدنا لنفسه فيه :

مُحبّ شَفّه ألمُه ... وخامر جسمَه سَقَمُهْ
وباح بما يُجَمجمه ... من الأسرار مُكتتمه
أما تَرثى لمُكتئب ... يُحبك لَحمه ودَمه
يغار على قميصك حـ ... ـين تَلبسه ويَتّهمه

هو وابن السرى بعد غيبة

وحكى محمد بن السَّرِىّ أنه أطال الغيبة عن بغداد ، ثم قَدِمها وقد وُسوس خالد ، فمرّ به فى الرُّصافة والصبيان يصيحون خلفه : يا غلام ، الشُّريطىُّ يا خالد البارد . فيرجع إليهم فيضربهم ويرميهم . فقال : فقلت له : كيف أنت يا أبا الهيثم ؟ قال : كما ترى . فقلت له : فمن تعاشر اليوم ؟ قال : من أحذره . فعجبت من جوابه مع اختلاله . فقلت له : ما قلتَ بعدى من الشعر ؟ قال : ما حفظه الناس وأُنسيته ، وعلى ذلك قولى :

كَبِدٌ شفَّها غليلُ التَّصابى ... بين هَجر[1] وسَخطة وعَذابِ
كلَّ يوم تَدمى بجُرح من الهجـ ... ـر[2] ونوع مجدَّد من عذاب
يا سَقيم الجُفون أسقمت جسمى ... فاشفِنى كيف شئت لا بك ما بى
إن أكن مُذنباً فكن حَسَن العفـ ... ـو أو اجعل سوى الصُّدود عقابى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عتب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « التشوق » .

ثم قال : يا أبا جعفر ، جُننت . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً وهذا كلامك فى نثرك ونظمك .

طلب منه ابن الطلاس أن ينشده

وحكى محمد بن الطلّاس قال :

حضرت جنازة لبعض جيرانى ، فلقيت خالداً فى المَقبرة ، فقبضت على يده ، فقلت : أنشدنى . فقال : خلِّ عن يدى . فأرخيت يدى عن يده ، فأنشدنى :

لم تَرَ عــــينٌ نَظَرتْ أحسنَ من مَنظرهْ
النور والنّعمــــة إن عرفتَ[1] فى مَخبره
لاتَصِلُ الألسنُ[2] بالْـ وصــــف إلى أكثره
كيف بمن تنتسب الشـ مسُ إلى جَــــوهره

بيته فى جارية كانت تصيح به

وحكى بعضهم قال :

مرَّ بنا خالد الكاتب هارباً والصبيان يصيحون به ، فجلس إلىّ وقال : فرِّق هؤلاء عنِّى . ففعلت ، وألحّت عليه جارية تصيح به : يا خالد يا بارد . فقال لها :

أيا مُنتِنةَ الـكُس ويا من كُسها رَسّ

فقال له : يا أبا الهيثم ، أى شىء معنى «رس» ؟ قال : تشتهى الأير الكبير والصغير والوسط ولا تكره منها شيئاً ، وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ماقال لها خالد ، وهى ترميهم وتهرُب منهم ، حتى غابوا معها عنّا . فأقبل علىّ خالد متمثلا :

وما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتى بمُهتضَم حقّى ولا قارع سنِّى

إنشاده لأبى تمام ومعارضته له

فاحتبسته عندى يومه ، فلما شرب وطابت نفسه أنشدنا لأبى تمام :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « النور والنعمة والنعمة » .
(٢) التجريد : « الأنفس » .

أحبابَه لِمَ تفعلون بقلبه ... ما ليس يَفعله به أعداؤُهُ
مَطر من العَبرات خَدِّي أرضُه ... حتى الصباح ومُقلتاه سماؤه
نفْسى فِداء محمد ووِفاؤه ... وكذبتُ ما فى العالمين فِداؤه
أزعمتَ أنّ البدر يَحكى وجهه ... والغُصنُ حين يَميد فيه ماؤه
أسكت فأين جماله وكماله ... وبهاؤه وحياؤه وضِياؤه
لا تقْرِ [1] أسماءَ الملاحة باطلاً ... فيمن سواه فإنها أسماؤه

ثم قال ، وقد عارضه أبو الهيثم ، يعنى نفسه :

فديتُ محمداً من كل سوء ... يُحاذر فى رَواح أو غُدوِّ
أيا قمرَ السماء دنوتَ حتى ... كأنك قد ضَجِرت من العُلوّ
رأيتُك مِن حَبيبك ذا بِعاد ... وممّن لا يُحبك ذا دُنوّ
وحَسبك حَسرة لك من حبيب ... رأيتَ زِمامه بيدَىْ عدوّ [2]

شعره فى تفاحة غلفت بغالية

وذُكر أن على بن المعتصم دعا خالداً الكاتب يوماً وهو يشرب ، وقد أخرجت له وصيفة من وصائف حَظيّته تفاحةً مغلَّفة بغالية، بعثت بها إليه ستُّها ، فقال خالد:

تُفاحة خرجتْ بالدُّر من فيها ... أشهى إلىّ من الدُّنيا بما فيها
بيضاء فى حُمرة غُلَّت بغالية ... كأنما قُطفت من خَدِّ مُهديها
جاءت بها قينةٌ من عند غانية ... رُوحى من السوء والمكروه تَفديها
لو كنتُ مَيتاً ونادتْنى بنغمتها ... إذاً لأسرعتُ من لَحْدى أُلبِّيها

(١) قرا الأمر ، يقروه ويقريه : تتبعه .
(٢) بعض أصول الأغانى : « بيد العدو » .

أخبار المسدود

اسمه وكنيته — أُسمه : عليّ . وكنيته : أبو الحسن .

أبوه — وكان أبوه قصّاباً من أهل بغداد .

سبب تلقيبه بالمسدود — وإنما سُمّي المَسدود ، لأنه كان مَسدود فَرد مَنخَر مفتوح الآخر .

منزلته فى الغناء — وكان يقول : لو أن مَنخرى الآخر مفتوحاً لأذهلتُ بغنائى أهل الحلوم وذوى الألباب ، وشغلت مَن يسمعنى عن أمر دينه ودُنياه ومعاشه ومَعاده . وكان أشجى الناس صوتاً ، وأحسنهم نادرة ، ولم يكسب أحد من المغنيين بطُنبور ما كسبه .

غناؤه الواثق وتعريضه به — وذُكر أن الواثق كان قد أمر جُلساءهُ ألّا يَرد أحد نادرته عن أحد ولا عنه. فغنّى الواثق يوماً :

نظرتُ كأنّى من وراء زُجاجة إلى الدار من فَرط الصّبابة أنظُر

وكان النبيذ عمل فيه وفى الجلساء . فالتفت إليه المسدود فقال : أنت أبداً تنظر من وراء زجاجة ، إن كان فى عينك ماء الصبابة أو لم يكن . وكان فى عين الواثق بياض . فغضب من ذلك وقال : جُرّوا برجل العاضّ بَظر أمه . فسُحب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى عُمان الساعة من وقته . وحَدَر[1] معه الموكّلون. فلما سلموه إلى صاحب البصرة سأله أن يقيم عنده ، ففعل . فلما جلس للشراب أبتدأه وقال : أحذرونى يأهل البصرة على حُرمكم. فقد دخلت بلدكم وأنا أزنى خلق الله . فقال له الجمّاز : إنما يعنى أنه أزنى خلق الله أمّا . فغضب المَسدود وضَرب بطُنبوره الأرض وحَلف ألا يغنّى . فسأله الأمير أن يقيم ؛ وأخرج الجمّاز وكل من حَضر . فأبى

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (١٦٤ – ١٦٦) .

(١) حدر : انحدر .

وألحّ ، فأحدره إلى عُمان ، فمكث الواثق لا يسأل عنه سنةً ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلمـا جاء قبّل الأرض بين يديه واعتذر من هفوته وشكر التفضّل عليـه . ثم قال له : حدّثنى ما رأيت بعدى . فقال : لى حديث ليس فى الأرض أطرف منه . وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواثق : قبّحك الله ، ما أجهلك! أنت سوقة وأنا ملك ، وكنتُ صاحياً وكنتَ منتشياً ، وبدأت القوم فأجابوك ، فبلغ منك الغضب ما ذكرته ، وما بدأتك فتُجيبنى ، وبدأتنى بالمرح بمـا لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك لا تعاود بعد هذا ممازحة خليفة وإن أذن لك فى ذلك ، فليس كل أحد يحضُره حلمُه كما حضرنى فيك .

حديث الرقعة التى أعطاها هو الواثق غلطاً

وذُكر أنه لم يكن فى الخلفاء أحلمَ من الواثق ، ولا أصبر على أذى وخلاف . وكان يعجبه غناء أبى حَشيشة الطُّنبورى ، فوجِد المسدود من ذلك وهجا الخليفة ببيتين ، فكانا معه فى رُقعة، وفى رقعة أخرى حاجة لامرأة تريد أن ترفعها إليه ؛ فغلط بين الرقعتين فناوله الرقعة التى فيها هَجوه ، وهو يرى أنهـا رقعة الحاجة . فقرأها وفيها :

مِن المسدود فى الأنف إلى المَسدود فى العَيْنِ
أنا طَنْبـــل له شِق فيا طَبـــلاً بِشقّين

فلمـا قرأ الرقعة علم أنها فيه ، فقال للمسدود : غلطت بين الرقعتين ، فهات الأخرى وخُذ هذه واحترس من مثل هذا ، مازاده على هذا .

أغضب المنتصر فاحتمله

وذكر أن المسدود تحدّث فى مجلس المنتصر بحديث ، فقال المنتصر : ومتى كان ذلك ؟ فقال : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر . يعرّض له بليلة قتل فيها أبوه المتوكل ، وأنّ ذلك كان بأمره . فأغضى المنتصر واحتمله .

هو وجارية فى حضرة المعتمد

وقالت مُغنية للمســدود يوماً بين يدى المعتمد : غنّ يا مسدود . فقـــال : نعم يا مفتوحة .

أخبار سلمة بن عياش

نسبه وشيء عنه

هو : سلمة بن عياش ، مولى بني حِسْل بن عامر بن لُؤيّ . شاعر بَصرى من مُخضرمى الدَّولتين . وكان يتديّن و يتصوّن .

انقطاعه إلى ابنى سليمان

انقطع إلى جَعفر ومحمد ، ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، ومدحهما فأكثر وأجاد .

هو وأبو سفيان ابن العلاء عند ابن سليمان وحديث الجارية التى وجهها له

وذُكر أنه كان سَلمة بن عياش وأبوسفيان بن العلاء يوماً عند محمد بن سليمان وجارية له تُغنيهم وتسقيهم — يقال لها : بربر — فقال سلمة :

إلى الله أشكو ما ألاقى من القِلى ... لأهلى وما لاقيتُ من حُبِّ بَربرِ

على حين ودّعت الصبابةَ والصِّبى ... وفارقتُ أخدانى وشمَّرت مِئزرى

نأى جَعفر عنّا وكان لمثلها ... وأنت لنا فى النائبات كجعفر

فقال محمد بن سليمان : خُذها هى لك . فاستحيا وارتدع وقال : لا أريدها . فألحّ عليه فى أخذها . فقال : أُعتق ما تملك إن أخذتُها . فقال له أبو سفيان : يا سَخين العين ، أعتق ما تملك وخذها ، فهى خير مما تملك .

رثاؤه لأبى سفيان ابن العلاء

فلما مات أبو سفيان بن العلاء رثاه سلمة ، فقال :

لعمرك ما تعفو كلومُ مُصيبةٍ ... على صاحبٍ إلاّ فُجعت بصاحب

تقطّع أحشائى إذا ما ذكرتهم ... وتَهمل عينى بالدُّموع السَّواكب

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٨٤ — ٨٧)

وكنتُ أمرأً جلداً على ماينُوبنى ومُعترفاً بالصَّبر عند المَصائبِ

فهدَّ أبو سفيان رُكنى ولم أكن جُزوعاً ولا مُستكثراً للنوائب

غَنينا معاً بضعاً وخمسين حِجةً خليلَيْ صَفاء وُدُّنا غير كاذب

فأصبحتُ لمَّا حالت الأرضُ دونه على قُربه منّى كأن لم أُصاحب

والبيتان الأولان من هذه الأبيات، الشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به أبوالفرج أخبار سلمة بن العياش .

بعض أخبار أبي العتاهية

(*) ثم ذكر أبو الفرج شعراً يُغَنّى فيه من شعر أبي العتاهية ، فاقتضى ذلك ذكر بعض أخباره :

شعره للأمين وهو الشعر الذى فيه الغناء

ذُكر أنه لما جلس محمد الأمين فى الخلافة أنشده أبو العتاهية :

يا بن عمّ النبيّ خير البريّه ... إنما أنت رحمةٌ للرعيّه
يا إمام الهُدى الأمين المصفّى ... يا لُباب[1] الخلافة الهاشميّه
لك نفسٌ أمّارة لك بالخيـ ... ـر وكفٌّ بالمكرُمات نديّه
إنّ نفساً تحمّلتْ مثل ما حُمّـ ... ـلت للمُسلمين نفسٌ قويّه

ثم خرج إلى دار أُم جعفر، فقالت له : أنشدنى ما أنشدت أمير المؤمنين، فأنشدها . فقالت : أين هذا من مديحك فى المهدى والرشيد ؟ فغضب وقال : إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه ـ وهذا هو الشعر الذى فيه الغناء :

يا عمودَ الإسلام خَير عَمود ... والذى صِيغ من حَياء وجُودِ
والذى فيه ما يُسلِّى ذوى الْـ ... ـأحزان عن كُلّ هالك مَفقود
والأمين المُهذّب الهاشمىّ الْـ ... ـقَرم محَض الآباء محَض الُجدود
إن يوماً أراكَ فيه ليومٌ ... طلعت شمسُه بسَعد سُعود

(*) مرت أخبار أبى العتاهية فى الجزء الثانى من القسم الأول . وقد ذكر أبو الفرج ما يأتى بعنوان : « أخبار أم جعفر » .

(١) غير التجريد : « بلباب » .

أخبار أيمن بن خريم

نسبه

(*) هو : أيمن بن خُرَيم بن الأخرم بن [شداد بن][1] عمرو بن فاتك بن القُلَيْب بن عمرو بن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بنُ مضر بن نزار .

أبوه صحابي

لأبيه صُحبة بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم .

متشيع

وكان أيمن يتشيّع .

هو وعبد الملك وقد سأله عن قوته

ذُكر أن عبد الملك بن مروان كان شديد الشغف بالنساء ، فلما أسنّ ضَعُف عن الجماع وازداد غرامه بهن . فدخل عليه أيمن بن خريم فقال له : كيف أنت يا أيمن ؟ فقال بخير يا أمير المؤمنين. قال : كيف قُوتك ؟ قال : كما أحب ولله الحمد، إنى لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البُر وأشرب العُسّ[2] المملوء ، أعبُّه عبًّا ، وأرتحل البعير الصعْب فأُنْصِبه[3] ، وأركب المُهر الأَرِن فأذلِّله ، وأفترع العذراء لا يُقعدنى عنها الكِبر، ولا يمنعنى عنها إلا السَّحر[4] ، ولا يَروينى الغُمَر[5] ، ولا ينقضى منِّى الوطر . فغاظ عبدَ الملك قولُه وحسده ، فمنعه العطاء وحَجبه وقَصده بما كره ،حتى أثر ذلك فى حاله . فقالت له أمرأته : ويحك : أصدقنى عن حالك ، هل لك جُرم؟ قال : لا والله. قالت : فأى شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر مالقيته؟ فأخبرها . فقالت : إنا لله ، مِن ها هنا أُتيت ، أنا أحتال لك فى ذلك حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفت من نفسك . فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، زوجـة عبد الملك ، فقالت :

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين (٥ — ٨) .

(١) تكملة من الاستيعاب والجهرة (١٨٠) . (٢) العس : القدح العظيم .

(٣) التجريد : « فأنضيه ». (٤) غير التجريد : « الحصر » .

(٥) الغمر : بضم ففتح : القدح الصغير .

أسألك أن تَسْتعدى لى أمير المؤمنين على زوجى . قالت : وماله ؟ قالت : ماأدرى أنا مع رجل أو حائط ، فإن له لسنتين ما يعرف فِراشى ، فسَليه أن يفرّق بينى وبينه . فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت له ذلك ، وسألته فى أمرها ، فوجّه إلى أيمن فأحضره ، وسأله عما شكت منه ، فاعترف بذلك . فقال له : أولم أسألك عامَ أول عن حالك فوصفت لى كيت وكيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجل ليتحمّل عند سلطانه و يتجلّد عند أعدائه بأكثر مما وصفتُ به نفسى، وإنى القائل :

لقيتُ من الغانيات العُجابَا ... لو أُدرك منّى الغوانى[1] الشّبابَا
يَرى الشّيبَ جَمعُ النساء الحِسا ... ن عتباً[2] شديداً إذا المرء شابا
ولو كِلْتُ بالمُدّ للغـانيات ... وضاعفتُ فوق الثّياب الثّيابا
إذا لم يَنَلْهن من ذاك ذاك ... بَغَيْنك عند الأمير الكِذابا[3]
إذا لم يُخالطن كُل الخِـلا ... ط أصبحن مُخْرَنطات[4] غِضابا
و يَعْرُكن بالمسك أجيادَهُن ... و يُدنين عند الحِجال العيابا[5]
علام يُكحِّلن حُور العيون ... و يُحدثن بعد الخضابِ الخضابا
و يَبْرُقْن[6] إلّا لما تعلمون ... فـلا تَمنعن النّساء الضّرابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله . ثم قال : أولى لك يا بن خُرَيم ، لقد لقيت منهن تَرحا ، فما تُرى أن نصنع بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العِنّين ، وأُداريها لعلى أستطيع إمساكها . قال : أفعل ذلك . ففعل . وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى برّه وتقريبه .

---

(١) التجريد : « الغوانى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولكن جمع العذارى الحسان عناء » .
(٣) غير التجريد : « جحدتك عند الأمير الكذابا » . (٤) مخرنطات : أنفات مستكبرات .
(٥) التجريد : « الحجاب العيابا » . والحجال : جمع حجلة ، وهى القبة تستتر فيها المرأة .
(٦) يبرقن : يتجملن . وفى غير التجريد : « و يغمزن » .

أخبار حُجية

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج شعراً يُغنى فيه لحُجية بن المضرِّب الكندى ، يقول :

تصابيتَ أم هاجت لك الشوقَ زينبُ وكيف تَصابِى المرء والرأسُ أشيبُ

إذا قَرُبت زادتْك شــوقاً بقُربها وإن جانبتْ لم يُسْل عنها التجنُّب

فلا اليأْس إن ألممتَ يبـدو فترعوى ولا أنت مَردود بما جئتَ تطلب

وفى اليأْس لو يبدو لك اليأْس راحة وفى الأرض عمَّن لا تُواتيك مَطلب

حديثه مع زوجته فى بره بأولاد أخيه

وكان من حديث حُجيَّة هذا أنه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك صِبية صغاراً فى حِجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عليهم ، وكان يُؤْثرهم على صِبيانه . فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنه عرض له سفر لم يجـد بدًّا من الخروج فيه ؛ فخرج وأوصى بهم امرأته . وكانت إحدى بنات عمّه ، وكان يقال لها : زينب . فقال : اصنعى ببَنِى أخى ما كنت أصنع بهم . ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهراً ثم رجع ، وقد ساءت حال الصبيان وتغيَّرت . فقال لامرأته : مالى أرى بنى معدان مهازيل وأرى بنىَّ سِمَانا ؟ فقالت : كنت أواسى بينهم ، ولكنهم كانوا يعبثون و يلعبون . فخلا بالصبيان ، فقال : كيف كانت ولاية زينب لكم ؟ قالوا : سيئة ، ما كانت تعطينا من القوت إلا مِلْء هذا القــدح من لبن - وأروه قدحاً صغيراً . فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها ، حتى إذا أراح عليه راعِياً إبله ، قال لهما : اذهبا فأنتما و إبلكما لبنى معدان. فغضبت من ذلك زَينب وهجرته ، وضربت بينها وبينه حجاباً . فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غَبوقاً أبداً .

وقال فى ذلك :

لَجِجْنا ولَجّتْ هذه فى التغضُّب ولُطّ[١] الحِجابُ بيننا فى التجنُّبِ
وخَطّت بعُودَىْ إثْمِدٍ جَفْنَ عَينها لتَقتلنى وشدّما حُبُّ زينب[٢]
تلوم على مالٍ شَفانى[٣] مكانُه فلُومى حياتى ما بدا لك واْغضبى
رحمتُ بنى مَعدان إذْ قلّ مالُهم وحقّ لهم منّى وربِّ المُحصَّب[٤]
وكان اليتامى لا يَسُدّ اختلالَهم هدايا لهم فى كل قَعب مُشعَّب[٥]
فقلت لعبدَيْنا أريحا عليهمُ سأجعل بيتى بيتَ آخرَ مُعْزِب[٦]
وقلتُ خذوها واْعلموا أنّ عمكم هو اليوم أَولى منكمُ بالتكسُّب
عيالى أحقُّ أن ينالوا خَصاصةً وأن يشربوا رَنقاً إلى حين مَكسبى[٧]
أُحابِى بها مَن لو قَصدتُ لمَالِه حَرِيباً[٨] لآسانى إلى حين مَركبى[٩]
أخى والذى إنْ أدْعُه لمُلمّة[١٠] يُجِبْنى وإن أغضب إلى السّيف يَغْضَب

هرب امرأته إلى المدينة وإسلامها وقصته معها

وكان حُجية هذا وامرأته نصرانيين ، فلما بلغها هذا الشعر خرجتْ حتى أتت المدينة فأسلمت ، وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فركب حُجية إلى المدينة يطالب زَينب أن تُرد عليه . ونزل بالزُّبير بن العوّام رضى الله عنه وأخبره بقصته . فقال له الزبير : إيّاك أن يَبلغ هذا عنك عُمر فتلقى منه أذى . وانتشر

(١) لط : أسدل ، بالبناء للمجهول فيهما .
(٢) شد ما حب زينب ، أى : حق حبها ، أو : نعم حبها . (٣) التجريد : « شفانى » .
(٤) المحصب : موضع رمى الجمار . (٥) القعب : القدح الضخم .
(٦) معزب : مبعد . (٧) الخصاصة : الفقر . والرنق : الكدر من الماء .
(٨) الحريب : المسلوب المال . (٩) غير التجريد : « لآسانى على كل موكب » .
(١٠) غير التجريد : « عظيمة » .

خبر حُجية وفشا بالمدينة ولُم فيما كان مَقدمُه . فبلغ ذلك عمر، فقال للزبير، رضى الله عنهما : بلغتنى قصة ضيفك ، ولقد هممت به لولا تحَرُّمه بالنزول عليك . فرجع الزبير إلى حُجية فأعلمه قول عمر رضى الله عنه . فقال حجية فى ذلك :

إنَّ الزبير بنَ عوّام تَداركنى ... منه بسَيْب كريم سَيْبه عَمَمُ

عائشة وأخوها عبدالرحمن مع ولدى أخيهما محمد بعد مقتله

وذُكر أن محمد بن أبى بكر الصديق لمّا قتله عمرو بن العاص ومعاوية بن حُديج بمصر ، وجعلاه فى جِلد حمار وأحرقاه بالنار. وكان محمد بن أبى بكر والياً بمصر من قِبل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، خلْف ابنه القاسم بن محمد ، وهو أحد فقهاء المدينة السَّبعة ، وأُختاً له .

فحدّث القاسم بن محمد قال : جاء عمِّى عبد الرحمن بن أبى بكر فاحتملَنا وقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشة فاحتملَتنا ، فما رأيت والدة قطّ ولا والداً أبرّ منها . فلم نزل فى حِجرها ، حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلست كل واحد منّا على فخذها ، ثم بعثت إلى عمّى عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكلّمت ، فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه ، فما رأيت مُتكلماً قبلها ولا بعدها أبلغ منها . ثم قالت : يا أخى ، إنى لم أزل أراك مُعْرِضاً منذ قبضتُ هذين الصبيّين منك ، ووالله ما قبضتُهما تطاولًا عليك ، ولكنّك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيتُ أن تَرى نساؤك منهما ما يتقذَّرْنَه من قبيح أمر الصبيان ، فكنتُ ألطف لذلك وأحقَّ بولايته ، وقد قويا على أنفسهما وشبّا وعرفا ما يأتيان ، فهما هذان فضُمهما إليك وكُن لهما كحُجية بن المضرِّب ، أحد بنى كندة .

ثم قصت عائشة رضى الله عنها عليه خبره .

أخبار أبى الهندى

نسبه

هو : غالب بن عبد القُدّوس بن شَبث بن رِبْعى .

طبقته وشعره

وكان شاعراً مطبوعاً . وهو مُخضرم الدّولتين : الأموية والعباسية. وكان جَزْل الشعر ، حسنَ الألفاظ ، لطيفَ المعانى . وإنما أخمله وأمات ذكره بُعده عن بلاد العرب ومُقامه بسجستان وخراسان ، وشغفه بالشراب ومُعاقرته إياه وتهتُّكه.

من وصاف الخمر وبعض ما قال

وأستفرغ شعره بصفة الخمر ؛ وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام .

ومن جيد قوله فيها :

سقيتُ أبا المطوّح[1] إذ أتانى ... وذو الرُّعثات[2] مُنتصبٌ يصيحُ

شرابًا يهرُب الذّبان منه ... ويَلثغ حين يَشربه الفَصيح

حديث سكره ثلاثة أيام مع قوم وشعره فى ذلك

وذُكر أن أبا الهندىّ أشتهى الصّبوح ذات يوم ؛ فأتى خمّاراً بسِجِسْتان فى محلّة — يقال لها : كوه زيان . وتفسيره بالعربية : جبل الخسران — يباع فيها الخمر والفاحشة ؛ وتأوى إليها كل زان ومُغنية . فدخل إلى الخمار فقال : أسقنى ، وأعطاه ديناراً . فكال له ، وجعل يشرب حتى سكر ؛ وجاء قوم يُسلّمون عليه ، فصادفوه على تلك الحال ؛ فقالوا للخمار : ألحقنا به . فسقاهم حتى سكروا . وانتبه أبو الهندى فسأل عنهم ، فعرّفه الخمّار خبرهم . فقال : هذا الآن وقت السكر ، والآن طاب ، فألحقنى بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ؛ وانتبهوا فقالوا للخمار : ويحك هذا نائم بعد ! فقال : لقد انتبه ، فلما عرف خبركم شرب حتى سكر .

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(1) فى غير التجريد : « المطرح » .

(2) ذو الرعثات : الديك . والرعثات : جمع رعثة ، وهى عثنون الديك ولحيته .

قالوا : فألحقنا به . فسقاهم حتى سكروا . وانتبه أبو الهندى فسأل عن خبرهم فعرفه. فقال : والله لألحقن بهم . فشرب حتى سكر . فلم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا ، وهم فى موضع واحد .ثم تركوا هم الشرب عمداً ، حتى أفاق فلقوه . وفى ذلك يقول أبو الهندى :

نَدَامَى بعـــد ثالثة تلاقَوْا ... تَصُبُّهُمُ بكُوه زيَّان راحُ
وقد باكرتُها فتركت منهـــا ... قتيلاً ما أصـــابتْنى جِراح
وقالوا أيها الخمَّار من ذا ... فقـــال أخ تَخَوَّنه[1] اصطباح
وقالوا هاتِ راحَك فالْحقنـــا ... به وتعلّلوا ثم اســـتراحوا
فما إن لَبَّثَتْهم أنْ رمَتْهم ... بجَدّ سلاحها ولها ســـلاح
وحانَ تنبُّهى فسألتُ عنهم ... فقـــال أتاحهم قَدَرٌ مُتاح
رأوك مُجدَّلا فاستخبرونى ... فحرّكهم إلى الشُّرب ارتيـاح
فقلت بهم فألحقنى فهبُّـــوا ... فقالوا هل تنبّه حين راحوا
فقال نعم فقـــالوا ألحقنا ... به قد لاح للرّائى صَـــباح
فما إن زال ذاك الدأب منَّـــا ... ثلاثاً يُستحلّ ويُســـتباح
نبيتُ معاً وليس لنا التقـــاء ... بِبَيْتٍ ما لنـــا فيه بَراح[2]

حجه مع ابن سيار وامتناعه عن الشرب

وذُكر أن نصر بن سيّار ، عامل خراسان ، حجَّ وأخرج أبا الهندى معه ؛ فلما حضرت أيام الموسم قال : يا أبا الهندى ، إنّا بحيث ترى ، وفدُ الله وزُوّاره . فهَبْ لى النبيذ فى هذه الأيام واحتكم علىّ ، فلولا ماترى مامنعتك . فضمن له ذلك، وأغلظ عليه الاحتكام . فوكل به نصرُ بن سيار بعضَ ثقاته . فلما انقضى الأجل

(١) تخونه : خانه وفاته .
(٢) لم يرد هذا البيت فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

مضى فى السَّحر، قبل أن يلقى نصراً؛ فجلس على أكمة يُشرف منها على فضاء واسع، ووضع بين يديه إداوة[(١)] وأقبل يشرب ويبكى، ويقول:

أديرَا علىَّ الكأس إنى فقدتُها ... كما فقد المَفطومُ دَرَّ المَراضِع

حليفُ مُدام فارق الراحُ رُوحَه ... فظلَّ عليها مُستهلَّ المَدامع

حديث موته

وحكى صَدَقة بن إبراهيم البَكرى قال:

كان أبو الهندى يشرب معنا؛ وكان إذا سكر يتقلَّب تقلُّباً قبيحاً فى نومه. فكنّا كثيراً ما نشُد رجله لئلا يسقُط من السطح؛ فسكر ليلةً وشددنا رجله بحَبل وطوَّلنا فيه ليقدر على القيام للبول وغير ذلك من حوائجه. فسقط من السطح فأمسكه الحبل، فبقى معلقاً منكَّساً، وتَخنَّق بما فى جوفه من الشراب؛ فأصبحنا فوجدناه ميتاً.

قال: صَدَقة فمررت بقبره بعد ذلك فوجدتُ عليه مكتوباً:

اجعلوا إنْ متُّ يوماً كفنى ... ورقَ الكَرْم وقبرى مِعْصرَهْ

إنّنى أرجو من الله غداً ... بعد شُرب الراح حُسنَ المغفره

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء، وافتتح به الفرج أخبار أبى الهندى:

لمّا سمعتُ الدِّيك صاح بسُحرةٍ ... وتوسَّط النَّسران بطنَ العَقربِ

وبدا سُهيلٌ فى السماء كأنه ... ثورٌ وعارضَه عِجانُ الرَّبرب[(٢)]

نبّهتُ نَدْمانى وقلت له اصطبِح ... يا بنَ الكِرام من الشَّراب الأصهب[(٣)]

صَفراء تَبرق[(٤)] فى الزُّجاج كأنها ... حَدق الجَرادة أو لُعاب الجُندب

(١) الإداوة: إناء صغير.

(٢) الربرب: القطيع من بقر الوحش. والعجان: المنتهية سمنا. والرواية فى غير التجريد: «هجان»، وهى البيض الكرام.

(٣) الأصهب: الأشقر. والرواية فى غير التجريد: «الطيب». (٤) غير التجريد: «تبدو».

أخبار سعيد بن وهب (*)

نسبه

(*)هو : سعيد بن وهب بن عثمان . مولى بنى سامة بن لؤى . بصرىّ . مولده

موطنه

ومنشؤه البصرة ، ثم صار إلى بغداد فأقام بها .

كتب للبرامكة

وكانت الكتابة صناعته ، فتصرّف مع البرامكة واصطنعوه .

مذهبه فى الشعر وموته بعد توبة

وكان شاعراً مطبوعاً . ومات فى خلافة المأمون . وأكثر شعره فى الغزل والشراب ، ثم نسك وتاب ، وحج راجلا على قدميه . ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل .

رثاه أبو العتاهية

مات وأبو العتاهية حىّ ، فرثاه وكان صديقه .

شعره فى كتاب السلطان

وذُكر أنه نَظر إلى قوم من كُتاب السلطان فى أحوال جميلة ، فأنشأ يقول :

من كان فى الدُّنيا له شارةٌ ... فنحن من نَظّارة الدُّنيا

نَرمُقها من كَثب حسرةً ... كأننا لفظٌ بلا مَعنى

يَعْلُو بها الناسُ وأيامنا ... تذهب فى الأَرذل والأَدنى

أنشد الفضل بن يحيى بيتين فغلب بهما

وذُكر أن سعيد بن وهب دخل على الفضل بن يحيى فى يوم قد جلس فيه للشعراء ، فجعلوا يُنشدونه ويأمر لهم بالجوائز ، حتى لم يَبق منهم أحد ، ثم التفت إلى سعيد بن وهب كالمُستنطق . فقال له سعيد : أيها الوزير ، إنى ما كنت أستعددت لهذه الحال ولا تقدّمتْ لها عندى مقدمة فأعرفها ؛ ولكن قد حضرنى بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة . فقال : هاتهما ، فرُب قليل يكون أبلغ من كثير . فقال سعيد :

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

مَدح الفضلُ نفسَه بالفَعالِ فعَلَا عن مَديحنا بالمَقالِ
أمرونى بمَدْحه قلتُ كلاّ كبُرَ الفضل عن مَديح الرِّجال

فطرب الفضل وقال : أحسنت والله وأجدت ، ولئن قَلّ القولُ ونزر فلقد اتسع المعنى وكثُر . ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلَّ من أنشده مديحًا يومئذ ، وقال : لا خير فيما يجىء بعد بيتيك ، وقام من المجلس ، وخرج الناس لا يتناشدون سوى البيتين .

شعره فى محاجاة جارية

ولسعيد بن وهب أبيات هى لُغز فى القلم مُوهمة ، حاجَى بها جارية شاعرة ظريفة أديبة ـ يقال لها حَسناء ـ وهى :

أحاجيك أيا حَسنا ء فى جِنس من الشِّعرِ
وفى ما طُوله شِبر وقد يُوفى على الشّبر
له فى رأسه شقٌّ نَطُوفٌ بالنَّدى يَجرى
إذا ما جَفّ لم يُجْدِ لدى بَرّ ولا بَحْر
فإن بُلّ أتى بالعَجَ ب المُعْجِب والسِّحر

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار سعيد بن وهب ، هو :

لقد قلتُ حين قُرِّبـ ـت العيسَ يا نَوارُ
قِفوا فاربعوا قليلا فلم يَرْبعوا وساروا
ونَفسى لها حنين وقلبى له انكسار
وصدرى به غَليل ودَمعى له انحدار

أخبار رؤبة بن العجاج

نسبه

(*) واسم العجّاج: عبد الله بن رُؤبة بن حنيفة؛ وهو أبو خزيم بن مالك ابن قُدامة بن أُسامة بن الحارث بن عوف بن سعد بن زيد مَناة بن تميم.

راجز بدوى

من رُجاز الإسلام وفُصحائهم المذكورين المقدّمين منهم. بدويّ نزل البصرة.

عصره ومنزلته وموته

وهو من مُخضرمي الدولتين، مدح بني أمية، ومدح بني العباس، ومات في خلافة المنصور، وأخذ عنه وجوه أهل اللغة، وكانوا يقتدون به ويحتجّون بشعره، ويجعلونه إماما.

كنيته

ويُكنى: أبا الجحّاف[1]، وأبا محمد.

ليونس في فصاحته

وقيل ليونس النحوى: هل رأيت أفصح من رؤبة؟ فقال: لا، ما كان مَعد بن عدنان أفصح منه.

أرسل إليه أبو مسلم واستنشده فأنشده

وذُكر أنه لما أفضت الخلافة إلى بني العباس، بعث أبو مسلم صاحب الدعوة إلى رؤبة يستدعيه، فلما دخل عليه قال له: أنشدني قولك:

* وقاتم الأعماق خاوى المُخترق *

فقال: وأنشدك أحسن منه؟ فقال: هات. فأنشده:

قلت وسَجى[2] مُستجدّ حَوكا

لبّيك إذ دعوتَنى لبّيكا

أحمد ربًّا ساقني إليكا

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين.

(1) غير التجريد: «أبا العجاف». (2) في غير التجريد: «وقولى».

فقال : هات كلمتك الأولى . فقال : أو أُنشدك أحسن منها ؟ قال : هات . فأنشده :

ما زال يبنى خَندقاً ويهدمه
ويستجيش عسكراً ويهزمه
ومغنما يجمعــــه ويقَسمه
مروان لما أن تهاوت أنجمه
وخانه فى حُـكمه مُنجِّمـــــه

فقال : دع هذا وأنشدنى : «وقاتم الأعماق» . فقــال : وأحسن منه . قال : هات . فأنشده :

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بيتا
وشِدتَ رُكن الدِّين إذ بنيتا
فى الأكرمين من قُريش بيتا

فقال : هات ما سألتك عنه . فأنشده :

ما زال يأتى الأمرَ من أقطاره
على اليمين وعلى يَســـــاره
حتى أقرّ الملك فى قَراره
وفَر مَروان على حماره

فقال : هات ما دعوتك له وأمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره . فأنشده :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

فلما صار إلى قوله :

يَرْمى الجلاميدَ بِجُلمود مِدَقّ (١)

(١) مدق : ما يدق به ، ويكون بدلا من جلمود . وقيل : مدقّ ، أى يدق الأشياء ، وهو على هذا وصف لجلمود .

قال : قاتلك الله ! لشدّ ما استصلبت بالحافر ! ثم قال : حسبك ، أنا ذلك الجُلمود المِدق .

سئل عن أكله الفأر فأجاب

وذُكر أن رؤبة كان يأكل الفأر . فقيل له فى ذلك وعُوتب . فقال : هن والله أنظف من دَواجنكم ودَجاجكم اللواتى يأكلن القَذر ، وهل يأكل الفأر إلا نقيّ البُر ولُباب الطعام .

ليونس فى تفضيله هو والعجاج

وذُكر أنه قيل ليونس : من أشعر الناس ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : لم نَعن الرُّجّاز . فقال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنما الشعر كلام وأجوده أشعره . قال العجاج :

* قد جَبر الدِّين الإله فجُبر *

وهى نحو من مائتى بيت موقوفة ، ولو أطلقت قوافيها كانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزه .

الرجز الذى فيه الغناء

والرجز الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار رؤبة ، هو :

دايَنْتُ[1] أروى والدُّيون تُقضَى
فمَطلت بعضاً وأدّت بعضَا
يا ليت أروى إذ لوتك القَرْضا
جادت بقَرض فشكرتُ القَرضا

(١) التجريد : « دلمت » .

أخبار أسماء بن خارجة

شعره الذي فيه الغناء

ثم ذَكر أبو الفرج شعراً لأسماء بن خارجة الفزارى يُغنَّى فيه :

خُذى العفو منى تَستديمى مودّتى ... ولا تَنطقى فى سَورتى حين أَغْضَبُ

ولا تَنقُرينى نقركِ الدُّف مَرةً ... فإنكِ لا تَدْرين كيف المغيَّب

فإنّى رأيت[1] الُحبَّ فى الصَّدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلبث الُحبّ يذهب

وصيته لابنته حين زوجها من الحجاج

وذُكر أن أسماء هذا زوّج ابنته هنداً من الحجّاج بن يوسف ، فلما كان ليلة أراد البناء بها ، قال لها : يابنية ، إن الأمهات يؤدّبن البنات ، وإن أُمك هلكت وأنتِ صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، وإياك وكثرة الُمعاتبة فإنها مقطعة للوُد ، وإياك وكثرة الغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وكونى له أَمَة يكن لك عبداً ، وأعلمى أنى القائل — وذكر البيت الأول والثانى والثالث من هذه الأبيات البائية .

وكانت هند هذه امرأة مجرّبة ، قد تزوجها جماعة من أُمراء العراق ، فكان الحجّاج يصفها فى مجلسه بكل خير .

جزع ابنته على زوجها عبيد الله ابن زياد بعد وفاته

وذكر أن أول أزواج هند بنت أسماء هذه عُبيد الله بن زياد ، وهو أبو عُذرتها ، فلما قُتل ، وكانت معه ، لبست قُباء وتقلّدت سيفاً وركبت فرساً لعبيد الله — كان يقال له : الكامل — وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل، ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعاً عليه .

---

(٢) غير التجريد : « وجدت » .

ولقد قالت يوماً : إنى لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله .

زواج ابنته من بشر وعدم جزعها عليه بعد موته

فلما قَدم بِشر بن مروان الكوفة من قبل أخيه عبد الملك بن مروان، دُلّ عليها فخطبها فتزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر ، ثم مات فلم تُكثر الجزع عليه . فقال الفرزدق فى ذلك :

إلاّ تكُنْ هِند بَكته فقد بكتْ عليه الثُّريَّا فى كواكبها الزُّهرِ

تزوجها الحجاج ثم طلقها

ثم خطبها الحجاج بن يوسف فتزوجها ، وأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم وثلاثين جارية ، مع كل جارية تَخت ثياب ، فحظيت عنده حُظْوة كثيرة ، وقدم بها معه البصرة وبنى بها فى قصره المعروف بقصر الحجّاج . ولما دخلت معه هذا القصر قال لها : هل رأيت قط أحسن من هذا القصر؟ قالت : ما أحسنه ؟ قال: لتصدقننى. قالت : أما إذ أبيت فو الله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان عبيد الله بن زياد بناه بطين أحمر . فغضب الحجّاج عليها وطلقها ، وبعث إلى القصر فهدَمه وبناه بلَبن .

أخبار السُّليك بن السُّلكة

نسبه

هو : السُّليك بن عمرو – وقيل : عُمير – بن يَثْرِبىّ . أحد بنى مُقاعس ، وهو: الحارث بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم .

أمه

والسُّلكة أمّه ، وهى أَمَة سوداء .

من عدائى العرب

وهو : أحد صعاليك العرب العَدَّائين الذين كانوا لا يُلحقون ولا تتعلّق بهم الخيل ، وهم : السُّليك بن السُّلكة ، والشَّنْفرى ، وتأبّط شرّا ، وعمرو بن بَرَّاق ، ونُفيل بن بَرَّاقة .

منهجه فى الغارة

وذُكر أن السُّليك كان يستودع فى الشتاء بيضَ النعام ماءَ السماء ثم يدفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار ، وكان أدلّ من قَطاة ، يجىء حتى يقف على البيضة ، وكان لا يغير على مُضر وإنما يغير على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

خروجه مرة للغارة

فأملق مرة حتى لم يبق معه شىء ، فخرج يعدو على رجليه رجاءَ أن يُصيب غِرة من بعض من يَمر به فيذهب بإبله ، حتى أمسى فى ليلة من ليالى الشتاء باردة مُقمرة ، فاشتمل الصماء[1] ونام ، فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه ، فقال : استأسر . فرفع السليك إليه رأسه وقال : الليل طويل وأنت مُقمر . فأرسلها مثلا . فجعل الرجل يلهزه[2] ويقول : يا خبيث ، استأسر . فلما آذاه بذلك أخرج السُّليك يده فضم الرَّجُل إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه . فقال السليك : أضرطاً وأنت الأعلى . فأرسلها مثلا . ثم قال له السُّليك : ما أنت ؟

---

(١) اشتمال الصماء : أن يرد فضل ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها .

(٢) يلهزه : يلكزه .

قال : أنا رجل أفتقرت فقلت : لأخرجنّ فلا أرجع إلى أهلى حتى أستغنى فآتيهم وأنا غنىّ . قال : فانطلق معى. فانطلقا فوجدا رجلاً قِصّته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف جوف مُراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعم ، قد ملأ كل شيء من كثرته ، فهابوا أن يُغيروا فيطردوا بعضها ويلحقهم الطلب ، فقال لهم سليك : كونوا قريباً منّى حتى آتى الرّعاء فأعلم لكم علم الحى ، أقريب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعت إليكم ، وإن كانوا بعيداً قلت لكم قولاً أُومىء إليكم به ، فأغيرا . فانطلق حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه مكان الحى ، فإذا هم بعيد إن طَلبوا لم يدركوا . فقال السليك للرعاء : ألا أغنّيكم ؟ فقالوا : بلى ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيّ ألا لا حىّ بالوادى ... سوى عَبيد وآمٍ بين أذْوادِ
أتنظران قريباً رَيث غَفلتهم ... أم تغدُوان فإنّ الريحَ للغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السُّليك ، فطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريخ الحىّ حتى فاتوهم بالإبل .

شعره الذى فيه الغناء ، وقصته

وذُكر أن السُّليك أغار على بنى عُوارا ، بطن من بنى مالك بن ضُبيعة ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مُساورته ، فقال شيخ منهم : إنه إذا عدا لم يتعلق به شىء ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب ثَقُل، فلم يستطع العَدْو وظفرتم به . فأمهلوه يعدو حتى وَرد الماء ، فشرب ، ثم بادروه . فلما رأى أنه مأخوذ خاتلهم وقصد إلى أدنى بيوتهم حتى ولَجَ على امرأة منهم ، يقال لها : فكيهة ، فاستجار بها ؛ فمنعته وجعلته تحت دِرعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ؛ فكاثروها ، فكشفت خِمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها ، فجاءوها ودفعوا عنه حتى نجا من القتل . ففى ذلك يقول السُّليك :

وهو الشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار السليك :

لعمرو أبيك والأنبـاء تَنْمى لنِعْم الجارُ أختُ بنى عُوارَا
من الخَفِرات لم تَفضح أباها[1] ولم تَرفع لإخوتها شَنارا
كأنَّ مجامع الأرداف منها نَقًى دَرَجت عليه الريح هَارا
وما عجزت فُكيهة يوم قامت بنَصل السَّيف وأستلبُو الخِمارا

قصته مع بنى كنانة

وذُكر أن السليك أخذ رجلا من بنى كنانة بن تَيم بن أُسامة بن مالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنم[2] بن تغلب ، يقال له : النعمان بن عقيان[3] ، ثم أطلقه ، ثم قدم بعد ذلك على بنى كنانة ، وهو شيخ كبير ، وهم على ماء لهم ، فأتاه النعمان بأبنيه : الحكم وعثمان، وهما سيدا بنى كنانة ، ونائلة أبنته ،وقال :هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم . فقالوا :صدق . فقال : لقد شكرت لك وقد رددتهم عليك .فجمعتْ له بنو كنانة إبلا عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له : إن رأيت أن تُرينا بعض ما بقى من إحضارك ؟ فقال : نعم ، ابغُونى أربعين شاباً وابغونى درعاً ثقيلة . فأتوه بذلك. فلبس الدرع ، وقال للشبان : الحقونى إن شئتم . ثم عدا وعَدَوا جنبه فلم يلحقوه ، ثم غاب عنهم ، وكرّ حتى عاد إلى القــوم وهو وحده يُحضر والدرع فى عُنقه تضطرب ، كأنها خِرقة ، من شدة إحضاره .

وذُكر[4] أن السُّليك لقى رجلا من خَثعم يقال له : مالك بن عمرو ، فأخذه ومعه أمرأة له من خفاجة ، يقال لها : النوار ، فقال له الخثعمى : أنا أفدى نفسى منك . فقال له السليك : ذلك لك . فرجع إلى قومه وخلّف أمرأته رَهينة معه . فوطئها السُّليك ، وجعلت تقول له: أحذر خثعم، فإنى أخافهم عليك ، فأنشأ يقول:

---

(١) التجريد : « أخاها » .
(٢) فى غير التجريد : « عثمان » . وانظر الجمهرة (٢٨٦) .
(٣) غير التجريد : « عقبان » .
(٤) لم يرد هذا الخبر فيما بين أيدينا من أصول الأغانى .

تُحذِّرنى كى أحذر العامَ خَثْعما وقد علمتْ أنّى أمرؤ غير مُسلمِ
وما خَثعم إلا لئـــام أرقّة إلى الذّل والإسحاق تُنمى وتَنْتَمى

وبلغ الخبرُ شِبْل بن قلادة وأنس بن مُدرك الخَثْعميين ، فخالفا إلى السُّليك ، فلم يشعر إلا وقد طرقا فى الخيل ، وأنشأ يقول :

من مُبلغ حِزْبى بأنِّى مَقتولْ يا رُب نَهب قد حَويتُ عُثكول(۱)
ورُب قِرْن قد تركت مَجدول ورُب زوج قد نكحتُ عُطبول(۲)
ورُب عانٍ قد فككتَ مَكبول ورُب وادٍ قد قطعتُ مسيول

فقال أنس لشِبل : إن شئت كفيتُك القوم وا كفنى الرجل ، وإن شئت ا كفنى القوم وأ كفيك الرجل . فقال : بل أ كفيك القــوم : فشد أنس على السُّليك فقتله ، وقتل شبل وأصحابُه من كان مع السُّليك .

(۱) العثكول : العنذق بما عليه . يريد نهباً كثيرا .
(۲) العطبول : المرأة الفتية الجميلة ، الممتلئة الطويلة العنق .

أخبار أبي نُخَيلة

نسبه — وأبو نُخَيلة ، اسمه لا كنيته . وكنيته : أبو الجنيد . وهو : ابن حَزن[1] بن زائدة ابن لقيط بن هرم بن يَثربي بن ظالم بن مُجاشر بن حِمّاز بن عبد العُزى بن كعب ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم .

عقوقه لأبيه — وكان عاقًّا بأبيه ؛ فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد ؛ وبقى مشكوكاً فى نَسبه مَطعوناً عليه .

شعره — وكان الأغلب على شعره الرّجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

بين الأمويين والهاشميين — ولما خرج إلى الشام اتصل بمَسلمة بن عبد الملك بن مَروان فاصطنعه وأحسن إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم فأغنوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بنى هاشم ولقّب نفسه شاعر بنى هاشم ، فمدح خُلفاء بنى العباس ، وهجا بنى أمية فأكثر .

مدحه مسلمة وقصة ذلك — وحكى أبو نُخيلة قال :

وفدت على مَسلمة بن عبد الملك فمدحتُه وقلت فيه :

أَمَسلم إنّى يا ابن كُلّ خليفة ... ويا فارسَ الدُّنيا ويامَلِكَ[2] الأرضِ
شَكرتُكَ إن الشكر حَبلٌ من التقى ... وما كل من أقرضته[3] نعمةً يَقْضِ
فألفيتَ لمّا أن أتيتك زائراً ... علىّ لِحافاً سابغ الطُّول والعَرض
وأحييتَ لى ذكرى وما كان خاملاً ... ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعض

فقال لى مسلمة : من أنت ؟ فقلت : من بنى سعد . فقال : ما لكم يا بنى سعد

---

(١) غير التجريد : « عدن » . (٢) غير التجريد : « ويا فارس الهيجا ويا جبل » .
(٣) فى غير التجريد : « أوليته » .

والقصيد ، وإنما حظكم الرّجز . فقلت له : أنا والله أرجز العرب . قال : فأنشدنى من رجزك . فكأنى والله لمّا قال لى ذلك لم أقُل رجزاً قطّ ، أنسانيه الله كله ، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة ، وقد كان قالها فى تلك السنة ، وظننت أنها لم تبلغه ، فأنشدتُه إياها ؛ فنكّس رأسه وتعتّت[1]؛ ثم رفع رأسه إلىّ وقال لى : لا تُتعب نفسك ، فإنى أروَى لها منك . فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده ، وأخزاهم عند نفسى ، حتى تلطفتُ بعد ذلك ومدحتُه برَجز كثير ، فعرفنى وقرّبنى ، وما رأيت ذلك منه ــ يرحمه الله ــ ولا قرّعنى به حتى افترقنا .

شعره الذى فيه الغناء وقصته

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى نُخَيلة ، هو البيتان الأولان من هذه الأبيات المذكورة .

وذُكر أنه لما أفضت الخلافةُ إلى بنى العباس دخل أبو نُخَيلة عل أبى العباس السفاح ؛ فسلّم عليه واستأذن فى الإنشاد . فقال له أبو العباس : لا حاجة لنا فى شعرك ، إنما تُنشدنا فضلات بنى مروان . فقال : يا أمير المؤمنين :

كنا أناساً نُرهب الأملاكا   إذ رَكبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباكا   ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده إيّاكا[2]   فكان ما قلت لمن سواكا
زُورا فقد كفّر هذا ذاكا

فضحك وأجازه جائزة سنية ، وقال : أجل ، إن التوبة لتكفِّر ما قبلها ، وقد كفَّر هذا ذاك .

وقد قيل : إنه لما وقف أبو نُخيلة بين يدى السفّاح سلّم عليه ودعا له وأثنى عليه ، ثم استأذن فى الإنشاد . فقال : من أنت ؟ فقال : عبدك يا أمير المؤمنين

---

(١) أى لم يستمر فى كلامه .   (٢) فى غير التجريد : « ثم ارتجينا بعده » .

أبو نخيلة . فقال له : لا حياك الله ولا قرّب دارك ، ألست القائل فى مَسلمة بن عبد الملك بالأمس :

أمُسلم إنى يا ابن كُل خليفـــة ويا فارس الهيجا ويا ملك الأرض

أما والله لولا أنى قد أمّنت نُظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أَخْضِبك بدمك . فأنشده أبو نخيلة الرجز المذكور . فتبسم أبو العباس ثم قال : أنت شاعر وطالب خَير ، وما زال الناس يمدحون الملوك فى دُولهم ، والتوبة تمحو الخطية ، والظفر يزيل الحقد ، وقد عفونا عنك واستأنفنا الصَّنيعة لك ، وأنت الآن شاعرنا ، فاُتَّسم بذلك ليزول عنك مِيسم بنى مروان ، فقد كفّر هذا ذاك كما قلت .

تهنئة المنصور بالبيعة للمهدى

وكان السفّاح أبو العباس قد عَهد بالخلافة بعده إلى أخيه أبى جعفر المنصور ، وبعد المنصـــور إلى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فلما تُوفى السفاح بايع الناسُ المنصور بالخلافة ، وبولاية عَهده لابن أخيه عيسى بن موسى ، فلما تمــكن الأمر للمنصور واستقرت قواعد ملــكه عَزم على خلع ابن أخيه عيسى ، ونَقْل الأمر إلى ابنه محمد المهدى ، وطالب عيسى بخَلع نفسه ، فامتنع ، وجرت فى ذلك خطوب وتهديدات كثيرة من المنصور ، إلى أن أجاب عيسى إلى خلع نفسه . فذُكر أنه لمـا كان يوم البيعة للمهدى دخل أبو نُخيلة على المنصور وأنشده :

لم يُنْسنى يا ابنة آل مَعبـد ذكراك تــكرارُ الليالى العُوَّدِ
ولا ذوات العَصب[1] المورَّد ولو طَلَبْن الوُدّ بالتــودد
ورُحْن فى الدُّر وفى الزَّبرجد

يقول فيها :

إلى أمــير المؤمنين فاْعمد إلى الذى يَنْدى ولا يَندى نَدِى

(١) العصب : من البرود .

سِيرى إلَى بحر البِحـار المُزبد إلى الذى إن نَفدت لم يَنفَدِ

أو أُثمدت أشراعُهـا لم يُثمد(١)

ومنهـا :

فقد رضينا بالغـــلام الأَمرد وقد فزعنا(٢) غيرَ أنْ لم نَشْهد

وغير أنــّ العهد لم يؤكّد وأصنع كما شئت وزِدْه يَزدد(٣)

ورَدِّه منك رداءَ المُرتدى(٤) فهو رداء الســـابق المقلَّد

فنادِ للبَيعة جمعاً وأحشد(٥) فى يومنا الحاضر هذا أو غد

وذُكر أن عيسى بن موسى كان حاضراً إنشادها .

قال أبو نخيلة : فلمـا خرجت أتبعنى عقال بن شَـبة ، فقال : أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ، ولئن تم الأمر لتصيبن خيراً ، وإن لم يتم فابتغ لنفسك نفقاً فى الأرض أو سُلماً فى السماء . فقلت له :

● عَلقت مَعالقها وصَرّ الجُندب *

أنشد المنصور فأجازه

وذُكر أن أبا نُخيلة أنشد المنصور فى هذا المعنى أرجوزة طويلة ، أولها :

ماذا على شَحْط النَّوى عنَّا كا(٦) أم مامَرى(٧) دمعَك من ذكراكا

وقد تبكَّيتَ فمـا أبكاكا

يقول فيها :

خليفة الله وأنت ذاكا أَسْند إلى محمـــدٍ عصاكا

(١) الأشراع : موارد الماء . وأثمدت : أى قل ماؤها فنبت عنه .

(٢) غير التجريد : « فرغنا » . (٣) غير التجريد : « ورد يردد » .

(٤) فى غير التجريد : « يرتدى » . (٥) غير التجريد : « نحشد » .

(٦) فى غير التجريد : « غشاكا » . (٧) مرى دممك : استخرجه وأجراه . والرواية فى غير التجريد : « ما جرى » .

فأحفظُ الناس[١] لهـا أدنا كا وأبنك ما استكفيته كفا كا

فـكُلنـــا مُنتظر لذا كا لو قيل هاتوا قيل[٢] ها كا ها كا

فوصله المنصور بألفى درهم .

انتقام عيسى منه وقتله

ولما خُلع عيسى بن موسى حقد على أبى نُخيلة وطلبه أشدَّ طلب ، فهرب منه وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبرُه ، فبعث خلفه مولًى له يقال له : قطرىّ ، ومعه عِدة من مواليه ، وقال له : نفسَك نفسك أن يفوتك أبو نُخيلة . فخرج فى طلبه مُغذًّا للسير ، فلحقه فى طريق خراسان ، فأخذ قطرىٌّ أبا نخيلة فكتفه وأضجعه ، فلما وضع السكين على أوداجه قال له : يا بن اللخناء ، ألست القائل :

* علقت معالقها وصَرَّ الجندب *

الآن صَرَّ جُندبك .

فقال : لعن الله ذلك جندباً ، ما كان أشأمه ، ثم ذبحه قطرىّ وسلخ جلده ووجهه ، وألقى لحمه للنُّسور ، وأقسم لا يريم مكانه حتى تُمزّق السباعُ والطير لحمه ، فأقام حتى لم تبق إلا عظامه . ثم انصرف .

---

(١) التجريد : « له » .

(٢) فى غير التجريد : « قلت » .

أخبار المُنَخَّل اليشكرى

هو : المُنخَّل بن عمرو . وقيل : ــ ابن مسعود ــ بن أفلت بن كعب بن سَوأة ابن غَنْم بن حَبيب بن يشكُر بن بكر بن وائل . نسبه

وهو شاعر مُقل من شعراء الجاهلية . قدره فى الشعر

وكان صحب النعمان بن المُنذر ، ملك الحيرة ، وكان جميلاً وسيما فعشقتْه المُتجرّدة ، زوجةُ النعمان بن المنــذر ، وكانت فاجرة . هو والنعمان وزوجه

وذُكر أنها ولدت غلامين على فراش النعمان ، كانا أشبه الناس بالمُنَخَّل ، فكان يقال : إنهما منه . وكان النعمان أحمر أبرش قصيراً دَميما ، وكان للنعمان يومٌ يركب فيه فيُطيل المُكث ، وكان المُنخّل من نُدمائه لا يُفارقه . فكان المنخل يأتى المُتجردة فى ذلك اليوم الذى يركب فيه النعمان ، فيطيل عندها ، حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدةٌ لهــا موكّلة بذلك فتُخرجه . فركب النعمان ذات يوم ، وأتاها كما كان يأتيها ، فلاعبتْه ، وأخذت قيداً فجعلت إحدى حَلقتيه فى رجله والأخرى فى رجلها ، وغفلت الوليدةُ عن ترقُّب النعمان ، لأن الوقت الذى كان يجىء فيه لم يكن قَرُب . فأقبل النعمان حينئذ ولم يُطل فى وجهه كما كان يفعل ، فدخل إلى المُتجردة فوجدها مع المُنخَّل ، وقد قَيدت رجلها ورجله بالقيد ، فدفعه النعمان إلى صاحب سجنه ، فعذّبه حتى قتله .

والشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار المُنخل هو : شعره الذى فيه الغناء

ولقد دخلت على الفتا ة الخِدرَ فى اليوم المَطيرْ

فدفعتهــــا فتدافعت مشىَ القطاة إلى الغدير

ولثمتها فتنفَّست كتنفُّس الظَّبْيِ البَهير

وهذا الشعر من قصيدة أولها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تَحُورى
لا تسألى عن جُلِّ ما لى واذكرى كَرمى وخِيرى

ومنها بعض أبيات الغناء المذكورة :

فدنت وقالت يا منخَّل ما بجسمك من فُتور[1]
ما شَفَّ جسمى غيرُ حبك فاهدئى عنّى وسيرى
ولقد شربت من المُدامة بالصغير وبالكبير
فإذا سكرت فإننى ربُّ الخَورنق والسَّدير
وإذا صحوتُ فإننى ربُّ الشُّويهة والبَعير
يا رُبَّ يوم للمُنخَّل قد لَهى فيه قَصير
يا هند هل من نائلٍ يا هند للعانى الأسير

زيد فيها ؛ قال أبو الفرج : ولم أجده فى رواية صحيحة :

وأُحبها وتُحبنى ويُحب ناقتَها بعيرى

(١) غير التجريد : « حرور »

أخبار أمية بن الأسكر

هو : أمية بن حُرثان بن الأسكر[1] بن عبد الله سربال[2] الموت بن زُهرة ابن زينبة بن جُندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة ابن الياس بن مضر بن نزار . نسبه

شاعر مُخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفُرسانهم ، وله أيام مأثورة مذكورة . طبقته ومنزلته

وكان له أخ يقال له : أبو لاعق الدم ، وكان من فرسان قومه وشعرائهم . أخوه

وابنه : كلاب بن أمية أيضاً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بصلة أبيه ومُلازمته . ابنه

وذكر أن كلاب بن أمية لقي طلحة والزبير ـ رضى الله عنهما ـ فسألهما : أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يُغزيه ، فأغزاه في جيش . وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال ـ والبيتان الأولان هما الشعر الذي فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أمية: شعره الذي فيه الغناء وقصته

لمن شَيخان قد نَشدا كلاباً ... كتاب الله لو قَبل الكتابا

أناشده فيُعرض في إباء ... فلا وأبي كلاب ما أصابا

إذا سجعتْ حمامةُ بطن وادٍ ... إلى بَيضاتها دَعَوا كلابا

أتاه مُهاجران تكنّفاه ... ففارق سُنحه[3] خطأً وخابا

---

(١) التجريد : « الأشكر » . وانظر الجمهرة (١٧٣) .

(٢) التجريد والأغاني : « بسرابيل » وما أثبتنا من الجمهرة .

(٣) السنح ، بالضم : اليمن والبركة . وفي غير التجريد : « شيخه » .

تركتَ أباك مُرعشةً يداه وأمك ما تُسيغ لها شرابا
وإنك والتماس الأجر بعدى كباغى الماء يَتّبع السرابا

مجيئه عمر فى شأن ابنه وإنشاده إياه

فبلغت أبياته عمرَ بن الخطاب ـ رَضى الله عنه ـ فلم يردُد كلاباً ؛ فطال مُقامه، فاشتد جزع أبيه واختلط . ثم أتى عمرَ ـ رضى الله عنه ـ يوماً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار ؛ فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذلَ قد عذلتِ بغير قَدْرٍ ولا تدْرين عاذلَ ما ألاقِى
فإمّا كُنت عاذلتى فُردّى كِلاباً إذ توجّه للعراق
ولم أقضِ اللُّبانة من كِلاب غداةَ غدٍ وآذن بالفِراق
فتى الفتيان فى عُسْر ويُسر شديد الرُّكن فى يوم التلاقى
ولا وأبيك ما باليتِ وَجدى ولا شَغفى عليك ولا اشتياقى
وإشفاقى عليك إذا شتونا وضَمّك تحت نَحرى واعتناقى
فلو فلق الفؤاد شديد (١) وجد لهمّ سَوادُ قلبى بانفلاق

فبكى عمر رضى الله عنه بكاء شديداً ، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة . فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من بِرك بأبيك؟ قال : كنت أُوثره وأكفيه أمره ، وكنت أعتمد ـ إذا أردت أن أحلب له لبناً ـ أغزر ناقة فى إبله وأسمنها فأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافَها حتى ترد ، ثم أحتلب له فأسقيه . فبعث عمر رضى الله عنه إلى أمية من جاء به فأدخله يَتهادى وقد ضعُف بصره وانحنى . فقال : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم : كنت أشتهى أن أرى كلاباً فأشمه شمة وأضمه ضمة ، قبل أن أموت . فبكى عمر رضى الله عنه وقال : ستبلغ فى هذا ما تُحب إن شاء الله . ثم أمر كلاباً أن يحلُب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل؛ وناوله عمر الإناء ،

(١) غير التجريد : « حطام » .

وقال : دونك هذا يا أبا كِلاب . فلما أخــذه وأدناه من فَمه قال لعُمر : والله يا أمير المؤمنين إنى لأجد رائحة يدى كِلاب من هذا الإناء ! فبكى عمر وقال : هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به . فوثب إلى أبنه فضمه إليه وقبَّله ، وجعل عمر رضى الله عنه يبكى ومَن حضره ، وقال لكلاب : إلزم أبويك ، فجاهِدْ فيهما ما بَقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدها ، وأمر له بعطاء وصرفه مع أبيه ، فلم يزل مُقيماً معه حتى مات .

شعره فى كبره

وذُكر أن أمية بن الأسكر عُمِّر عمراً طويلاً حتى خَرِف ، فكان ذات يوم جالساً فى نادى قومه وهو يحدّث نفسه ، إذ نظر إلى راعى ضأن لبعض قومه ، فعجب منه ، فقام لينهض فسقط على وجهه ، فضحك الراعى منــه ، وأقبل أبناه إليه ، فلما رآهما أنشأ يقول :

يا بَنِىَّ[1] أمية إنى عنكما غانِى ... وما الغِنى غير أنّى مُرعش فانِى
يا بَنِىَّ أمية إلاّ تحفظا كِبرى ... فإنما أنتما والثّكل مِثلان
أصبحت قرداً لراعى الضأن يلعب بى[2] ... ماذا يَريبك منّى راعى الضان
أعجب لغيرىَ إنى تابع سَلفى ... أعمام مَجد وأجدادى وإخوانى

تمثل على بن أبى طالب بشعر له

وقد تمثل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بهذه الأبيات على منبر الكوفة .

حكى عبد الله بن عدىّ بن الخيار قال : شهدت الحكمين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لى إلى علىّ بن أبى طالب حاجة ، فدخلت عليه ، فلما رآنى قال : مرحباً بك يابن أم قتّال ، أزائراً جئتنا أم لحاجة ؟ فقلت : كلٌّ جاء بى ، جئت لحاجة وأحببت أن أجدد بك عهداً . وسألته عن حديث ، فحدّثنى على ألا أحدّث به أحَداً ، فبينا أنا يوماً فى المسجد بالكوفة ، إذا علىّ مُنتكب قَرْناً[3] له، فجعل يقول:

(١) غير التجريد : « بنى » . (٢) غير التجريد : « يسخر بى » .
(٣) القرن : معروف . وانتكبه : وضعه على منكبه .

الصلاة جامعة ، وجلس على المنبر واُجتمع الناس ، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر . فلما اجتمع الناس ورضى منهم ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنكم تزعمون أن عندى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عند الناس ، ألا والله ليس عندى إلا ما فى قَرنى هذا ؛ ثم نَكب كنانته فأخرج منها صحيفة فيها : المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم ، مَن أحدث حدثاً أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال له الأشعث بن قيس : هذه عليك لا لك ، دعها تترحَّل . فخفض علىّ بصره ، وقال : ما يُدريك ما علىّ مما لى ؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ، حائك ابن حائك ، مُنافق اُبن منافق والله لقد أَسَرَكَ الإسلام مَرّة ، والكُفر أخرى ، فما فَداكَ من واحدة منهما حَسَبُك ولا مالُك . ثم رفع إلىّ بصره وقال :

أصبحت قِرداً[1] لراعى الضأن يلعب بى ماذا يَريبك منّى راعى الضانِ

فقلت له : بأبى وأمى ، قد كنت والله أحب أن أسمع هذا منك . فقال : هو والله ذاك . قال :

فما قِيل لى بعدها مِن مقالةٍ ولا عَلِقتْ منّى جديداً ولا دَرْسَا[2]

(١) غير التجريد : « قنا » . والقن : العبد .
(٢) الدرس : الخلق البالى .

أخبار عَبْدة بن الطبيب

نسبه

ثم ذكر أبو الفرج : عَبْدة بن الطَّبيب . واسم الطَّبيب : يزيد بن عمرو بن وَعْلة ابن أنس بن عبد الله بن عبد بن تيم بن جُشم بن عَبْد شمس بن سعد بن زيد مناة ابن تميم .

طبقته

وهو : شاعر مُجيد ليس بالمُكثر . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

الشعر الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء هو :

أبُنيّ إنّي قد كبرتُ ورابني ... بَصري وفيّ لمُصْلِح مُستمتعُ

فلئن كَبِرتُ لقد دنوتُ إلى البِلَى ... وخَلتْ لكم منّي خلائقُ أربع

من رثائه لقيس ابن عاصم

وهو الذي رثى قيس بن عاصم بقوله :

فما كان قيسٌ هُلكه هُلكَ واحدٍ ... ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّمَا

أخبار الأغلب

شعره الذى فيه الغناء

ثم ذكر أبو الفرج خبر الأغلب ، وذكر شعره الذى فيه الغناء ، وهو :

إنَّ الليالى أسرعتْ فى نَقْضِى أقعدننى من بعد طُول نَهضِ
أخذن بَعضى وتَركْن بعضى حَنيْن طُولى وطَوَيْن عَرضى

نسبه

والأغلب ، هو : أبن جُشَم بن سعد ، أحد بني بَكر بن وائل .

تعميره وإسلامه واستشهاده

وهو أحد المعمَّرين ، عمِّر فى الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وحَسُن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعد بن أبى وقّاص ، رضى الله عنه ، فنزلها ، وأُستشهد فى وقعة نهاوند ، فقبرُه هناك فى قبور الشهداء ، رحمه الله .

أول راجز

ويقال : إنه أوَّل مَن رجز الأراجيز الطِّوال من العرب .

له شعر فى تزوج سجاح بمسيلمة

ثم ذكر له أبو الفرج شعراً يذكر فيه تزوُّج سَجَاح بمُسيلمة الكَذَّاب ، لعنه الله ، أفحش فيه ، فاقتضى ذلك ذِكر سَجَاح وتزوّجها مُسيلمة .

ذكر خبر سجاح

قيل : إن سَجَاح التميميَّة ادَّعت النبوَّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعت عليها بنو تميم ، وكان فيما ادعت أنه أُنزل عليها ؟ يأيها المؤمنون المتقون ، لنا نِصف الأرض ولقريش نِصفها ، ولكنّ قريشاً قومٌ يبغون . ادعاؤها النبوة

فتابعتها بنو تميم واعتقدوا نبوّتها . وكان فيهم الأحنف بن قيس ، وحارثة بن بدر ، ووجوه تميم كلها . من تتبعها

وكان شَبِث بن رِبْعىّ الرِّياحىّ مؤذّنها . مؤذنها

وعمدت فى جيشها إلى مُسيلمة الكذّاب ، وهو باليمامة ، وقالت : يامعشر تميم ، اقصدوا اليمامة ، واضربوا فيها كل هامة ، واضرموا فيها ناراً مَلهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة . من كلامها

وقالت أيضاً : إن الله لم يجعل هذا الأمر فى ربيعة وإنما جعله فى مُضر ، فاقصدوا هذا الجمع ــ تعنى جمع مُسيلمة ــ فإذا فضضتموه كررتم على قريش .

فسارت فى قومها ، وهم جمع عظيم . وبلغ مُسيلمةَ خبرُها ، وضاق بها ذرعاً وتحصن فى حِجر ــ وهو حصن اليمامة ــ وجاءت فى جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ماترون ؟ قالوا : نرى أن تُسلم هذا الأمر إليها وتدعنا ، فإن لم نفعل فهو البَوار . وكان مُسيلمة داهية ، فقال : سأنظر فى هذا ، ثم بعث إليها : إن الله تبارك وتعالى أنزل عليكِ وحياً وأنزل علىّ ، فهلمّى نجتمع فنتدارس ما أُنزل علينا ، فمن أعرف الحق تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العُربَ أكلا ، بقومى وقومك . فبعثت إليه : أفعل . فأمر بقبة أدم فضُربت ، وأمر بالعُود المَندلىّ قصدها مسيلمة وخبر زواجه منها

فسُجِر[١] فيها . وقال : أكثروا من الطِّيب والمِجْمر[٢] ، فإنَّ المرأة إذا شمت رائحة الطيب ذكرت الباه . ففعلوا ذلك . وجاءها رسوله يخبرها بأمر القُبة المضروبة للاجتماع ، فأتته فقالت : هات ما أنزل الله عليك . فقال : ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نسمة[٣] تسعى ، من بين صفَاق[٤] وحَشى ، من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المُنتهى .

قالت : وماذا ؟ فقال : ألم تر أن الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء لنا أزواجاً ، فنُولج فيهن قيسا[٥] إيلاجاً ، ونُخرجه منهن إذا شئنا إخراجاً .

قالت : فبأى شيء أمر ربك ؟ فقال :

ألا قُومى إلى النَّيكِ فقد هُيِّى لك المضجعْ
فإنْ شِئتِ ففى البيت وإن شئت ففى المخدع
وإن شئت سَلَقناك وإن شئت على أربع
وإن شِئت بثُلثيه وإن شئت به أجمع

فقالت : بل به أجمع . فقال : كذلك أُوحى إلىّ ، فواقعها . فلما قام عنها قالت : إن مثلى لا يُجْرَى أمرُها هكذا ، فتكون وصمةً على قومى وعلىّ ، ولكنى مُسلمة إليك النبوّة ، فاخطُبنى إلى أوليائى يُزوِّجوك ، ثم أقود تميا معك . فخرجت وخرج ، واجتمع الحيَّان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سَجاح : إنه قرأ علىّ ما أُنزل عليه ، فوجدته حقًّا فاتبعتُه . ثم خطبها فزوّجوه إياها ، وسألوه عن المَهر فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر .

(١) سجر : أوقد ، بالبناء للمجهول فيهما . (٢) المجمر : العود .
(٣) فى غير التجريد : « نطفة » . (٤) الصفاق : جلد البطن .
(٥) القيس : الذكر . وفى غير التجريد : « الغراميل » .

قال الرواى : فبنو تميم إلى الآن بالرَّمل لايصلُّونها ، و يقولون : هذا حق لنا ، ومَهرٌ لـكريمتنا[1] لا نَردّه . فقال شاعر تميم يذكر أمر سجاح فى قَصيدة له :

أَضحت نبيَّتُنا أُنثى نُطيف بهـا وأَصبحت أَنبياء الله ذُكرانا

وذُكِر أَنه سمع الزّبرقان بن بَدر الأحنفَ بن قيس يومئذ ، وقد ذكر مُسيلمةَ وما تلاه عليهم ، فقال الأحنف : والله ما رأَيت أَحمق من هذه الأنبياء قط . فقال الزبرقان : والله لأُخبرن بذلك مُسيلمة . فقال : إذن والله أَحلف أَنك كذبت فيصدقنى ويكذبك . قال : فأَمسك الزّبرقان وعلم أَنه قد صدق .

فحدَّث الحسن البصرى رحمه الله بهذا الحديث ، فقال : أَمِن والله أَبو بحر من نزول الوحى .

مقتل مسيلمة وإسلام سجاح

ثم سـار خالد بن الوليد بجيوش المسلمين إلى مُسيلمة ، لعنه الله . فقاتله ، فقُتل مسيلمة ، وانهزم أَصحابه ، وأَسلمت سجاح بعـد ذلك وحَسُن إسلامُها .

طليحة والأسود العنسى

وكان تنبأ أَيضاً طُليحة بن خويلد الأسدى ، ثم أَسلم ، وكان أُدعى الأسودُ العَنسى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتله فيروز الدَّيلمى .

---

(١) غير المجريد : « كريمة منا » .

أخبار البحترى

نسبه

هو : الوليد بن عَبيد بن يحيى بن عبيدين بن شِملال بن جابر[1] بن سلمة[2] ابن مُسهر[3] بن الحارث بن جُشم[4] بن أبى حارثة بن جدى بن تَدول[5] بن بُحتر ابن عَتُود بن عُنَير[6] بن سلامان بن ثُعل بن عمرو بن الغَوث بن جَلهمة ، وهو طيىء ، بن أُدد بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

كنيته ومنزلته فى الشعر

ويُكنى أبا عُبادة وأبا الحسن . شاعر فصيح فاضل حَسن المذهب نقىّ الكلام مطبوع .

شعره ومكانُ الهجاء منه

قال أبو الفرج : كان مشايخنا يَختمون به الشعراء المُحدثين . وله تصرُّف فى ضُروب الشعر سوى الهجاء ، فإنَّ بضاعته فيه نَزرة ، وجيّده فيه قليل .

ويقال : إنه كان له فيه شيء كثير فأحرقه عند موته .

تشبهه بأبى تمام

وكان البُحترى يتشبَّه بأبى تمام فى شعره ، ويحذو حَذوه ، وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله .

الحكم بينه وبين أبى تمام

وقيل فى الحكم بينهما : إن جيد أبى تمام خير من جيد البحترى ، ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه .

اتصاله بأبى تمام وتوصيته به

وحَكى البُحترى قال :

كان أول أمرى فى الشعر ونَباهتى فيه أن صِرتُ إلى أَبى تمّام وهو بحمص ،

---

(١) الجمهرة (٣٧٧) : « تملان بن خالد » . (٢) فى غير التجريد : « مسلمة » .
(٣) الجمهرة : « سهم » . (٤) فى غير التجريد : « خيثم » .
(٥) الجمهرة : « جرول » . وغير التجريد : « نزول » .
(٦) الجمهرة : « عنين » . غير التجريد : « عنمة » .

فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل علىّ وترك سائر من حَضر ، فلما تفرّقوا قال لى : أَنت أَشعر مَن أَنشدنى فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلة[1] ، فكتب إلى أهل مَعرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : امتدحهم ، فصرت إليهم فأكرمونى بكتابه ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وكانت نسخة كتابه : يصل كتابى هذا على يد الوليد أبى عُبادة الطائى ، وهو على بذاذته شاعر ، فأكرموه .

أول شعر له

وحَكى البُحترى قال :

كنت أَتعشّق غُلاماً من أَهل مَنبج ، يقال له : شَقران ، واتفق لى سفر ، فخرجتُ فيه وأَطلتُ الغيبة ، ثم عُدت وقد التحَى ، فقلت فيه ، وكان أول شعر قلته :

نَبتت لحيـــةُ شقرا ن شقيق النفس بَعدِى
حُلقت كيف أتتـــه قبل أَن يُنجز وعدى

من أوسخ خلق الله وأبخلهم

وذكر أن البُحترى كان من أَوسخ خلق الله ثوباً ، وأَبخلهم على كل شىء ، وكان له أَخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أَقواتهما مُضيّقاً مقتراً ، ويقول : كلا ، أجاع الله أكبادكما ، وأَعرى أجلادكما ، وأَطال إجهادكما .

شعره فى جارية للمتوكل صبت فى فيه كوز ماء

وذُكر أنه اجتازت جارية بالمتوكل معها كُوز ماء ، وهى أحسن من القمر ، فقال لها : ما اسمك ؟ فقالت : بُرهان . فقال : ولمن هذا الماء ؟ قالت : لستى قَبيحة . فقال . صُبّيه فى حَلْقى . فشربه عن آخره . ثم قال المتوكل للبحترى : قل فى هذا شيئاً ، فقال البحترى :

---

(١) الخلة : الحاجة .

ما قهوة (١) من رحيق كأسها ذهبٌ جاءت بها الحور من جنّاتِ رِضوانِ
يوماً بأطيب من ماء بلا عَطش شربتُه عَبثاً من كفّ بُرهان

غلامه نسيم وشعره فيه بعد موته

وذُكر أنه كان للبحترى غلام ــ يقال له : نسيم ــ رُومى ، ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيل على الناس ، وكان يبيعه و يعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن يَنفُق عنده الأدب ، فإذا حصل فى مِلكه شبّب به وتشوّقه ، ومدح مولاه، حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكُفى الناس أمره ، وفى نسيم هذا يقول البحترى :

دعا عَبرتى تَجرى على الجور والقَصد أظن نسيما حالف (٢) الهجر مِن بَعدِى
خَلا ناظرى من طَيفه بعد شَخصه فواعجباً للدّهر فَقداً على فَقْد

شعره فى الاعتذار عن غلام جمشه

وذُكر أن البحترى كتب إلى محمد بن على بن القاسم يستهديه نَبيذاً ، فبعث إليه بنبيذ مع غُلام له أمرد ، فجَمّشه البُحترى ، فغضب الغلام غضباً شديداً ، علم منه البحترى أنه سيُخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه :

أَبا جعفر كان تجميشُنا غلامَك إحدى الهَنات الدَّنيّهْ
بعثتَ إلينا بشَمس المُدام تُضىء لنا مع شَمس البريّهْ
فليت الهديّة كان الرسو لَ وليت الرسولَ إلينا الهديّهْ

فبعث إليه محمد بن على الغلام هدية ، فانقطع البحترى بعد ذلك عنه مُدة خجلاً مما جرى ، فكتب إليه محمد بن على :

هجرتَ كأنّ البرّ أعقب حِشمة ولم أر وصلاً قبل ذا أعقب الهجْرا

(١) فى غير التجريد : « شربة » .
(٢) فى غير التجريد : « قارب » .

فقال فيه البحترى قصيدته التى أولها :

فَتَى مَــــذحِجٍ عفواً فتَى مَــــذحِجٍ غَفراً

وقال فيه أيضاً :

أمواهبٌ هاتيــك أم أنواءُ هُطلٌ وأخـــذٌ ذاك أم إعطاءُ
إنْ دَام ذا أو بعضُ ذا مِن فعلِ ذا فَنِيَ السّــخاء فلا يُعدُّ سَخاء
ليْسَ الّذى حَلّت تميم وسطه ا[1] الدّهناءلا بل صَدرك الدهناء
ملك أَعزّ لآل طلحـــة مجْده كفّاه بحر سَماحة وسَــخاء
إنِّى هجرتك إذ هجرتُك حشمة لا العَوْد يُذهبها ولا الإبداء
أَخجلتنى بنَدى يدَيْك فسوّدت ما بيننا تلك اليدُ البَيضــاء
وقَطعتني بالــــبرّ حتى إننى مُتوهّم ألاّ يكون لِقاء
صِلةٌ غَدتْ فى النّاسِ وهى قَطيعةٌ عجبٌ وبِرٌّ راح وهو جَفـاء
ليواصلنَّك رَكبُ شِعرى سائراً يَرْويه فيك لُحسنه الأعداء
حتّى يتمّ لك الثّناء مُخــلّداً أبداً كما تمّت تلك النّعمــاء
فتظلُّ تَحسدُكَ الُملوكُ الصِّيدُ بِي ويَظلُّ يحسُدنى بك الشُّعراء

وحكى البُحترى قال :

أنشد أبا تمام فذكره دنو أجله

أنشدت أبا تمـام شيئًا من شعرى ، فتمثّل ببيت أوس بن حَجر :

إذا مُقْرَمٌ مِنّا ذَرا حدُّ نابه تَخمَّط منّا نابُ آخر مُقرَمِ[2]

ثم قال لى : نعيتَ والله إلىّ نفسى . فقلتُ : أعيذك بالله من هـذا القَول . فقال لى : إنّ عمرى لن يطول ، وقد نشأ فى طيّ مثلك ، أمَا علمت أن خالد بن

(١) غير التجريد : « وسطه ».

(٢) المقرم : البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ، يسمى به السيد الرئيس من الرجال . وذرا : انكسر . وتخمط : قسا وغلظ واشتد . يريد : إذا هلك منا سيد خلفه آخر .

صفوان رأى شَبيب بن شَيبة وهو من بين رهطه يتـكلّم فقال : يا بُنَىّ ، لقد نعى إليّ نفسى إحْسانُك فى كلامك ، لأنّا أهلَ البيت ما نشأ فينا خطيب قط ، إلاّ مات مَن قبله . فقلت : بل يُبقيك الله و يجعلنى فداك . ومات أبو تمّـام بعد سنة .

هو و الصيمرى فى حضرة المتوكل

وحَكى أبو العنبس الصَّيْمرىّ قال :

كنت عند المتوكل والبُحترى يُنشده :

عن أىِّ ثَغرٍ يَبتسمْ وبأىِّ طَرفٍ يَحتـكم

حتى بلغ إلى قوله :

قُل للخليفـــة جعفر الـ مُتوكِّل بن المُعتصِم
المُجتدى ابن المُجتدى والمُنعم ابن المُنتقِم
أسـلَمْ لدين محمـــد فإذا سلِمتَ فقد سَـلِم

وكان البُحتري من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويمشى تارةً جانباً وتارةً القَهقرى ، ويهزّ رَأْسه مرّةً وينكِّبه أُخرى ، و يشير بكُمّه و يقف عند كل بيت ، و يقول : أحسنت والله . ثم يقبل على المُستمعين فيقول : ما لـكم لا تقولون لى : أَحسنت ! هذا والله مالاَ يُحسن أحد أن يقول مثله . فضجر المُتَوكّل من ذلك وأقبل علىّ فقال: لا تسمع يا صيمرى ما يقول ؟ فقلت : بلَى يا سيّدى ، فمُرنى فيه بمـا أحببت . فقال : بحياتى أهجه على هذا الروي الذى أنشـدنيه . فقلت : تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول . فدعا بدواة وقرطاس ، وحضرنى على البديه أن قلت :

أدخلتَ رأْسكَ فى الرَّحم[1] وعلمتَ أنّكَ تنهزِمْ

(١) التجريد : « الحرم » .

يا بُحترى حَــــذار ويْـ حكَ من قُضاقضة(١) ضَغِم
فلقد أسَـلْتَ بواديكَ من الهجا سـيْلَ العَرِم
فبأىّ عِرْضٍ تَعتصِم وبِهَتْـكه جَفَّ القَلَم
واللهِ حِلْفــــة صادق وبِقَبْرِ أحمــد والحَرَم
وحَقّ جَعفرٍ الإما م بن الإمام المُعتصِم
لأُصــــيرَنَّكَ شُهْرَة بينَ المَسيلِ إلى العَلَم
حتّى الطّلول بِذى سَلَمَ بينَ الأراكةِ والخِيَم
يا بن الثَّقيـلَةِ والثَّقيـ ل على قلوب ذوي النِّعَم
وعلى الصَّغيرِ مع الكَبيـ ر من المَوالى والحَشَم
فى أىِّ سَلحٍ يرْتَطِم وبأىِّ كفٍّ يلتقِم
يا بن المُباحَة للوَرَى أمِنَ العفافِ أم التُّهَم(٢)
إذ رَحْل أُختِكَ للعجَم وفراشُ أُمِّكَ فى الظُّلَم
وببــــابِ دارِكَ حانَة فى بيته يُؤْتَى الحَكَم

فغضب البُحترى وخرج يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلتَ رأسَكَ فى الرحِم وعلمتَ أنّكَ تَنْهزِم

والمتوكّلُ يضحكُ ويصفّق حتى غاب عنه .

وذُكر أن المُتوكّل أمر يومئذٍ لأبى العنبس بالصِّلة التى أُعدَّت للبُحترى .

وذُكر أنَّ البُحترى لمّا جَرَى ما جَرى من أبى العَنبس جاء أحمــد ابن يزيد فقال : أنت عشيرى وابن عم وصديق ، وقد علمت ما جرى علىَّ ،

(١) القضاقضة : الأسد يحطم كل شىء . (٢) غير التجريد : « العفاف أم الفهم » .

أفتَرى إن أخرج إلى مَنبج بغير إذن فقد ضـاع العلم وهلك الأدب . فقال له : لا تفعل من هذا شـيئاً ، فإنَّ المُلوك تمزح بأكثر من هذا . ومضى معه إلى الفتح بن خاقان فشـكا إليه ذلك . فقال له : نحواً من قول يزيد ووصله وخلع عليه وسكَّن منه ، فسكن إلى ذلك .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار البُحترى ، هو :

كم لَيْلةً فِيكَ بِتُّ أسهرها ولوْعة من هواك أُضمرها
وَحُرْقَة والدُّمُوع تُطفِئها ثمَّ يَعُودُ الجوَى فيُسعرها
بيْضاء رُؤْد[1] الشَّباب قد غمَسَت فى خَجـلٍ ذائبٍ بعُصفرها
اللهُ جارٌ لها فما امتلأت عَيناىَ إلاَّ من حيثُ أُبصرها .

(١) رؤد الشباب : حسنته .

أخبار علقمة بن عَبَدَة

نسبه

هو : عَلقمة بن عَبَدَة بن النُّعمان بن ناشرة بن قيس بن عبد بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناه بن تميم .

سبب تسميته علقمة الفحل

و يُسمَّى : عَلقمة الفحل ، سمَّته العرب بذلك لأنه خاف على امرأة امرئ القيس ، حكمت له على امرئ القيس أنه أشعر منه ، فطلّقها امرؤ القيس وخلف علقمة عليها . وحديث ذلك أنه كان تحت امرئ القيس امرأة من طيئ ، تزوّجها حين جاور فيهم ، فنزل به علقمة الفحل فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك . فتحاكما إليها ، فأنشدها امرؤ القيس قصيدته التى أولها :

* خليلى مُرَّا بى على أم جُندب *

وأنشدها علقمة قصيدته التى أولها :

* ذهبتَ من الهجران فى غير مَذْهبِ *

فقضت لعلقمة بأنَّه أشعر من امرئ القيس . فغضبَ امرؤ القيس وطلَّقها . فتزوَّجها علقمة .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار علقمة الفحل ، هو :

هل ماعلمتَ وما اُستُودِعتَ مكتومُ ... أَمْ حَبْلها إذ نأتك اليومَ مَصرُومُ

أم هل كَثيب[1] بكى لم تَقْضِ عَبْرته ... إثر الأحبَّة يوم البَيْن مَشكوم

يَحملن أُترجة نَضْخ العَبِير بها ... كأنَّ تَطْيابها فى الأنف مَشموم

كأنَّ إبريقهم ظَبيٌ على شَرَف ... مُفَدَّم[2] بِسبَا الكتّان مَلثوم

(*) من تراجم الجزء الحادى والعشرين .

(١) غير المجريد : والديوان (٤٣) «كبير» .

(٢) مفدم : عليه فدام ، وهو مايوضع فى فم الإبريق من مصفاة ونحوها . وسبا الكتان : سبائبه ، جمع سبيبة ، وهى الشقة .

قد أشهد الشرب فيهم مِزْهر صَدَح[1] والقوم تصرعهم صهباء خُرطوم

حكم قريش له

وذُكر أنَّ العرب كانت تعرض أشعارها على قريش ، فمَّا قبلوا منه كان مقبولاً ، وما ردُّوا منه كان مَردوداً ، فقدم عليهم علقمة الفحل فأنشدهم قصيدته التى يقول فيها :

* هل ما علمتَ وما استُودعتَ مَكتوم *

فقالوا : هذه سمط الدَّهر . ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم :

طَحابك قلب فى الحِسان طَروب بُعيد الشَّباب عَصْر حان مَشِيبُ

فقالوا : هاتان سمط الدَّهر .

(١) الديوان (٦٧) : « رنم » .

انتهى الجزء الثانى من القسم الثانى

من كتاب تجريد الأغانى لابن واصل الحموى

يتلوه إن شاء الله

الجزء الثالث من القسم الثانى

وأوله

أخبار عريب

فهرست أول — لتراجم الجزء الثانى

من القسم الثانى من تجريد الأغانى

فهرست ثان — لتراجم الجزء الثانى

من القسم الثانى من تجريد الأغانى


مطبعة مصر
شركة مساهمة مصرية
القاهرة